



المختصر المفيد

على

كتاب التوحيد

الذي هو حق الله على العبيد



- ❖ اسم الكتاب : المختصر المفيد على كتاب التوحيد .
- ❖ المؤلف الشيخ : جميل بن صلح الهاملي .
- ❖ مقاس الصفحة : ٢٤ × ١٧ .
- ❖ لون الطباعة : ملون .
- ❖ عدد الصفحات : ٤١٦
- ❖ أعمال فنية : عبد الحسيبي 770914108

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٧ هـ / ٢٠٢٥ م



المختصر المفيد

على

كتاب التوحيد

الذي هو حق الله على العبيد

تصنيف الإمام

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

المتوفى سنة (١٢٠٦) رحمه الله تعالى

كتبه: أبو عبد الرحمن

الشيخ جميل بن صالح الهاملي



سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ
وَالْأَرْضِ وَالْعَرْشِ الْمَجِيدِ



المقدمة للمختصر المفيد على كتاب التوحيد

الحمد لله الذي خلق الخلق لعبادته، وأمرهم بتوحيده وطاعته، ونهاهم عن الشرك ومخالفته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أَمَّا بَعْدُ:

فإن أشرف العلوم وأعظمها، وأوجبها على كل مسلم ومسلمة، هو علم التوحيد؛ العلم الذي من أجله أنزل الله الكتب، وأرسل الرسل، وقامت سوق الجهاد، وانقسم الناس بسببه إلى شقي وسعيد. وهو أول ما يُدعى إليه الخلق، وأول ما يُسأل عنه العبد في قبره، وآخر ما يُختتم به عمره، فمن حققه فقد فاز وأفلح، ومن ضيعه فقد خسر وخاب، ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ (سورة الفرقان: ٢٣).

وقد قيض الله لهذه الأمة علماء ربانيين، يبينون معالم هذا الدين، ومن أبرزهم الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، الذي ألّف كتابه العظيم: (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد)، فصار علمًا على هذا الباب، ومرجعًا لكل من أراد أن يفهم حقيقة «لا إله إلا الله» وما يناقضها من الشرك والبدع والضلالات.

وقد شرحتُ هذا الكتاب شرحاً سهلاً مختصراً غير مخل، بعيداً عن التويل الممل أو الاختصار المخل، جامعاً بين البيان والوضوح، والتقريب والتبسيط، ليكون ميسراً للطالب المبتدئ، نافعاً للمتوسط، ومذكراً للمتتبع. فجعلت همي في هذا الشرح تقريب المعاني العظيمة لهذا الكتاب، ليصل نفعه إلى عامة المسلمين وخاصتهم، ويكون حجة لنا لا علينا يوم نلقى الله.

وشرح هذا الكتاب في الحقيقة هو شرح لرسالة الإسلام كلها؛ لأنه يبين معنى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»، الكلمة التي قامت بها السماوات والأرض، ومن أجلها قامت الحروب، وسالت الدماء، وانقسمت البشرية إلى مؤمن وكافر، وسعيد وشقي.

وهنا أيها الأحبة ...

اعلموا أن التوحيد هو سرّ النجاة، وسبب الحياة، ومفتاح الجنة، وحاجز النار، هو أوّل واجب على المكلفين، وأعظم ما يُسأل عنه العبد بين يدي رب العالمين.

هو الحق الذي بُعث به الأنبياء، والنهج الذي سار عليه الأصفياء، من تمسك به سعد ونجا، ومن ضيَّعه خسر وغوى.

به قامت السماوات والأرض، وبه تميّزت دار السعادة من دار الشقاء، وبه يُعرف أولياء الرحمن من أعداء الشيطان.

وإن من أجلّ ما أُلّف في بيان هذا الأصل العظيم، وتوضيح هذا الركن

القويم، كتاب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد. كتاب جمع فأوعى، وبين فأفصح وأقنع، حتى صار علماً للموحدين، وراية يهتدي بها السالكون.

فيا عبد الله ... أقبل على هذا الكتاب بقلبك قبل سمعك، وتأمل معانيه بروحك قبل بصرك، فإنه ليس كتاباً كسائر الكتب، بل هو حياة القلوب، وزاد الأرواح، ومنار السالكين إلى رب الأرض والسموات. أسأل الله أن يجعل هذا الجهد خالصاً لوجهه الكريم، وأن يبارك فيه، وينفع به، وأن يجعله لبنة في بناء الإيمان، وسُلماً يرقى به العبد إلى دار الرضوان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«الحمد لله ، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم»

١- كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: ٣٦] الآية.

وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبِّيَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٣] الآية.

وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء: ٣٦] الآية.

وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة الأنعام: ١٥١] الآيات.

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ وَصِيَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي عَلَيْهَا خَاتَمَةٌ؛ فَلْيَقْرَأْ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إِلَىٰ

قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ [سورة الأنعام: ١٥١-١٥٣]» ^(١).

وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ حِمَارٍ ، فَقَالَ لِي: يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٧٠)، وحسنه الوادعي.

اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذَّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ، قَالَ: «لَا تُبَشِّرُهُمْ فَيَتَكَبَّرُوا»، أخرجه في «الصحيحين» (١).

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾.

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل الخامسة أن الرسالة عمت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، ففيه معنى

قوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦].

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها

عشر مسائل، أولها: النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها

الله بقوله: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ (٢٢).

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٦)، ومسلم (٤٩).

وختتمها بقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٩].

ونبهنها الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ [سورة الإسراء: ٣٩].

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى

بقوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء: ٣٦].

الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حق الله تعالى علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم الله ورسوله أعلم.

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل.

الرابعة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.

شرح الباب

هذا الباب هو الباب الأول من كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهو بمنزلة المقدمة، إذ جمع فيه أدلة محكمة من القرآن والسنة وأقوال السلف، تُبين الغاية العظمى من خلق الجن والإنس، ومن إرسال الرسل، وهي تحقيق التوحيد.

شرح الباب:

أولاً: شرح النصوص الأساسية (الآيات) لفظاً ومعنى ودلالة

① قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

هذه الآية صريحة في بيان الغاية من الخلق، وهي العبادة. والعبادة لا تتحقق إلا بالتوحيد، فمن عبد الله وأشرك معه غيره فما حقق العبادة.

• المغزى: الخلق له غاية عبودية لله: كل حياة وموجود خلق لعبادته، من صرف العبودية لغير الله أضاع الغاية.

② قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل: ٣٦] الآية.

يبين أن مهمة كل رسول هي دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، والنهي عن عبادة غيره.

فكل الشرائع اتفقت في أصل التوحيد، واختلفت في الفروع.

- دلالة: عمومية الرسالة: كل أمة أُرسل فيها رسول يدعو للتوحيد وينهى عن الطاغوت.

تعريف الطاغوت: كل ما طغى عن حدِّ الرسالة الإلهية وصُرف للعبادة من دون الله (أوثان، شياطين، أهوى بشرية، بدع تُعبد فعلاً أو بباطن).

- 3 قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء: ٢٣] الآية.

أمر بعبادته وحده، وقرن حق الوالدين بحقه لعظمهما.

- 4 قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء: ٣٦] الآية.

أمر بالعبادة مقروناً بالنهي عن الشرك، وهذا هو التوحيد بعينه.

- 5 قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة الأنعام: ١٥١] الآيات.

هذه الآيات عند السلف وصية رسول الله ﷺ التي ختم عليها.

أول ما جاء فيها: النهي عن الشرك، وآخرها: الأمر باتباع الصراط المستقيم.

- وظيفتها: جملة وصايا شرعية أخلاقية وعقائدية، تبدأ بالنهي عن الشرك ثم تجري لباقي التشريعات؛ تُعدّ وكأنها «خلاصة الوصايا» التي تضم المبادئ الأساسية للشرعية.

ثانيًا: شرح النصوص الأساسية (الأحاديث) لفظاً ومعنى ودلالة

حديث معاذ رضي الله عنه: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟...»:

• مضمون الحديث: يوضح حق الله على العباد أن يُعبد وحده لا يُشرك،

وحق العباد على الله أن لا يُعذب من لا يشرك به شيئاً.

تأويل نصيحة النبي: النبي حذر: لا تُبشّر الناس بخلاصٍ مطلقٍ حتى لا

يتكلوا... أي: لا تجعل البشر يظنون أن مجرد حرف يكفي بلا عمل، إخلاص،

توبة.

ويبين أيضاً كرم الله: أن من حقق التوحيد ضمن له الله ألا يُعذّبه.

تنبيه تربوي: لهذا السبب قال النبي ﷺ: «لا تبشرهم فيتكلّوا» تحفظاً من أن

يفهم هذا الحديث رخصةً للمعصية أو الاتكال على لفظٍ خاوي من الإخلاص.

ثالثاً: قراءات عقديّة وسلوكيّة مُستفادة من النصوص

التوحيد هو المقصد الأول... لا يكفي لفظ التوحيد وحده إن لم يكن

مصحوباً بالعلم والإخلاص والعمل.

النصوص تُظهر أن وعد رحمة الله عظيم لمن خَلَصَ توحيدَه، لكنها لا

تفوّض بالمعصية أو التكاثر عن العمل الصالح.

ثنائيات في النص: (حقّ الله - حقّ العباد)، (تبرؤ من الطاغوت - إثبات

العبادة لله)، (الإيمان - الأعمال).

رابعاً: توضيح ألفاظ ومفاهيم محورية

الطاغوت: أي كل ما يُعبد من دون الله أو يُطاع مع عصيان الله (أوثان، سحرة، كهان، أو حتى أهواء بشرية تُرفع منزلة العبادة).

الوصايا في الأنعام والإسراء والنساء: مثل كتيب موجز يشتمل على أصول العبادة والأخلاق والعقيدة.

خامساً: شرح المسائل الواحدة تلو الأخرى (المذكورة في النص: المسائل من الأولى إلى الرابعة وعشرون):

سأعرض كل مسألة مرقّمة مع شرح واضح ودليل مختصر وتطبيق عملي إن لزم.

المسألة (١): الحكمة في خلق الجن والإنس

الشرح: الغاية من الخلق هي العبادة، تحقيق معرفة الله وعبادته، وبلوغ مقام التوحيد في القول والعمل.

دليل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

تطبيق: كل عمل يُقَوِّم على قاعدة: هل هذا العمل عبادة وهل فيه إخلاص لله؟

المسألة (٢): أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه

الشرح: الخلاف بين الأنبياء وأقوامهم كان في مسألة العبادة، القصد أن العبادة تُخصّص للخالق. لذلك العبادة هي ظاهر التوحيد.

تطبيق: مناقشة الفرق بين العبادات الحقيقية (دعاء، ذبح، نذر... إلخ) وأي عمل يُحوّل إلى عبادة لغير الله.

❖ المسألة (٣): من لم يأت به (التوحيد) لم يعبد الله، ففيه معنى قوله تعالى: (وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ).

❖ الشرح: إن عبادة الأشياء من دون الله لا تُعد عبادة لله؛ فعبادة الملائكة أو الأولياء أو القبور إن كانت مقصودة للقبول من الخالق فهي شرك.

❖ تطبيق عملي: التفريق بين طلب الشفاعة بذكر النبي، الصالحين بصيغة أدب ومكانتها في الشريعة، وبين تقديم العبادة لغير الله.

❖ المسألة (٤): الحكمة في إرسال الرسل

❖ الشرح: توضيح العبادة الحقّة وهداية الناس من عبودية الطغيان إلى عبودية الله.

❖ تطبيق: دراسة سيرة الرسل كدروس في دعوة التوحيد.

❖ المسألة (٥): أن الرسالة عمت كل أمة

❖ الشرح: لم تخلُ أمة من دعوة نبوية للتوحيد، وهي عمومية وظيفية للرسالة الإلهية.

❖ دلالة فقهية - تاريخية: اختلاف التشريعات الجزئية لا يلغي وحدة مقصد التوحيد.

❖ المسألة (٦): أن دين الأنبياء واحد

❖ الشرح: جوهر الدين (توحيد الربوبية والألوهية والإيمان بالرسول والكتب) واحد، تختلف شرائع الأحكام التفصيلية بحسب زمان الأمة.

❖ تطبيق: الاعتراف بوحدة الرسالة عند مقارنة الأديان السماوية.

❖ المسألة (٧): المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر

بِالطَّاعُوتِ فِيهِ مَعْنَى قَوْلِهِ: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاعُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ) سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٢٥٦

❖ الشرح: تجريد العبادة لله يقتضي نفي طاعة وعبادة كل طاغوت - الانفكاك عن عبودية المنافسين لله.

❖ تطبيق: مراجعة سلوكيات عظيمة قد تقرب الناس إلى عبادة أهوائهم أو الأوثان (التعلق بالمشاهير، بالمال...).

❖ المسألة (٨): أن الطاعوت عام في كل ما عبُد من دون الله

❖ الشرح: الطاعوت يشمل كل من يطغى على الحق ويُعبد من دون الله - ليسرُد على أنواع الشرك.

❖ تطبيق: تحليل نماذج شرك معاصر كالتمجيد المطلق للزعيم أو عبادة المال.

❖ المسألة (٩): عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل، أولها النهي عن الشرك

❖ الشرح: السلف أعطوا هذه الآيات منزلة خاصة لأنها تلخص التوحيد والوصايا الأساسية.

❖ تطبيق: قراءتها عند المحاضرات الدينية كخلاصة للتوحيد.

❖ المسألة (١٠): آيات سورة الإسراء (آداب الوصايا) وفيها ثمانية عشر

مسألة -ابتدأها (لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا) (٢٢) وختمها بنفس التحذير

❖ الشرح: هذه الآيات تربط العقيدة بالأخلاق العملية (برّ الوالدين، نصح

الأيتام، قضايا قياس العدل... إلخ) وتؤكد التوحيد في البداية والنهاية.

• تطبيق: استخدام الآيات كأساس للدعوة المتكاملة: عقيدة + أخلاق.

♦ المسألة (١١): آية النساء (آية الحقوق العشرة) وبدئها بـ (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ

وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) [سورة النساء: ٣٦].

• الشرح: هذه الآية تجمع أوامر وألفاظاً تتعلق بالعبادة وحقوق العباد والواجبات، وتضع التوحيد في المقام الأول.

• تطبيق: استخلاص نظام أخلاقي من الآية وتدرّسه.

♦ المسألة (١٢): التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته

• الشرح: وصايا النبي المتعلقة بأصول الدين تشمل التوحيد ووجوب التمسك بالصلاة ونهيه عن الشرك والمواريث والحقوق.

• دلالة: التذكير بأن نهاية الرسالة هي التمسك بالتوحيد.

♦ المسألة (١٣): معرفة حق الله علينا

• الشرح: أعظم حق على العبد أن يُعبد الله وحده؛ هذا هو المقصد الأول لجميع التشريعات.

• تطبيق عملي: محاسبة النفس إن كانت العبادة موجهة لله أم لغيره.

♦ المسألة (١٤): معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه

• الشرح: إذا أدى العبد حق الله (التوحيد) صار عند الله وعد أو غفران على شرط الإخلاص وعدم الشرك.

• دليل: حديث معاذ حق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك.

المسألة (١٥): أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة

الشرح: إشارة إلى أن الصحابة كانوا بحاجة إلى تذكير وتلقين التوحيد (كما جرى مع معاذ)، وهذا يدل على ضرورة التعليم المتكرر.

تطبيق: لا تغترّ بكون الإنسان مسلم لفظياً، فيه حاجة للتعليم المتكرر.

المسألة (١٦): جواز كتمان العلم للمصلحة

الشرح: النبي ﷺ قال: «لا تبشروهم فيتكلموا»، أي: أنه جاز أن يكتُم بعض البشارة إن كان إظهارها يضرّ بالتكالّف على الناس ويؤدي إلى القعود عن العمل.

تطبيق: الحكمة في الدعوة: إظهار العلم متى يُثمر، وكتّمه إذا كان يؤدي إلى غلطٍ أو فتنة.

المسألة (١٧): استحباب بشارة المسلم بما يسره

الشرح: بشر المؤمن بما يُسرّه (كالبشارة بفضل التوحيد) لكن بحكمة لمنع الاتكال.

تطبيق: التبشير بالأجر والثواب لكن مع آليات تربوية تُشجّع العمل.

المسألة (١٨): الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله

الشرح: الإيمان برحمة الله عظيم، لكن الخشية أن يظنّ البعض أن الرحمة تُبرر التكاسل عن العمل أو المواصلة في المعصية.

تطبيق تربوي: الجمع بين الرجاء والخوف: الرجاء في رحمة الله مع الخوف من الاتكال.

◆ المسألة (١٩): قول المسؤول عما لا يعلم "الله ورسوله أعلم"

• الشرح: عند السؤال عن المسائل العلمية ينبغي الاعتراف بالجهل إن لم يُعرف، والتحويل إلى الهدي النبوي، الكتاب.

• تطبيق: التواضع العلمي: لا تزعم باليقين فيما لا تملك أدلة عليه.

◆ المسألة (٢٠): جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض

• الشرح: النبي خصّ معاذاً بهذا العلم لما رأى فيه الاستعداد، فالأئمة قد يختارون بعض التلامذة للتعليم الخاص.

• تطبيق: التفريق بين التعليم العام والتعليم الخاص حسب الاستعداد والحاجة.

◆ المسألة (٢١): تواضع النبي ﷺ لركوب الحمار، مع الإرداف عليه.

• الشرح: سلوك النبي في البساطة والرفق، وإرداف الصحابي رمز للرفق وليس امتهاناً.

• تطبيق: الاقتداء بتواضع النبي وعدم الترفع.

◆ المسألة (٢٢): جواز الإرداف على الدابة

• الشرح: يجوز أن يركب شخصان على دابة واحدة عند الحاجة بشرط السلامة والظروف، وهو مذكور في الفقه النبوي.

• تطبيق عملي: مراعاة العدل والراحة ومصلحة الركوب.

◆ المسألة (٢٣): فضيلة معاذ بن جبل.

• الشرح: اختياره لتلقي هذه الرسالة منه دليل على فضيلته وإخلاصه وعلمه.

• تطبيق: تعظيم العلماء الصادقين والحثّ على التعلّم من أهل العلم.

♦ المسألة (٢٤): عظم شأن هذه المسألة

• الشرح: هذه المسائل أصل الدين؛ لذا أعطيت منزلة خاصة في الكتاب، فهي أصل لا بدّ منه للمنهج الإسلامي الصحيح.

• تطبيق: جعل التوحيد أول ما يُعلّم للمجتمع والتعليم العام.

خامساً: مسائل تطبيقية وعملية مستخلصة للنفس الفردي والمجتمع

١- مراجعة الإخلاص: اسأل نفسك دائماً: لماذا أصلي؟ لماذا أدعو؟ هل أبتغي وجه الله؟

٢- مكاشفة القلوب: تفقّد وجود التعلّق بالمخلوق الذي قد يُحوّل العبادة إليه (شهرة، مال، منصب).

٣- تعليم متدرّج: علّم التوحيد عملياً قبل تفصيل الفروع؛ اجعل محور المناهج العقدية.

٤- التحذير من الاتكال: الأحاديث التي تبشّر بالنجاة ليست ترخيصاً للمعصية؛ لذلك قال النبي ﷺ «لا تبشّروهم فيتكلموا».

٥- التعامل مع النصوص المؤثرة: بُشّر الناس لكن بحكمة؛ لا تُشجع الاتكال أو التكاثر.

٦- مراجعة صيغ العبادة: تحقق من أن صيغ الدعاء والطلب تُوجّه لله وحده دون شريك بصيغة تعبّدية.

سادساً: توضيحات منهجية وعلمية حول نقاط قد تحتاج إيضاحاً

القول بـ «أن ترك الشرك شرط النجاة»: العلماء عبر القرون أكدوا أن شهادة التوحيد والإخلاص من أصول النجاة، لكن قُيدت بالعلم والعمل والتوبة، لا يجوز استخدام النصوص لبناء رخص شرعية عامة.

إثبات الصفات: أثبت أهل السُّنة الصفات كما وردت دون تشبيه ولا تعطيل، هذا ما يقصده المؤلف في قوله «خلافًا للأشعرية» أي في سياق إنكار تعطيل الصفات أو تأويلها بشكل يذهب لمعناها. لا نزعة للتشبيه هنا.

أحاديث البشارة والمغفرة: تُفهم ضمن منظومة: الإيمان + الإخلاص + التوبة لا يصبح تذكرة للتراخي.

سابعاً: خاتمة موجزة ونصيحة عملية

١- الخلاصة: هذا الباب يؤكد أن التوحيد هو أصل الدين، وأن نفي الطاغوت وإفراد الله بالعبادة سبب للإنقاذ والرحمة، لكن لا بد من فهم تامٍّ لشروط قبول التوحيد: العلم، والإخلاص، والعمل، والتوبة.

٢- نصيحة: ابدأ بحفظ الآيات والأحاديث المذكورة، ثم اجعل لكل من المسائل الأربع والعشرين بطاقة صغيرة تذكر فيها المعنى والدليل والتطبيق.

٣- عرض عملي: إذا رغبت، أعدِّ لك:

أ- ملف ملخص للطباعة (ورقة واحدة لكل مسألة)؛ أو

ب- بطاقات مراجعة (Flashcards) للعشرين والرابعة مسائل مع أسئلة وجواب؛
أو

ج- درس فيديو، نصي مبسط تدرّجي مكوّن من ٣ محاضرات قصيرة (تعريف
- أدلة - تطبيق).

خلاصة الباب:

- الغاية من الخلق: عبادة الله وحده.
- الغاية من إرسال الرسل: تقرير التوحيد والنهي عن الشرك.
- حقيقة العبادة: لا تتحقق إلا بتوحيد الله والكفر بالطاغوت.
- التوحيد هو أعظم حق لله على العباد، وهو الذي جاءت به الرسل وأنزلت
به الكتب، وهو أول واجب على المكلف.

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢] الآية.
عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»، أخرجه ^(١).

وَلَهُمَا فِي حَدِيثِ عِثْبَانَ: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَنْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ» ^(٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ عَلَّمْنِي شَيْئًا أَذْكُرُكَ، وَأَدْعُوكَ بِهِ»، قَالَ: «قُلْ يَا مُوسَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، قَالَ: «يَا رَبِّ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُ هَذَا»، قَالَ: «يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَعَامِرُهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ فِي كِفَّةٍ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ، مَالَتْ بِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، رواه ابن حبان، والحاكم وصححه ^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٠١)، ومسلم (٢٦٣)، وهو جزء من حديث طويل.

(٣) ضعيف إلا قوله: (لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ... إلخ صحيحة لشواهدهما)، الحديث أخرجه النسائي (١٠٦٧٠/٦)، وابن حبان (٦٢١٨)، وضعفه الألباني في «ضعيف موارد الظمان» (١٩٢)، وضعفه الوادعي في «تبعه لأوهام الحاكم في المستدرک» (١/ ٧١٨).

وللترمذي وحسنه عن أنس رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»^(١).

✍ فيه مسائل:

الأولى: سعة فضل الله.

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة: تفسير الآية التي في سورة الأنعام.

الخامسة: تأمل الخمس اللواتي في حديث عبادة.

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول:

(لا إله إلا الله) وتبين لك خطأ المغرورين.

السابعة: التنبيه للشرط الذي في حديث عتبان.

الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل (لا إله إلا الله).

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرا ممن يقولها يخف

ميزانه.

العاشر: النص على أن الأرضين سبع كالسموات.

الحادية: عشرة أن لهن عمارة.

الثانية عشرة: إثبات الصفات، خلافا للأشعرية.

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وهو حسن لغيره.

الثالثة عشرة: أنك إذا عرفت حديث أنس، عرفت أن قوله في حديث عتبان: (فإنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ) أنه ترك الشرك، ليس قولها باللسان الرابعة عشرة تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوله.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة: معرفة كونه روحا منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله: (عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ).

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان.

العشرون: معرفة ذكر الوجه.

شرح باب: فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

النصّ المركزي: (آية [الأنعام: ٨٢] وحديث عبادة بن الصامت، وحديث عتبان، وحديث موسى، وحديث أنس).

أولاً: شرح النصوص (الآيات والأحاديث) واحدةً واحدةً:

① الآية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢] الآية.

المعنى اللغوي: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: لم يخلطوا إيمانهم بشيء من الظلم. في القرآن مرادف (الظلم) عند السياق كثيرًا هو الشرك أو إضلال الحق.

المغزى العقدي: الإيمان الخالص بلا شرك هو الذي يثمر الأمن (الأمان من عذاب الله) والهداية. من لبس إيمانه بشرك فقد نقصت حصيلته العقدية وإن لم تبق الحماية.

تطبيق عملي: التمييز بين إيمان لفظي وإيمان لا يختلط بعبادة لغير الله.

② حديث عبادة بن الصامت: نصّه (مختصر):

«مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» (متفق عليه).

﴿ تفصيل ألفاظه: ﴾

١- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»: تنزيه التوحيد: نفي الشرك وإفراد الله بالربوبية والألوهية.

٢- «مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»: إقرار بنبوة محمد وعبوديته لله.

٣- «عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ»: إقرار بمحمد وموسى وعيسى كعباد ورسل، وخصوصية عيسى ككلمة مخلوقة بروح من الله (تفصيله في القرآن).

٤- «الْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ»: الإيمان بالبعث والجزاء.

٥- «أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»: يدل على عناية التوحيد وخاصيته في النجاة، لكنه لا يجعل من ذلك مبرراً للاستمرار في المعصية بلا توبة.

✍ ملاحظات عقدية وتربوية:

التركيز هنا على الإقرار القلبي والقول بالحق، مع معرفة معانيه، لا مجرد لفظ بلا اعتقاد.

ذكر عيسى بكلمات (كلمة) و(روح) يعني تأكيد حقيقة نبوته وكونه مخلوقاً بخلق الله، لا إلهاً.

عبارة: «عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ» أخذت عند العلماء بمعانٍ متنوعة: بعضها يفهمها على أنه فضل رحماني يدخل المسلم الصادق حتى لو كان عمله قليلاً، وبعضها يعتبرها بياناً لاستثناء رحمة الله لمن صدق توحيده لكن لا تبيح المعصية.

③ حديث عتبان: «فَإِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ»

➤ المعنى: من قال: (لا إله إلا الله مخلصاً لوجه الله) أي: مبتغياً رضا الله وإخلاصاً في العبادة: فالله حَرَّمَ على النار أن تضعه فيها (أي: حَرَّمَ أن يدخل النار).

➤ الشرط المهم: النية والإخلاص «يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ» لا تكفي اللفظة بغير إخلاص أو مع الشرك الباطن.

④ حديث موسى: صورة تصويرية لوزن كلمة التوحيد.

الحديث يبين أن قول (لا إله إلا الله) أثقل عند الله من السموات والأراضين السبع: تعبير عن عظمة وزن التوحيد وقيمته مقابل كل المخلوقات. الحكمة العقدية: تبيان أن توحيد الله غاية تتفوق على كل الأعمال والخلق، وأن الإخلاص له منزلة عظيمة.

⑤ حديث أنس (نمط رحمة الله): «يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً».

(قُرَاب) هنا مقدار يشير إلى كمية هائلة جداً (جلاد، جلدة ماء الخِزَّان)، فالتشبيه للتأكيد على أن كثرة الذنوب تُمحى إن لقي العبد ربه دون شريك. الشرط مجدداً: عدم الشرك (لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا).

➤ الخلاصة: التوحيد ممرٌ لمغفرة رحيمة عظيمة، لكنه مرتبط بجملة شروط (إخلاص، توبة، إخلاص القلب) لا يبيح الاستمرار في الذنوب.

ثانيًا: شرح المسائل المترتبة (بيان كل مسألة كما وردت في النص - واحدة تلو الأخرى)

سأذكر كل مسألة كما وردت وأشرحها بإيجاز مفيد:

◆ المسألة (١): سعة فضل الله

النصوص تظهر رحمة الله الواسعة ومغفرته العظيمة لمن صدق في توحيده.

❧ تطبيق: لا يأس من رحمة الله لكن لا تبرير للمعاصي.

◆ المسألة (٢) كثرة ثواب التوحيد عند الله

توحيد الله أعمق الأعمال أثرًا وأعظمها أجرًا، لذلك ذكرت هذه النصوص لبيان فضله العظيم.

◆ المسألة (٣) تكفيره مع ذلك للذنوب

النصوص تشير إلى أن التوحيد الخالص قد يؤدي إلى مسح الذنوب أو قبول العبد برحمة الله، لكن مع فهم: ليس تصريحًا مطلقًا بأن مجرد اللفظ يكفر الذنوب دون شروط.

◆ المسألة (٤) تفسير الآية (٨٢) من سورة الأنعام

❧ تفسيرها: الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بالشرك (الظلم)، أولئك لهم الأمن، الآية تضع التوحيد شرطًا للأمان والاهتداء.

◆ المسألة (٥) تأمل (الخمس اللواتي) في حديث عبادة

الخمس هي:

١- لا إله إلا الله (تفريد الله)،

٢- محمد عبده ورسوله،

٣- عيسى عبد الله ورسوله (وكلمته وروحه منه)،

٤- الجنة حق،

٥- النار حق.

كل بند من الخمس يثبت ركنًا من أركان الإيمان ويُحبط دعاوى الشرك والفرقان.

◆ المسألة (٦) الجمع بين حديث عبادة وحديث عتبان وما بعده وتبيين معنى (لا إله إلا الله)

❧ النتيجة: (لا إله إلا الله) ليست فقط لفظًا؛ بل نفي العبادة عن المخلوق

وإثباتها لله وحده، مع إخلاص النية وترك الشرك عمليًا وباطنيًا.

◆ المسألة (٧) التنبيه على الشرط في حديث عتبان

❧ الشرط: (يبتغي بذلك وجه الله) أي: إخلاص النية وترك الشرك. هذا

شرط جوهرى لقبول وعد تحريم النار.

◆ المسألة (٨) الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل (لا إله إلا الله)

حتى الأنبياء يذكرون بفضل التوحيد؛ ذلك يدل على عظم الأمر وحاجة كل

الناس إلى التذكير به دائمًا.

◆ المسألة (٩) رجحان (لا إله إلا الله) بجميع المخلوقات رغم أن كثيرًا

ممن يقولها يخف ميزانه

❧ المعنى: لفظ التوحيد في نفسه أثقل من كل خلق، لكن إن لم يكن قلبُ

الإنسان مع اللفظ صار خفيفًا في ميزان الأعمال؛ فالفرق بين لفظ وقلب.

◆ المسألة (١٠) النص على أن الأرضين سبع كالسموات

الإشارة أن للخلق أبعادًا كونية متعددة (سموات وأراضٍ سبع) وما يقاس

بميزان (لا إله إلا الله) يطغى عليها كلها: تعبير عن عظمة الكلمة.

المسألة (١١) أن لهن عمارة

أي: لكل طبقات السماوات والأراضين سكان وعمارة وكل خلق مأهول: أيضاً تشبيه لعمق مقدارها.

المسألة (١٢) إثبات الصفات، خلافاً للأشعرية

هنا التوضيح العقدي: المؤلف (على منهج السلف) يثبت صفات الله كما وردت في الكتاب والسنة دون تحريف (تنزيه عن مشابهة للمخلوق) ولا تعطيل (إنكار)، ولا تكييف (القول كيف). هذا منهج أثري، سلفي في التعامل مع أسماء وصفات الله.

المسألة (١٣) أن ترك الشرك لا يكون بلفظ (لا إله إلا الله) فحسب

المراد: إخلاص القول وترك العبادة لغير الله عملاً وباطناً؛ أي: إنما العمل بقبول الوعد شرطه صدق القلب وترك الشرك.

المسألة (١٤) تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدي الله ورسوله

الغرض: تنزيه عيسى عن الألوهية وتأکید أنه عبدٌ ورسولٌ، مثل محمد؛ هذا يردّ دعوى الألوهية عيسى ويُرسّخ الإيمان بوحداية الله ورسالة الرسل.

المسألة (١٥) معرفة اختصاص عيسى بكونه (كلمة الله)

في القرآن وصف الله عيسى بأنه (كلمةٌ منه) أي أنه خُلِقَ بأمر الله (كن) بطريقة معجزة؛ هذا لا يرفع عيسى إلى مرتبة الألوهية بل يثبت له صفة خاصة في الخلق.

المسألة (١٦) معرفة كونه (روحاً منه)

تفسيرٌ لعلاقة الخلق بين الله وعيسى: (روحٌ منه) في القرآن مفهومه

كمنشأ مخلوقٍ خاص، وليس بمعنى أن له جزءًا من ذات الله أو مشاركة في الربوبية، يُؤخذ نصًّا بلا تمثيل ولا تعطيل.

◆ المسألة (١٧) معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار

الإيمان بالحياة الآخرة وعنصري الجزاء والعقاب من أركان الإيمان، ولهما تأثير تربوي عظيم في تصحيح سلوك الإنسان.

◆ المسألة (١٨) معرفة قوله: (على ما كان من العمل)

شرح: يذكر أن دخول الجنة قد يحصل بهذا الإيمان، الشهادة رغم قلة الأعمال، وذلك بفضل رحمة الله، لكن أخذ العلماء بالحدز: ليس تصريحًا يبيح المعاصي بل بيان لِحَظِّ الرحمة الإلهية.

◆ المسألة (١٩) معرفة أن الميزان له كفتان

المقصود مجازيًا: كفة الأعمال وكفة الإيمان، التوحيد؛ وقد تكون كفة التوحيد أثقل وتغلب، لكن ذلك مرهون بالإخلاص والصدق.

المسألة (٢٠) معرفة ذكر (الوجه)

(يبتغي بذلك وجه الله): الوجه هنا مجاز عن طلب رضا الله وإخلاص العبادة له، التأكيد على نية العبد يجعل العبادة مقبولة.

ثالثًا: قواعد عقديّة وتربويّة مُستخلصة (ضوابط مهمة لا بدّ من التنبيه عليها)

١- لا يصحّ الاعتماد على اللفظ وحده: التوحيد شرطه العلم والقبول والإخلاص والترك العملي للشرك؛ اللسان وحده إن بلا قلب فهو لا يثمر نجاة.

٢- التوبة مطلوبة: إن كان في حياة العبد فعل معصية فإنه لا بد من التوبة والندم والعزم على عدم العودة.

٣- الإثبات بلا تكليف ولا تمثيل: في إثبات أسماء الله وصفاته ثبتها كما وردت دون تشبيه ولا تعطيل ولا سؤال عن الكيف.

٤- الفرق بين نفي الشرك وإثبات الصفات: نفي الشرك يبعد العبادة عن غير الله، وإثبات الصفات يثبت لله ما أثبتته لنفسه من الكمالات.

٥- العمل مطلوب بعد الإيمان: التوحيد مفتاح ولكن العمل هو ثمرة الإيمان؛ فالتوحيد الحقيقي يقود إلى الأعمال الصالحة.

رابعاً: أمثلة عملية موجزة لتطبيق المعاني في واقعنا اليوم

إنسانٌ يقول (لا إله إلا الله) لكنه يضع تماثم، يتوسّل بغير الله، أو يعبد قبوراً: هنا لم ينعكس لفظ التوحيد عملياً، فإيمانه مُختلط.

من آمن حقاً فسيترك الأعمال التي تخصّ العبادة لغير الله (الدعاء لغير الله بطلب القبول، الذبح لغير الله، الحلف بغير الله إلخ).

إذاً: العلم + الإخلاص + ترك الشرك = ثمرة التوحيد.

خامساً: خاتمة موجزة ونصح عملي (ما الذي يجب أن تفعله الآن؟)

١- جدّد شهادة التوحيد بقلبٍ نقيّ: تعرّف معناها ولا تجعله مجرد لسان.

٢- تحرّى الإخلاص في كل عبادة: اسأل نفسك: هل أبتغي وجه الله؟ أم هل

في عملي لي رياء؟

٣- توب ولو بعد ذنب: الله أرحم من أن تُترك التوبة، ولا تتكل على الوعود بلا عمل.

٤- علّم الناس التوحيد عملياً: أبواك، أهلك، الشباب — علمك يجب أن يغيّر الواقع العملي.

٥- أبقَ تذكيراً لنفسك: قراءة هذه الأحاديث والآيات توصل القلب إلى معنى عظم التوحيد.

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٠].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٥٩].

عن حصين بن عبد الرحمن قال: كُنْتُ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ رَأَى الْكَوْكَبَ الَّذِي انْقَضَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: أَنَا، ثُمَّ قُلْتُ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَكُنْ فِي صَلَاةٍ، وَلَكِنِّي لِدَعْتُ، قَالَ: فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ قُلْتُ: ازْتَقَيْتُ، قَالَ: فَمَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قُلْتُ: حَدِيثٌ حَدَّثَنَاهُ الشَّعْبِيُّ فَقَالَ: وَمَا حَدَّثَكُمُ؟ قُلْتُ: حَدَّثَنَا عَنْ بُرَيْدَةَ بْنِ حُصَيْبٍ، أَنَّهُ قَالَ: لَا رُقِيَّةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَةٍ، قَالَ: قَدْ أَحْسَنَ مِنْ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، فَظَنَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»، ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاصَ النَّاسُ فِي أَوْلِيكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ صَحَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الْإِسْلَامِ وَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: «هُمْ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتُونُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ»، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصَنِ، فَقَالَ: «ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ»، فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ؟» ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس في التوحيد.

الثانية: ما معنى تحقيقه.

الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يكن من المشركين.

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد.

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السابعة: عمق علم الصحابة لمعرفة أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة: حرصهم على الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسى.

الحادية عشرة: عرض الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام.

الثانية عشرة: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحد: يأتي وحده.

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلة.

السادسة عشرة: الرخصة في الرقية من العين والحمة .

السابعة عشرة: عمق علم السلف لقوله: (قَدْ أَحْسَنَ مَنْ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ

كَذًا وَكَذًا) فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني.

الثامنة عشرة: بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة: قوله: «أَنْتَ مِنْهُمْ» عَلمٌ من أعلام النبوة.

العشرون: فضيلة عكاشة.

الحادية والعشرون: استعمال المعارض.

الثانية والعشرون: حسن خُلُقِهِ ﷺ.

شرح باب: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

المحرر الأول: التعريف والغرض من الباب

❶ الغرض: بيان منزلة من حقق التوحيد حقًا، أي: أخلص العبادة لله ونفى ما يضادّه، وأن له فضلًا عظيمًا قد يجعله من أهل الرحمة الذين تُخَفَّف عنهم الحساب أو يُدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب. هذا الباب يربط بين صدق العقيدة ونتائجها العظيمة في الآخرة، مع توضيح خصال أهل التوحيد ومحاذير الشرك والبدع.

المحرر الثاني: النصوص وشرحها لفظًا ومعنى

❶ نصوص قرآنية قصيرة مذكورة: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ

يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [سورة النحل: ١٢٠].

﴿قَانِتًا﴾: خاشعًا، مخلصًا، منقادًا لربه.

﴿حَنِيفًا﴾: مستقيمًا على التوحيد، مائلًا عن الشرك.

الآية تَبَيَّنَتْ بحسب النص أن إبراهيم نموذجٌ للتوحيد الخالص.

- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٥٩].

خبر عن حال الصالحين: عبادتهم لله بلا شريك، وهو معيار لقبول الإيمان.

❷ حديث عرض الأمم وما رآه النبي ﷺ (مختصر): روى ابنُ عباس أن

النبي ﷺ رأى أممًا، ورأى أمته فخرج فيهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير

حساب ولا عذاب، لما أخبر عنهم أخبرهم النبي ﷺ بخصالهم: «لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَنْطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ».

ثم دعا بعض الصحابة فدعا لهم، وخصّ بعضاً بالثناء والتشخيص (أنت منهم: لعكاشة).

❧ ملاحظة لغوية: «لَا يَسْتَرْقُونَ» المراد بها هنا في سياق الحديث: ترك التوسّل بوسائل شركية أو اللجوء إلى حلفيات خبيثة؛ «وَلَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَنْطَيَّرُونَ» تدلّ على تخليّهم عن السلوكيات الخرافية والوسائل الوثنية، و(التوكل على الرب) هي خاتمة الخصال.

المحرر الثالث: شرح خواص الأوصاف الواردة في الحديث

① «لَا يَسْتَرْقُونَ»:

❧ المقصود: لا يلجأون إلى الرقى الشركية أو التعوذات المحرمة.

❧ الفرق: الرقية الشرعية (بآيات القرآن ودعاء المشروع) جائزة ونافعة؛ أما التعويذ بالتمائم أو السحر أو طلب الشفاء من كائنات مخلوقة بعبادة فإنها محرومة.

② «وَلَا يَكْتَوُونَ»:

❧ المعنى الظاهر: لا يلجأون إلى الكي للتداوي كوسيلة شعائرية أو خرافية.

❧ التنبيه: الكي الطبي (أو الحمامة، الطب النبوي) إن صحّت لسبب طبي

فلا كراهة فيها عند الأطباء الشرعيين؛ أما ما يُمارَس كطقوسٍ شركية فهو مذموم.

③ «وَلَا يَطْيَرُونَ»:

أي: لا يتأثرون بالخرافات والظنّيات في أسباب الطير أو الأمور المقلقة (التشاؤم بالأمور الفارغة، والاعتماد على الطيرة).

④ «وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»:

الخلاصة: لا يعتمدون على الوسائل المحرّمة أو الخرافات، بل يضعون الثقة والاعتماد الحقيقي على الله مع الأخذ بالأسباب الشرعية.

المحور الرابع: تفسير معنى «دخول الجنة بغير حساب ولا عذاب»

◀ مراد العلماء: هذا فضل مخصوص من الله لمن شاء من عباده؛ لست ملزماً بأن تفسّره بآلية محددة. الرواية تبين أن ثمر التوحيد الخالص أن يخفّف عن بعض المؤمنين من صورة الحساب أو الرقابة الشديدة، ويدخلون برحمة الله.

ضوابط مهمة:

- ١- لا يعني هذا دعوة للتهاون بالعمل أو إطلاقاً للرخصة في المعاصي.
- ٢- الحديث فيه شرط ضمني: التوحيد الحقيقي والتحقّق منه بالقلب والعمل.

٣- النبي ﷺ نهى عن تبشير الناس بهذه المسائل بلا حكمة (لئلا يتكلّوا).

المحور الخامس: شرح المسائل المتبوعة (واحدة تلو الأخرى)

سأعرض المسائل كما وردت لديك (ترقيمك) وأشرح كلاً بإيجاز ووضوح:

❖ ١- معرفة مراتب الناس في التوحيد

❧ الناس متفاوتون: من حقق التوحيد قلباً وعملاً، ومن قاله لساناً فقط، ومن اختلط إيمانه بالشرك. القرآن والسنة يميزان درجات؛ أعلى مراتبها التوحيد المحقق الذي يثمر عتقاً من النار.

❖ ٢- ما معنى تحقيقه

تحقيق التوحيد = علم صحيح + إقرار باللسان + صدق القلب + إخلاص العمل + ترك الشرك ظاهراً وباطناً، ليس مجرد لفظ.

❖ ٣- ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين

التنويه بأن إبراهيم حنيفٌ ونزه عن الشرك يعتبر قدوة: من يخلص لله ويتعد عن الشرك يُثاب عليه ويُذكر بمدح إلهي.

❖ ٤- ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك

الله يثني على من خلا قلبه من الشرك، وهم أولياء الله الذين نالوا مراتب التقوى والخشية.

❖ ٥- كون ترك الرقية والكي من تحقيق التوحيد

❧ المراد: ترك ما يقصد به طلب التأثير والخير بوسائل شركية. لا يعني تحريم كل العلاجات؛ بل محاربة الوسائل التي تقترن بالشرك.

٦- كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل

كل هذه الخصال: (ترك الرقى الشريكة، الكي الخرافي، التطير) تُفْضي إلى توكلٍ صحيح: الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب المشروعة.

٧- عمق علم الصحابة لمعرفة أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل

الصحابة فهموا أن ليس كل مسلم يدخل بهذه المنزلة، وأنها نتيجة عمل وتطبيق للتوحيد. لهذا كانوا يطلبون الدعاء والتقرب.

٨- حرصهم على الخير

عندما علموا بأن هناك فضلاً خاصاً طلبوا أن يجعلهم الله من أهلها؛ هذا دليل على الاجتهاد والهمة العالية.

٩- فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية

الرواية تظهر كثرة أهل الهدى في أمة النبي ﷺ وجودتهم في الإيمان والأخلاق.

١٠- فضيلة أصحاب موسى

في رؤيا النبي ﷺ وُضِع أصحاب موسى بصورة عظيمة — يدل على فضل الأمم الصالحة عند ربّها.

١١- عرض الأمم عليه ﷺ

المشاهدة النبوية لعرض الأمم تدل على أن كل أمة تُعَرَّض على نبيّها وأن القيامة تُحاط بهذه الحسابات.

١٢- أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها

مبدأ مسلم فيه أن الأمة تُحاسب تحت إمامها ونبيّها، وقد تظهر هذه الحقيقة في مفاهيم العقيدة والآخرة.

١٣- قلّة من استجاب للأنبياء

التذكير بأن الاستجابة الحقيقية للرسالات قليلة في كل عصر، رغم عمومية الدعوة.

١٤- أن من لم يجبه أحد يأتي وحده

المعنى: من لم تتلبّسه صحبة نبيّ أو هدى سيحاسب منفرداً؛ كل إنسان مسؤول عن إجابته للدعوة التي تلقاها.

١٥- ثمرة هذا العلم: عدم الاغترار بالكثرة، وعدم الزهد في القلّة

لا تنخدع بكثرة الناس إن كانوا غارقين في الشرك، ولا تحتقر القلّة إن كانوا أهلاً للخير؛ معيارك التوحيد والعمل.

١٦- الرخصة في الرقية من العين والحمّة

ما ذكر سابقاً عن (لا رُقِيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ، أَوْ حُمَةٍ) يوضح أن الرقية لبعض الأدواء المشهورة (كالعين وحُمّة الأذى) لها مقام، لكنها تُقيّد وتحاط بشروط: أن تكون شرعية وبآياتٍ وأذكارٍ لا توصل إلى الشرك.

١٧- عمق علم السلف لقوله: (قَدْ أَحْسَنَ مَنْ انْتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ، وَلَكِنْ كَذًا وَكَذًا)

السلف كانوا يوازنون بين الروايات المختلفة ولا يجعلون الحديث الواحد يتعارض مع وضوح الكتاب والسنة، فهم يحكمون بالجمع والتأويل الصحيح.

١٨- بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه

تحفّظ السلف عن مدح الناس بصفات لم يتحقّقوا منها، ولا يحمّلون الناس ما ليس فيهم، هذا أدب علمي وتربوي.

١٩- قوله: "أنت منهم" علم من أعلام النبوة

عندما يخاطب النبي ﷺ أحد الصحابة ويقول: (أَنْتَ مِنْهُمْ؟) فذلك بيانه النبوي بالقدر والفضل، يدل على علم عرفي من الله للنبي.

٢٠- فضيلة عكاشة

ذكر عكاشة دليل على فضائل بعض الصحابة، وقدوة للناس في السعي للدعاء والعمل.

٢١- استعمال المعارض

المراد: أن النبي ﷺ استخدم العرض والشرح والقصص والأسلوب العملي في التعليم (أساليب تبليغية).

٢٢- حسن خلقه ﷺ

كل ذلك يظهر أخلاق النبي ﷺ: تواضع، علم، حكمة، تشجيع للصحابة، إرشاد بلا تفريط.

المحور السادس: فوائد تربوية وعملية مستخلصة

- ١- لا يلزم منك التهاون: معرفة وجود فضل لا يعطي رخصة للمعصية.
- ٢- اجتهد في تطهير العقيدة: التوحيد علم وعمل وخلق.
- ٣- التَّركُ للجُمْل الشائعة الخرافية: تخلص المجتمع من الخرافات: (الرقى المحرمة، الطيرة، وسائر التصرفات الوثنية).
- ٤- الاعتماد على الأسباب الشرعية والتوكل: خذ بالأسباب المشروعة (الدواء، العلاج النبوي، الحجامة المعتبرة) ثم توكل.

٥- التربية العملية: علم الناس معنى التوحيد عملياً، ودرّهم على ترك الشرك بأشكاله المعاصرة.

المحور السابع: أمثلة تطبيقية مع توضيحات عملية

إنسانٌ يضع تميمة لدرء الحسد: هذا من الشرك أو شبهه، ويخالف حال أولئك الذين «لَا يَسْتَرْقُونَ».

من يعالج بالقرآن والأذكار بطريقة شرعية: هذا يجوز ولا ينافي الحديث. من يتوكل على الله بعد السعي بالدواء والعلاج: هذا مثال توكلٍ صحيح. من يعتقد أن منظر طائرٍ أو رقمٍ يجلب لك الحظ: هذا من التطير ويجب تركه.

المحور الثامن: تنبيهات علمية ونقدية معتدلة

❶ التوفيق بين الأحاديث: عندما يبدو تعارض ظاهر مثل: (بعض الأخبار التي توهم منع الرقية مطلقاً) فإن السلف والعلماء يجمعون ويضبطون بالدلالة العامة للكتاب والسنة والعقيدة.

❷ التمييز بين الرقية المشروعة والمحرمات: الرقية بالقرآن والسنة مشروعة، أما التعاويذ والشرك فالمنهي عنه.

❸ التحفظ في الألفاظ: لا نأخذ الحديث كتبرير للاعتقاد بأن من صادف من الناس هذه الخصال فهو معصوم من المحاسبة؛ الأمر في يد الله وفضله.

✍ خاتمة مختصرة ونصيحة عملية

الخلاصة: هذا الباب يوضح أن التوحيد المحقق هو سبب فضل عظيم في الآخرة، وأن من خصائص أهل هذا التوحيد ترك الخرافات والوثنيات والاعتماد على الله، لكنه أيضاً دعوة للعمل والاجتهاد والتربية العقائدية الصحيحة.

✍ ما تعمل الآن:

- ١- راجع معنى تحقيق التوحيد (علماً واعتقاداً وعملاً وإخلاصاً).
- ٢- راجع ممارساتك وتخلص مما فيه شبهات شركية: (تمائم، تطير، تمجيد مخلوق على حساب العبادة).
- ٣- علم هذه الدروس عملياً في أسرتك ومجتمعك: التوحيد أولاً، ثم الشريعة والأخلاق.

باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [سورة النساء: ٤٨، ١١٦].

وقال الخليل عليه السلام: ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].
وفي الحديث: «أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ»، فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ:
«الرِّيَاءُ»^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»، رواه البخاري^(٢).

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»^(٣).

فيه مسائل:

الأولى: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين.

(١) أخرجه أحمد (٤٢٨ / ٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٩٧).

(٣) أخرجه مسلم (٩٣).

الخامسة: قرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قريهما في حديث واحد.

السابعة: أنه من لقيه لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار ولو كان من أعبد الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة: سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر، لقوله: ﴿رَبِّ إِيَّاهُنَّ أَضَلَّلَنَّا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٦].

العاشر: فيه تفسير (لا إله إلا الله) كما ذكره البخاري.

الحادية عشرة: فضيلة من سلم من الشرك.

شرح باب الخوف من الشرك

الغرض: بيان عظم خطر الشرك، لأنه أعظم الذنوب، وأخطر ما يخاف على العباد، وأن الخوف منه واجب على كل مسلم.

هذا الباب يربط بين الخوف من الشرك وبين السلامة من النار وبلوغ الجنة، ويبين أن التقوى الحقيقية تبدأ بصدق التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده.

المحور الثاني: النصوص وشرحها

① الآية القرآنية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾

[سورة النساء: ٤٨، ١١٦].

➤ المعنى: الشرك أكبر الذنوب، وهو سبب عدم الغفران إذا لم يتب منه صاحبها.

➤ الحكمة: تحذير شديد من الله لعباده بأن الشرك لا يغفر إلا بالتوبة الخالصة قبل الموت.

② دعاء الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾

[إبراهيم: ٣٥]:

➤ المعنى: تعليم التوحيد وطلب الوقاية من عبادة الأصنام.

➤ الحكمة: الوقاية المبكرة من الشرك واجبة على كل مؤمن، سواء لنفسه أو لأهله.

③ حديث الرياء: «أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ: الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ»، فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ: «الرِّيَاءُ»

➤ المعنى: الرياء - أي عمل الإنسان ليراها الناس أو يمدحوه - هو من الشرك الأصغر.

➤ الحكمة: حتى الأعمال الظاهرة للتعوي يجب أن تكون خالصة لله، فالرياء يقرب الإنسان للشرك.

④ حديث ابن مسعود عن دعاء من دون الله: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نَذَا دَخَلَ النَّارَ»:

➤ المعنى: الشرك العملي (الدعاء لغير الله) مخرج من دائرة الإسلام إذا لم يتب منه.

⑤ حديث جابر عن لقاء الله: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ»:

➤ المعنى: الخلاص والنجاة في الآخرة مرتبطة بعدم الشرك، حتى لو كان الشخص من أعبد الناس.

المحور الثالث: شرح المسائل (١-١١)

①- الخوف من الشرك

واجب على كل مسلم، لأنه أعظم الذنوب وأخطرها على الدوام.

②- الرياء من الشرك

عمل المرء ليري الناس هو شرك أصغر؛ يحذر منه النبي ﷺ باعتباره أقرب

ما يخاف على الصالحين.

❖ ٣- أنه من الشرك الأصغر

لا يُخرج الإنسان من الإسلام غالبًا، لكنه يفسد العمل ويجعله مردودًا ولا يقبله الله إذا لم يتب منه.

❖ ٤- أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين

الرياء والشرك الأصغر يذهب ثواب الأعمال ويؤثر على الإخلاص، وهو سبب خوف الصحابة والسلف الصالحين.

❖ ٥- قرب الجنة والنار

الحديث يبيّن أن الشرك يفرق بين الدخول إلى الجنة أو النار مباشرة، فهما قريبان جدًا بحسب ما يظهر في النصوص.

❖ ٦- الجمع بين قريهما في حديث واحد

في نفس الحديث يُذكر أن هناك فرقًا بسيطًا بين أهل الإخلاص وأهل الشرك، وهو أمر يضع الإنسان في حالة يقظة مستمرة.

❖ ٧- أنه من لقيه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار، ولو كان من أعبد الناس

لا ينفع كثرة العبادات أو الجهد في العبادة إذا شابهها الشرك.

❖ ٨- سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام

ال خليل عليه السلام علّم نفسه وأهله الوقاية من الشرك بالأدعية العملية، وهذا نموذج لكل أسرة.

❖ ٩- اعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ سورة

إبراهيم: ١٣٦.

الاعتبار أن الشرك خطر على الناس جميعًا، وكثرة الضلال دليل على ضرورة الحذر واليقظة الدائمة.

١٠- فيه تفسير (لا إله إلا الله) كما ذكره البخاري

معنى التوحيد الحقيقي: إخلاص العبادة لله وحده، وترك كل ما يُشرك بالله في العبادة أو الدعاء أو التوسل.

١١- فضيلة من سلم من الشرك

من سلم من الشرك دخل الجنة وأعماله مقبولة، وهو محفوظ من أكبر خطر يمكن أن يهدد الإيمان.

المحور الرابع: الفوائد العملية والعقدية

١- ضرورة مراقبة النية في الأعمال: الإخلاص لله وحده.

٢- حماية الأسرة من الشرك: تعليم الأبناء الدعاء والعبادة الصحيحة.

٣- اليقظة من الرياء والشرك الأصغر: أي عمل يُقصد به الناس قد يكون شركًا صغيرًا.

٤- خطر الشرك ولو باللسان أو النية: دعاء من دون الله، التوسل بالمخلوق، أو طلب الرياء.

٥- تعظيم معنى التوحيد: (لا إله إلا الله) تعني إخلاص العبادة لله وحده، وإبطال كل شرك.

المحور الخامس: أمثلة عملية

❶ الرقية الشرعية: جائزة إن كانت بالآيات والأدعية، وليست لتمائم أو شرك.

الابتعاد عن الطقوس الشركية: مثل الكي المعتقد له تأثير روحاني أو ربط الحظ بالأصنام.

➤ التربية الأسرية: تعليم الأبناء أن يعبدوا الله وحده، كما فعل الخليل عليه السلام.



باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقوله الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» - وفي رواية: «إِلَى أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ» - فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»، أَخْرَجَاهُ (١).

وَلَهُمَا عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرٍ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقِيلَ: هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ، فَأَتِي بِهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرُهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ^(١)، «يَدُوكُونَ»، أي: يخوضون.

فيه مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبعه ﷺ.

الثانية: التنبيه على الإخلاص، لأن كثيرًا لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه.

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حسن التوحيد: كونه تنزيها لله تعالى عن المسبة.

الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبة لله.

السادسة: وهي من أهمها - إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم ولو لم يشرك.

السابعة: كون التوحيد أول واجب.

الثامنة: أن يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة.

التاسعة: أن معنى: (أَنْ يُوحِدُوا اللَّهَ) معنى شهادة: أن لا إله إلا الله.

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب، وهو لا يعرفها، أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، ومسلم (٤٠٦).

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النهي عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحجب .

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله: (لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ) إلخ. علم من أعلام النبوة.

العشرون: تفلّه في عينيه علم من أعلامها أيضا.

الحادية والعشرون: فضيلة علي رضي الله عنه.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة في دوّكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى.

الرابعة والعشرون: الأدب في قوله: (عَلَى رِسْلِكَ).

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة، لقوله: (وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ).

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله تعالى في الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يده رجل واحد.

الثلاثون: الحلف على الفُتيا.

شرح باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

الغرض: بيان فضل الدعوة إلى الله، وأن الشهادة بأن لا إله إلا الله هي أهم واجب على المسلم، وأنها بداية كل عبادة.

هذا الباب يربط بين الدعوة الصحيحة، الإخلاص، التدرج في التعليم، وتحقيق التوحيد في حياة الناس.

المحور الثاني: النصوص وشرحها

① الآية القرآنية: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].

➤ المعنى: الدعوة إلى الله تكون بالعلم والبصيرة والتمييز بين الحق والباطل، مع التوحيد والتنزيه من الشرك.

② حديث معاذ بن جبل: عند بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةً أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»:

➤ المعنى: التدرج في الدعوة، البدء بالأساسيات، وهو التوحيد الخالص قبل تعليم الفرائض الأخرى.

③ تعليم الفرائض بعد التوحيد:

فرض الصلوات، الزكاة، تحريم الظلم وكرائم الأموال، وضرورة اتقاء دعوة المظلوم.

❖ الحكمة: الدعوة تتم وفق ترتيب أولويات شرعي، لتثبيت الناس على الدين تدريجيًا.

4 حديث يوم خير:

فضيلة هداية واحد على يد الداعي خير من حمر النعم.

❖ الحكمة: قيمة الدعوة عظيمة، ولو قوبلت المشقة والتعب فهي سبب للثواب العظيم.

المحور الثالث: شرح المسائل (١-٣٠)

❖ ١- الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ

اتباع سنة النبي ﷺ في التعليم والدعوة واجب.

❖ ٢- التنبيه على الإخلاص

لا يكون الدعاء للحق وسيلة لمصلحة شخصية أو مدح من الناس.

❖ ٣- البصيرة من الفرائض

المعرفة الصحيحة للحق والباطل شرط للدعوة الناجحة.

❖ ٤- من دلائل حسن التوحيد تنزيه الله تعالى عن المسببة

أي أن الله عزيز لا يمس، وهذا أساس الإيمان.

❖ ٥- من قبح الشرك كونه مسببة لله

الشرك حرام لأنه يربط المخلوق بملك لله عز وجل.

❖ ٦- إبعاد المسلم عن المشركين لئلا يصير منهم

الحذر من مجالس الشرك والأفعال التي تقود إلى الكفر أو الشرك الصغير.

٧- التوحيد أول واجب

أي: تعليم التوحيد قبل الصلاة أو الصدقة أو أي عبادة أخرى.

٨- يبدأ به قبل كل شيء، حتى الصلاة

كما رأينا مع معاذ، تعليم التوحيد أولاً ثم الفرائض الأخرى.

٩- معنى (أن يوحدوا الله) هو شهادة أن لا إله إلا الله

أساس كل عبادة، ولا عبادة بدونها صحيحة.

١٠- الإنسان قد يكون من أهل الكتاب ولا يعرف التوحيد أو يعرفه ولا

يعمل به

التعليم الواجب هو الإرشاد والتقويم.

١١- التعليم بالتدريج

البدء بالأساسيات ثم التفاصيل، لتثبيت العقيدة في النفس.

١٢- البدء بالأهم فالأهم

التوحيد قبل الفرائض العملية.

١٣- مصرف الزكاة

تعليم الناس الحقوق المالية المفروضة، بعد التوحيد.

١٤- كشف العالم الشبهة عن المتعلم

توضيح الأمور التي قد تُفهم خطأ.

١٥- النهي عن كرائم الأموال

تحذير من أكل أموال الناس بالباطل، بعد تعليمهم الفرائض المالية.

١٦- اتقاء دعوة المظلوم

الحرص على العدالة في أخذ الأموال والحقوق.

◆ ١٧- الإخبار بأنها لا تحجب

أي أن دعوة المظلوم على الله مباشرة وليست بينه وبين أحد.

◆ ١٨- من أدلة التوحيد ما جرى على الأنبياء من المشقة والجوع والوباء

اختبار للإيمان والثبات على الدين.

◆ ١٩- قوله: (لأعطين الراية...) علم من أعلام النبوة

هداية الناس وقيادتهم لله سنة الأنبياء.

◆ ٢٠- تفلّه في عينيه علم من أعلام النبوة

قدرة النبي على التوسل بالدعاء لشفاء الصحابة وإتمام المهمة.

◆ ٢١- فضيلة علي رضي الله عنه

الثبات والصبر على المشقة واتباع الرسول ﷺ.

◆ ٢٢- فضل الصحابة في دوّكهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح

إخلاص الصحابة لله واتباعهم للرسول في الطاعة.

◆ ٢٣- الإيمان بالقدر، لحصول الهداية لمن لم يسع لها، ومنعها عمن

سعى

التقدير الإلهي واضح في الهداية.

◆ ٢٤- الأدب في قوله: (على رسلك)

توجيه الناس بالحكمة واللين في الدعوة.

◆ ٢٥- الدعوة إلى الإسلام قبل القتال

البداية بالكلمة الطيبة قبل استخدام القوة.

◆ ٢٦- مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا

السنة العملية في الدعوة والتعليم قبل المواجهة.

❖ ٢٧- الدعوة بالحكمة

تعليم الحقوق والواجبات بطريقة تدريجية ومفهومة.

❖ ٢٨- المعرفة بحق الله في الإسلام

معرفة أحكامه وعبادته وحقوقه على العباد.

❖ ٢٩- ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد

فضل الدعوة عظيم، ولو هدى الله شخصاً واحداً على يد الداعي فهو أعظم من كل المال والأموال.

❖ ٣٠- الحلف على الفتيا

التحصين على الدعوة بالعهد والمواثيق لتحقيق العدالة والمصادقية في الدعوة.

المحور الرابع: الفوائد العملية والعقدية

١- أهمية التدرج في التعليم والدعوة: البدء بالأساسيات (التوحيد)، ثم الفرائض العملية.

٢- الإخلاص في الدعوة: لا للدعوة لمدح الناس أو تحقيق مصالح شخصية.

٣- المشقة في الدعوة لا تمنع الثواب: بل تكون سبباً في رفع درجات الداعي.

٤- الحذر من الشبهات والذنوب أثناء الدعوة: لتثبيت المتعلم على الحق.

٥- فضل هداية النفس والآخرين: ثواب هداية إنسان واحد عظيم.

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، الآية.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة الزخرف: ٢٦-٢٧]، الآية.

وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْكَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣] الآية.

وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥] الآية.

وفي "الصحيح" عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِّن دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالُهُ، وَدَمُّهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١).

وشرح هذا الترجمة: ما بعدها من الأبواب.

فيه أكبر المسائل وأهمها:

وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبينها بأمور واضحة:

* منها: آية الإسراء، بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر.

(١) أخرجه مسلم (٢٣) من حديث طارق بن أشيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* ومنها: آية براءة، بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، وبين أنهم لم يؤمروا إلا بأن يعبدوا إلهاً واحداً، مع أن تفسيرها الذي لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد في المعصية، لادعائهم إياهم.

* ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ (٢٦) إِلَّا الَّذِي

فَطَرَنِي ﴿ [سورة الزخرف: ٢٦-٢٧]، فاستثنى من المعبودين ربه.

وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاتة: هي تفسير شهادة أن لا إله إلا الله. فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٨) [سورة الزخرف: ٢٨].

* ومنها: آية البقرة: في الكفار الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾

﴿ [سورة البقرة: ١٦٧] ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحبون الله حباً عظيماً، ولم يدخلهم في الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله؟! فكيف لمن لم يحب إلا الند وحده، ولم يحب الله؟!.

* ومنها قوله ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالُهُ، وَدَمُّهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» وهذا من أعظم ما يبين معنى (لا إله إلا الله) فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال، بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه، فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها، وياله من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع.

شرح باب تفسير التوحيد وشهادة ان لا اله الا الله

الغرض: توضيح معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله، والتمييز بين مجرد التلفظ بالشهادة وبين فهمها وتحقيقها عملياً.

الفكرة الأساسية: التوحيد ليس مجرد لفظ، بل هو اعتقاد وعمل، واعتراف بالله وحده، وترك كل ما يُعبد من دون الله سواء كان صنماً، عبداً، أو طالباً للشفاعة من غير الله.

المحور الثاني: النصوص وشرحها

① آية الوسيلة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، الآية.

➤ المعنى: بعض الناس يلجأون إلى الشفاعة عند الله بغير الحق، أي يطلبون وسائط من غير الله.

➤ الرسالة: بيان أن طلب أي وسيط غير الله في العبادة هو شرك أكبر.

② آية إبراهيم والبراءة: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ

﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [سورة الزخرف: ٢٦-٢٧]، الآية.

➤ المعنى: إبراهيم عليه السلام أعلن براءته من كل ما يُعبد من دون الله، وخص الله وحده بالعبادة.

➤ الحكمة: بيان معنى الشهادة بأن لا إله إلا الله عملياً، والالتزام بها حقيقة.

③ آية أهل الكتاب: ﴿أَتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣] الآية.

➤ المعنى: تحذير من اتباع العلماء والعباد في معصية الله، واعتبارهم أرباباً لا مجرد مرشدين.

➤ الحكمة: التوحيد يتطلب الانقياد لله وحده في الطاعة والعبادة.

④ آية محبة الأنداد: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥] الآية.

➤ المعنى: من أحب غير الله كحب الله فقد خرج عن دائرة التوحيد.

➤ الحكمة: تبين عظم محبة الله شرطاً أساسياً للإيمان والتوحيد.

⑤ حديث النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَن دُونِ اللَّهِ، حَرَّمَ مَالَهُ، وَدَمَهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»:

➤ المعنى: الشهادة يجب أن تصاحبها كفر بما يعبد من دون الله لتحقيق الحماية للدماء والأموال.

➤ الحكمة: مجرد التلفظ بالشهادة لا يكفي، بل يجب العمل بما يقتضيه التوحيد في العقيدة والسلوك.

المحور الثالث: شرح المسائل الأساسية

◆ ١- تفسير التوحيد

التوحيد هو الاعتراف بالله وحده بالعبادة، وترك كل ما يُعبد من دونه.

٢- تفسير الشهادة

الشهادة (لا إله إلا الله) تتضمن:

١- الإقرار باللسان.

٢- الإيمان بالقلب.

٣- الكفر بكل ما يُعبد من دون الله.

٤- العمل بمقتضى التوحيد.

٣- آية الإسراء ووسائل الشفاعة

تحذر من الشرك الأكبر عبر اتخاذ وسائل من دون الله.

كل من دعا غير الله يعتبر في حكم المشرك.

٤- آية براءة إبراهيم عليه السلام

بيان أن عبادة غير الله باطلة.

التوحيد الحقيقي يبدأ ببراءة القلب من كل ما يُعبد من دون الله.

٥- آية أهل الكتاب (الأحبار والرهبان والمسيح)

تحذير من اتباع علماء أو عباد في معصية الله.

طاعة الناس في الحق مشروع، وفي المعصية شرك.

٦- محبة الأنداد كحب الله

من أحب غير الله كحب الله فقد قلب التوحيد.

الإيمان الحقيقي يظهر في المحبة المطلقة لله.

٧- حديث النبي ﷺ عن حرمة المال والدم

التأكيد على أن مجرد التلفظ لا يكفي.

العمل بما يقتضيه التوحيد شرط لحماية النفس والمال.

من شك أو توقف لم تحرم ماله ودمه، بل على الله الحكم.

المحور الرابع: الفوائد العملية والعقدية

١- أهمية فهم التوحيد لا الاكتفاء باللفظ

الإيمان باللسان بلا كفر بما يُعبد من دون الله لا يكفي.

٢- التمييز بين الشرك الأكبر والأصغر

الوساطة عند غير الله، محبة الأنداد، اتباع العلماء في المعصية.

٣- ضرورة تصحيح العقيدة قبل العمل

العمل والعبادة صحيحة إذا رافقها إخلاص العقيدة.

٤- تحذير من محبة غير الله فوق محبته

حتى المحبة للعلماء أو الأولياء يجب ألا تتجاوز محبة الله.

٥- الحرمة الشرعية للمال والدم

تتحقق فقط لمن حقق التوحيد الصحيح.

٦- ثبات السنة النبوية في تفسير التوحيد

كل النصوص من القرآن والسنة تؤكد على أن التوحيد عقيدة وسلوك

واعتقاد وعبادة.

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيَّ﴾ [سورة الزمر: ٣٨] الآية.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلَقَةً مِنْ صُفْرِ فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ، قَالَ: «انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»، رواه أحمد بسند لا بأس به ^(١).

وله عن عقبه بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً، فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ» ^(٢).

وفي رواية: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ» ^(٣).

ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه: أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ خِيطٌ مِنَ الْحُمَى، فَقَطَعَهُ، وَتَلَا قَوْلَهُ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف: ١٠٦] ^(٤).

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٥)، وابن ماجه (٣٥٣١)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٠٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤)، وابن حبان (٦٠٨٦)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٢٦٦)، والوادعي في «تبعه لأوهام الحاكم في المستدرک» (٤/ ٣٤١).

(٣) هذه الرواية قطعة من حديث طويل أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦)، وصححها الألباني في «الصحيحة» (٤٩٢)، والوادعي في «الصحيح المسند» (٣٥/ ٢).

(٤) «منقطع»، أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢٢٠٨)، وقد تصرف المؤلف رحمه الله في

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك .

الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح، فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة.

الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر، لقوله: (لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا).

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئاً وكل إليه.

السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك .

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر بن عباس في آية البقرة.

العاشرة: أن تعليق الودع عن العين من ذلك .

الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمة، أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة، فلا ودع الله له، أي لا ترك الله له.

ويغني عن هذا اللفظ ما أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٣/٧) عن حذيفة رضي الله عنه: «دَخَلَ عَلَيَّ عَلَى رَجُلٍ يَمُودُهُ، فَوَجَدَ فِي عَصْدِهِ خَيْطًا، قَالَ: فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: خَيْطٌ رُفِي لِي فِيهِ، فَقَطَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: لَوْ مِتَّ مَا صَلَّيْتُ عَلَيْكَ».

شرح باب من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوه ما لرفع البلاء أو دفعه

الغرض: بيان حكم لبس الحلقة والخيط وما شابهها من الأمور التي تُتخذ لرفع البلاء أو دفعه، وبيان أنها من صور الشرك الأصغر أو الكبائر حسب تأثيرها.

الفكرة الأساسية: أي تصرف يُرتبط بالشفاء أو دفع الضرّ بوسائط غير الله هو شرك، وإن كان صغيراً، لأنه يعتمد على غير الله.

المحرر الثاني: النصوص وشرحها

① آية التوكل: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرُّوهُ﴾ [سورة الزمر: ٣٨] الآية.

➤ المعنى: أي وسائل تُتخذ لرفع الضرّ أو لجلب النفع لا حول لها ولا قوة إلا بإرادة الله.

➤ الحكمة: التحذير من الاتكال على غير الله في دفع البلاء.

② حديث عمران بن حصين: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى رَجُلًا فِي يَدِهِ حَلَقَةً مِنْ صُفْرِ فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ، قَالَ: «انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»:

➤ المعنى: الحلقة التي يُعتقد أنها ترفع الضرّ أو تجلب النفع هي من الوهن، أي لا نفع فيها.

❧ الحكمة: الشرك الأصغر أخطر مما يظن كثيرون، وقد يؤثر على مصير الإنسان في الآخرة.

❸ حديث عقبة بن عامر: «مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيمَةً، فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدْعَةً، فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ»:

❧ المعنى: من تعلق بشيء يفترض فيه دفع الضرر أو جلب النفع من دون الله، فقد وقع في الشرك.

❧ الحكمة: هذا التأكيد على أن الاعتماد على التمايم أو الخيوط يخرج عن التوحيد.

❹ حديث حذيفة: رأى رجلاً في يده خيط من الحمى، فقطعه، وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف: ١٠٦]:

❧ المعنى: بعض التصرفات التي تبدو صغيرة هي في حقيقتها شرك، ويجب الردع عنها.

❧ الحكمة: الصحابة استدلوا بآيات القرآن على الشرك الأصغر، كتحذير من التعلق بالوسائط والتمايم.

المحور الثالث: شرح المسائل الأساسية

❖ ١- التخليط في حكم لبس الحلقة والخيط ونحوهما التحذير شديد، لأنه من الشرك الأصغر الذي قد يؤدي للكبيرة.

❖ ٢- الصحابي لومات وهي عليه ما أفلح يظهر عظم خطر الشرك الأصغر ووجوب تركه تمامًا.

٣- عدم العذر بالجهالة

لا يعذر من لبسها لرفع البلاء، لأن القرآن والسنة بيّنا ذلك.

٤- التمايم لا تنفع بل تضر

«لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا»، أي تضر ولا تنفع.

٥- الإنكار بالتغليظ

وجوب النهي عن هذا التصرف بالقول والفعل، حتى لا يظن الناس أنه جائز.

٦- التعلق بأي شيء يُعتقد فيه رفع البلاء شرك

سواء تميمة أو ودعة أو خيط.

٧- التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك

إشارة واضحة إلى خطورة الاعتماد على هذه الوسائل.

٨- تعليق الخيط من الحمى من الشرك الأصغر

مثال عملي على ما ذكر في الأحاديث.

٩- الاستدلال بالآيات على الشرك الأصغر

كما استدلل حذيفة والآخرين بالآيات للتحذير من الوسائط المزعومة.

١٠- تعليق الودع عن العين من الشرك

أي: أن كل ما يُتخذ اعتقادًا في دفع الضرر يُعد شركًا.

١١- الدعاء على من تعلق تميمة

(الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له)، أي ترك الله له وترك البركة.

المحرر الرابع: الفوائد العملية والعقدية

١- تحذير من الشرك الأصغر:

أي: الاعتماد على وسائل من دون الله في رفع البلاء أو طلب النفع.

٢- وجوب الانقياد لله وحده:

التوكل على الله واجب، وعدم اللجوء للتمائم أو الحلق والخيوط.

٣- الصحابة كنموذج للردع:

قطع الحلق والخيوط واستدلالهم بالقرآن والسنة.

٤- الفرق بين العادة والعبادة:

الحلق والخيوط ليست وسيلة شرعية، بل شرك صريح إذا اعتقد فيه الإنسان قدرة على دفع البلاء أو جلب النفع.

٥- الأثر على الآخرة:

من تعلق بهذه الوسائط معرض للضرر في الدنيا والآخرة، وقد يخرج عنه دائرة التوحيد الحقيقي.

باب ما جاء في الرقي والتمائم

في "الصحيح" عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه، أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً: «لَا يَتَّقِينَ فِي رَقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ»^(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتَّوَلَّةَ شِرْكٌ»، رواه أحمد وأبو داود^(٢).

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكِلَإٍ إِلَيْهِ»، رواه أحمد والترمذي^(٣).
التمائم: شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

والرقي: هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٥)، ومسلم (٢١١٥).

(٢) هذه الجملة قطعة من حديث طويل، أخرجه أحمد (٣٨١/١)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣١)، وحسنه الوادعي في «الصحيح المسند» (٦٤٢/١).

(٣) أخرجه أحمد (٣١٠/٤)، والترمذي (٢٠٧٢)، وحسنه الألباني في «غاية المرام» (٢٩٧)، وضعفه الوادعي في «تتبعه لأوهام الحاكم في المستدرک» (٣٤١/٤).

وروى أحمد عن رويغ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يَا رُوَيْغُ لَعَلَّ الْحَيَاةَ سَتَطُولُ بِكَ بَعْدِي، فَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنَّهُ مَنْ عَقَدَ لِحَيْتِهِ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، أَوْ اسْتَنْجَى بِرَجِيعِ دَابَّةٍ، أَوْ عَظَمٍ فَإِنَّ مُحَمَّدًا مِنْهُ بَرِيءٌ»^(١).

وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال: «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً عَنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ»، رواه وكيع^(٢).

وله عن إبراهيم قال: «كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا، مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ»^(٣).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرقي والتمايم.

الثانية: تفسير التولة.

الثالثة: أن هذه الثلاثة كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحنمة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا؟.

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٨)، وأبو داود (٣٦)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٣٥١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٥/ ٧)، وهو ضعيف.

ويغني عنه ما أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٥/ ٧) بإسناد صحيح: «أَنَّ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ رَأَى إِنْسَانًا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي عُنُقِهِ خَرَزَةٌ فَقَطَعَهَا».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٤/ ٧)، وهو ضعيف.

السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين، من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد على من تعلق وترًا.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف، لأن مراده أصحاب

عبد الله بن مسعود.

شرح باب ما جاء في الرقى والتمايم

الرُّقَى: ما يُقال من كلمات أو عزائم يظن أنها تدفع البلاء أو تجلب النفع.
التمائم: ما يُعلق على الأولاد أو الناس للتنجيم أو دفع العين أو الضرر.
التولة: ما يُصنع ليُحبب شخصًا بآخر، مثل التمايم المحببة.
الغرض: بيان أن كل هذه الوسائل التي تُتخذ لرفع البلاء أو جلب النفع من دون الله تعد شركًا أو اعتداءً على توحيد الله.

المحرر الثاني: النصوص وشرحها

① حديث أبي بشير الأنصاري: أرسل رسول الله ﷺ رسولاً: «لَا يَبْقَيْنَ فِي رَقَبَةٍ بَعِيرٍ قِلَادَةٌ مِنْ وَتَرٍ، أَوْ قِلَادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ»:

➤ المعنى: النهي عن تعليق أي شيء على الدواب ظناً في دفع الضرر أو البلاء.

➤ الحكمة: التحذير من كل وسائل يُعتقد فيها قدرة على النفع أو الضرر بغير الله.

② حديث ابن مسعود: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتَّوَلَةَ شِرْكَ»:

➤ المعنى: جميع ما سبق يُعد من صور الشرك إذا تعلق فيه الإنسان بوسيلة غير الله.

③ الرقى المباحة:

الرقى من القرآن أو الكلام الحق لم يرد فيها شرك، خصوصاً من العين والحة.

➤ الحكمة: التمييز بين الرقى المشروعة للرشد والنفع وبين الرقى التي تعلق بالشرك.

④ حديث عبد الله بن عكيم: «مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكَلَّ إِلَيْهِ»:

➤ المعنى: من تعلق بشيء يظن فيه دفع الضرر أو جلب النفع فقد وقع في شرك.

⑤ حديث رويغ: «مَنْ عَقَدَ لِحَيَّتِهِ، أَوْ تَقَلَّدَ وَتَرًا، ... فَإِنَّ مُحَمَّداً مِنْهُ بَرِيءٌ»:

المعنى: التحذير من تعلق الناس بما يُعتقد فيه دفع البلاء أو جلب النفع من دون الله.

⑥ حديث سعيد بن جبير: «مَنْ قَطَعَ تَمِيمَةً عَنْ إِنْسَانٍ كَانَ كَعَدْلِ رَقَبَةٍ»:

➤ المعنى: فضل عظيم لمن يزيل الوسائل الشركية عن الناس، حتى لو كانت على شكل تمائم.

⑦ قول إبراهيم عن التمائم: «كَانُوا يَكْرَهُونَ التَّمَائِمَ كُلَّهَا، مِنَ الْقُرْآنِ وَغَيْرِ الْقُرْآنِ»:

➤ المعنى: التحذير من التعلق بأي وسيلة، سواء كانت آيات من القرآن أو غيرها، إلا ما أذن الله به.

المحور الثالث: شرح المسائل

١- تفسير الرقى والتمائم: ما يُتخذ لرفع البلاء أو دفع الضرر بوسيلة غير الله.

٢- تفسير التولية: وسائل لجلب الحب بين الناس بطريقة سحرية أو خرافية.

٣- أن الثلاثة كلها من الشرك من غير استثناء: الرقى والتمايم والتولية تُعد شركاً أصغر أو أكبر بحسب اعتقاد من تعلق بها.

٤- الرقية بالقرآن أو الكلام الحق: مباح، خصوصاً للعين والحممة، لأنها مشروعة ولا تعلق بغير الله.

٥- التميمية من القرآن: اختلف العلماء هل تُعد شركاً أم لا، لكن ابن مسعود يرى تحريمها.

٦- تعليق الأوتار على الدواب: مثال عملي على الشرك إذا اعتقد فيه دفع البلاء أو الضرر.

٧- الوعيد على من تعلق بالتمايم والتولية: شديد وعقوبة تحذيرية.

٨- فضل من قطع تميمية من إنسان: أجر عظيم، كعتق رقبة، لما فيه من إزالة الشرك من الناس.

٩- قول إبراهيم لا يناقض العلماء: مراده إيضاح أن التمايم كلها محرمة، والاختلاف في الرقى ليس فيها خلاف حول المنهي عنه.

المحرر الرابع: الفوائد العملية والعقدية

١- تحذير من الشرك الأصغر والأكبر: كل وسيلة يُعتقد فيها دفع البلاء أو جلب النفع بغير الله تعد شركاً.

٢- التفرقة بين الرقى المشروعة والمحرومة: الرقى من القرآن أو كلمات الحق مباحة، أما التمايم والتولة فهي محرمة.

٣- إزالة وسائل الشرك من المجتمع: قطع التمايم وما شابهها له فضل عظيم.

٤- التحذير من الاعتقاد بالقدرة لغير الله: من تعلق بهذه الوسائل فقد أشرك.

٥- تعليم الصحابة والناس التوحيد الحقيقي: بما يحفظ العقيدة ويزيل الخرافات.

باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكَّ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [سورة النجم: ١٩-٢٠].

عن أبي واقد الليثي، قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، وَيُنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السَّنَنُ، قُلْتُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءِلَٰهَةٌ قَالِ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٨]، لَتَرْكَبَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»، رواه الترمذي وصححه ^(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك، لظنهم أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل.

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وأحمد (٢١٨/٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي»

(٢/٢٣٥)، وصححه الوادعي في «الصحيح المسند» (١/٢٥٣).

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم، بل رد عليهم بقوله: «الله أكبر! إِنَّهَا السَّنَنُ، لَتَرْكِبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» فغلظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير، وهو المقصود: أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بني إسرائيل لما قالوا لموسى: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ [سورة الأعراف: ١٣٨].

التاسعة: أن نفي هذا معنى: (لا إله إلا الله)، مع دقته وخفائه على أولئك.

العاشر: أنه حلف على الفتيا، وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرددوا بهذا.

الثانية عشرة: قولهم: (وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ) فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب، خلافا لمن كرهه.

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية، لقوله (إِنَّهَا السَّنَنُ).

الثامنة عشرة: أن هذا علم من أعلام النبوة، لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى في القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه متقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على

مسائل القبر. أما (مَنْ رَبُّكَ؟) فواضح، وأما (مَنْ نَبِيُّكَ؟) فمن إخباره بأنباء

الغيب، وأما (مَا دِينُكَ؟) فمن قولهم: ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ إلخ.

الحادية والعشرون: أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين .

الثانية والعشرون: أن الممتقل من الباطل الذي اعتاده قلبه لا يؤمن أن يكون في قلبه

بقية من تلك العادة لقولهم: (وَنَحْنُ حُدَّاءُ عَهْدِ بِكُفْرٍ).

شرح باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحوها

المقصود بالتبرك: اتخاذ شيء من الخلق ظناً في أنه يقرب إلى الله أو يجلب نفعاً أو يدفع ضرراً.

أمثلة: الشجر، الحجر، السدرة، وغيرها من المباحث المادية.

الغرض من التحريم: توحيد الله عز وجل في كل أعمال العبادة وقطع أي وسيلة تؤدي إلى الشرك أو التشبه بأهل الجاهلية.

المحرر الثاني: النصوص وشرحها

① آية النجم: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّكْتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ۚ﴾ [سورة

النجم: ١٩-٢٠].

❦ الشرح: الله سبحانه وتعالى يبين أن عبادة الأصنام باطلة، وأنه لا يجوز التشبه بها أو اتخاذها وسيلة للتقرب إلى الله.

② حديث أبي واقد الليثي: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، ... فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السَّنَنُ»:

❦ الشرح: الصحابة أرادوا أن يكون لهم مكان يتخذونه للتبرك مثل المشركين، فأخبرهم النبي ﷺ أن هذا من سنن من قبلهم، أي من طرق الباطل، وأنهم لا ينبغي أن يتبعوا هذه السنن.

المحرر الثالث: شرح المسائل

- ١- تفسير آية النجم: بيان باطل عبادة الأصنام.
- ٢- معرفة صورة الأمر الذي طلبه الصحابة: طلبوا اتباع سنن المشركين في التبرك بالمكان.
- ٣- كونهم لم يفعلوا: أقرؤا بالتحذير ولم يتبعوا الباطل.
- ٤- قصدهم التقرب إلى الله بذلك: ظنوا أن الله يحب ذلك، لكن في الواقع لا يقبل من دون توحيد.
- ٥- أن غيرهم أولى بالجهل: لأنهم كانوا حدثاء عهد بكفر.
- ٦- لهم من الحسنات ما ليس لغيرهم: أي أنهم ملتزمون بالاتباع الصحيح بعد التحذير.
- ٧- غلظ النبي ﷺ الأمر: بقوله: «إِنَّهَا السَّنَنُ»، ليبين خطورة التقليد الأعمى.
- ٨- طلبهم كطلب بني إسرائيل: التشبيه بين طلب الصحابة وطلب بني إسرائيل ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٨].
- ٩- نفى من معنى (لا إله إلا الله): لأن التبرك بهذا يعد من الشرك الأصغر.
- ١٠- الحلف على الفتيا: إظهار الجدية في النهي عن التقليد الأعمى.
- ١١- الشرك فيه أكبر وأصغر: فالتقليد دون فهم قد يكون أصغر، لكن مع اعتقاد القوة للخلق يصبح أكبر.

١٢- قولهم "وَنَحْنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ": يدل على وعيهم بالتحذير وأن غيرهم قد يجهل أكثر.

١٣- التكبير عند التعجب: دليل على ذم التقليد الأعمى والتعبير عن الاستنكار.

١٤- سد الذرائع: النهي عن تقليد المبتدعات التي تؤدي إلى الشرك.

١٥- النهي عن التشبه بأهل الجاهلية: حفظ التوحيد والبعد عن البدع.

١٦- الغضب عند التعليم: تعظيم النبي ﷺ للأمر.

١٧- القاعدة الكلية لقوله: «إِنَّهَا السَّنَنُ»: لا تتبع سنن الباطل مهما كان شكلها طيباً.

١٨- علم من أعلام النبوة: وقوع الخبر كما أخبر يدل على صدق النبوة.

١٩- ما ذم الله به اليهود والنصارى: لا يؤخذ كمدح لنا، بل كتحذير وبيان للسنن الباطلة.

٢٠- ترابط العبادة بالأمر: اتباع ما أمر الله به أساس العبادات.

٢١- سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين: كل اتباع الباطل مذموم.

٢٢- المنتقل من الباطل لا يؤمن بتركه: التحذير من بقايا عادة الشرك في القلب، مع تأكيد الصحابة على تركها تماماً.

المحور الرابع: الفوائد العملية والعقدية

- ١- تحذير من التقليد الأعمى: سواء للصحابة أو غيرهم، حتى في الأمور الظاهرية.
- ٢- قطع وسائل الشرك: لا يتخذ شيء من الخلق وسيلة للتقرب إلى الله إلا بما أمر به.
- ٣- تثبيت التوحيد: كل عبادة أو وسيلة للتقرب يجب أن تكون لله وحده.
- ٤- الاقتداء بالنبي ﷺ: في النهي عن التقليد الأعمى، حتى لو كان من سنن السابقين.
- ٥- التمييز بين الحق والباطل: فهم أن التقليد الأعمى للسنن القديمة باطل.
- ٦- أهمية الوعي عند اتباع السنن: معرفة سبب كل فعل وبيان الحكم الشرعي قبل الاتباع.

باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ﴾ [سورة الكوثر: ٢].

عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَهُ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحَدِّثًا، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الْأَرْضِ»، رواه مسلم (١).

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «دَخَلَ رَجُلٌ الْجَنَّةَ فِي ذُبَابٍ وَدَخَلَ رَجُلٌ النَّارَ فِي ذُبَابٍ» قَالُوا: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «مَرَّ رَجُلَانِ عَلَى قَوْمٍ لَهُمْ صَنْمٌ لَا يَجُوزُهُ أَحَدٌ حَتَّى يُقَرَّبَ لَهُ شَيْئًا، فَقَالُوا لِأَحَدِهِمَا: قَرِّبْ قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أَقْرَبُ، فَقَالُوا لَهُ: قَرِّبْ وَلَوْ ذُبَابًا فَقَرَّبَ ذُبَابًا، فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ، قَالَ: فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا لِلْآخَرِ: قَرِّبْ، قَالَ: مَا كُنْتُ لِأَقْرَبَ لِأَحَدٍ شَيْئًا دُونَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «فَضْرَبُوا عُنُقَهُ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ»، رواه أحمد (٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص ٢٢)، وهو صحيح موقوف على سلمان، وضعفه الألباني

في «الضعيفة» (١٢-٥٨٢٩).

الثانية: تفسير ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴾.

الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة: لعن من لعن والديه، ومنه أن تلعن والدَي الرجل فيلعن والديك.

الخامسة: لعن من آوى محدثاً وهو الرجل يُحدث شيئاً يجب فيه حق لله فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك.

السادسة: لعن من غير منار الأرض، وهي المراسيم التي تفرق بين حقك في الأرض وحق جارك، فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعين، ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم.

الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهي قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذي لم يقصده، بل فعله تخلصاً من شرهم.

العاشرة: معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل، ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبوا منه إلا العمل الظاهر.

الحادية عشرة: أن الذي دخل النار مسلم، لأنه لو كان كافراً لم يقل: (دَخَلَ النَّارَ فِي ذُبَابٍ).

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ»^(١).

الثالثة عشرة: معرفة أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأوثان.

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

شرح باب ما جاء في الذبح لغير الله

المقصود بالذبح لغير الله: تقديم الأضاحي أو القرابين للأصنام أو لأي مخلوق ظناً في أنه يقرب إلى الله أو يجلب منفعة.

الغرض من التحريم: الحفاظ على توحيد الله عز وجل، ومنع أي عبادة تتعلق بغيره، وهو نوع من الشرك الأكبر.

المحرر الثاني: النصوص وشرحها

① آية التوحيد والعبادة: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

➤ الشرح: الله عز وجل يأمر بكون جميع أفعال العباد من صلاة ونسك وحياة وممات خالصة له وحده، ولا يجوز التوجه بها إلى غيره.

② آية الذبح: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ ۝﴾ [سورة الكوثر: ٢].

➤ الشرح: الأمر بالذبح لله وحده، أي تقديم الأضاحي والندور مخصصة لله، بعيداً عن أي شريك أو تقليد للأصنام.

③ حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعِ

كَلِمَاتٍ: «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ»:

➤ الشرح: ورد في الحديث أربع لعنات، أولها ذبح لغير الله، مع بيان عظمة

تحريم ذلك وكونه من كبائر الشرك.

④ حديث الذباب: القصة: رجل قرب ذباباً لصنم خوفاً، ودخل النار؛ ورجل آخر رفض قرباناً لغير الله رغم قتله، فدخل الجنة.

◀ الشرح: يظهر أن نية القلب وعمل القلب هو الأصل في الحكم الشرعي، حتى مع الإكراه أو التهديد.

المحور الثالث: شرح المسائل

١- تفسير ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾: يشمل جميع أفعال العبادة، وأن الخالصة لله وحده.

٢- تفسير ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنحَرْ﴾: دليل على تخصيص الأضاحي لله، وعدم تقديمها للأوثان أو غير الله.

٣- البداءة بلعنة من ذبح لغير الله: يدل على خطورة هذا الشرك وأهميته في التوحيد.

٤- لعن من لعن والديه: توضيح تحريم التعدي على الأهل باللعن، وأثره في حق الآخرين.

٥- لعن من آوى محدثاً: تحريم حماية من يخالف أمر الله أو يروج للمعصية.

٦- لعن من غير منار الأرض: التلاعب بالحقوق المقررة شرعاً، أي تغيير الترتيب المشروع لحقك أو حق جارك.

٧- الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم: بيان أن

اللحن يتعلق بالأفعال الفعلية أو الإسناد المباشر للمعصية.

٨- قصة الذباب: دليل عملي على أهمية النية وصدق القلب في التوحيد.

٩- دخول النار بسبب عمل ظاهر تحت الإكراه: يوضح أن الشرك الكبير

موجود حتى لو كان الفعل صغيراً، إذا لم يكن لله وحده.

١٠- قدر الشرك في القلوب: الصبر على القتل وعدم قبول الشرك دليل على

قوة الإيمان.

١١- مسلم دخل النار: يبين أن دخول النار بسبب الشرك قد يكون لمرة

واحدة فقط، لكن المقصود القلب.

١٢- حديث الجنة أقرب للنار من شراك نعله: يقرب المفاهيم للمسلمين

عن قرب العواقب وعظمتها.

١٣- عمل القلب هو الأصل: حتى مع عبادة الظاهر، إذا لم تكن خالصة لله،

فقد تكون سبباً في دخول النار.

المحرر الرابع: الفوائد العقدية والعملية

١- تحقيق التوحيد في الذبائح: كل ما يُقدم لله وحده يكون مقبولاً.

٢- النية أولاً: عمل القلب أهم من ظاهر العمل.

٣- تحريم الشرك الأكبر: الذبح لغير الله يمثل أكبر الكبائر.

٤- تنبيه على مراقبة الأفعال الصغيرة: حتى أقل الأعمال قد تكون سبباً في

الشرك إذا كانت لغير الله.

٥- تأكيد على النية الصحيحة تحت الإكراه: كما في قصة الذباب، يظهر فضل الإيمان الصادق.

٦- تعظيم حق الله في جميع الأمور: الصلاة، الذبح، الحياة والممات خالصة لله وحده.

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]، الآية.

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةٍ، فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»، قَالُوا: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ»، رواه أبو داود، وإسنادهما ^(١) شرطهما.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾.

الثانية: أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المشككة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال.

الرابعة: استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك.

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله.

(١) أخرجه أبو داود (٣٣١٣)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٣٢٨ / ٢)، والوادي

في «الصحيح المسند» (١٥٧ / ١).

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة، لأنه نذر معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده.

العاشرة: لا نذر في معصية.

الحادية عشرة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك.

شرح باب لا يذبح الله بمكان يذبح فيه غير الله

أولاً: شرح الآية:

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ

يُحِبُّونَ أَنْ يَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٨].

المحور الأول: فضل الأماكن الطاهرة

الله يحب الأماكن المخصصة لعبادته الخالصة، أي المساجد المبنية على التقوى منذ تأسيسها.

هذه الأماكن لها أثر على قبول العبادة والطاعة.

المحور الثاني: تحريم إقامة شعائر الله في أماكن الشرك

لا يجوز أداء الشعائر في مكان سبق أن عبد فيه غير الله أو كان مرتبطاً بشرك. أماكن العبادة الملوثة بالشرك لا تقبل فيها العبادة حتى لو تمت الطاعة فيها لاحقاً.

المحور الثالث: أثر الطاعة والمعصية على الأرض

المعصية قد تضرر بالمكان، والطاعة ترفع قدره، ومن هنا جاء التحذير بعدم أداء العبادة في أماكن الشرك.

ثانياً: شرح الحديث:

عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبِلًا بِبُؤَانَةٍ، فَسَأَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ

فَقَالَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ؟» قَالُوا: لَا، قَالَ: «فَهَلْ كَانَ

فِيهَا عَيْدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟»، قَالُوا: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ»:

المحور الأول: وجوب التحقق من حالة المكان قبل النذر

يجب معرفة هل المكان فيه آثار للشرك أو أعيدت فيه شعائر مشركة.

المحور الثاني: التحذير من أداء النذر في معصية

النذر لا يكون مشروعاً إذا ارتبط بمعصية الله أو بما لا يملك الإنسان.

المحور الثالث: عدم جواز النذر فيما لا يملكه الإنسان

أي لا يمكن الوفاء بما لا يملكه، مثل مكان مخصص للآخرين أو مرتبط

بشيء محرم.

✍️ ثالثاً: شرح المسائل:

❖ ١- تفسير قوله: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾

أي: لا تؤدي الشعائر في الأماكن التي سبق أن ارتكبت فيها الشرك أو الكفر.

❖ ٢- تأثير المعصية والطاعة في الأرض

المعصية تضر بالمكان، والطاعة ترفع قدره.

❖ ٣- رد المسألة المشككة إلى المسألة البينة

أي: إذا شك الإنسان في جواز نذر أو عبادة بمكان معين، يجب الرجوع إلى

حكم المكان نفسه.

❖ ٤- استفصال المفتي إذا احتاج إلى ذلك

أي: أن المفتي يسأل عن تفاصيل المكان قبل إصدار الحكم الشرعي.

- ٥- تخصيص البقعة بالنذر إذا خلا من الموانع
يجوز أداء النذر إذا كان المكان خالياً من وثن أو عيد من أعياد المشركين.
- ٦- المنع من النذر إذا كان فيه وثن أو عيد مشركين
حتى ولو زال الوثن أو العيد، لا يجوز أداء النذر فيه لأنه كان موقعاً للشرك.
- ٧- تحريم الوفاء بالنذر في معصية الله
أي لا يجوز أداء أي نذر يرتبط بمعصية أو عبادة غير الله.
- ٨- تحريم نذر ما لا يملكه الإنسان
يجب أن يكون النذر في شيء يمكن الوفاء به.
- ٩- الحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم
منعاً للوقوع في التشبه بهم ورفعاً للعبادة على وجهها الصحيح.
- ١٠- تأكيد قاعدة: (لا نذر في معصية)
قاعدة كلية تشمل كل أنواع المعاصي، سواء كانت في المال أو المكان أو أي عمل محرم.
- ١١- تأكيد قاعدة: لا نذر لابن آدم فيما لا يملك
أي: أن الإنسان يجب أن يلتزم بما يملك وضمن قدرته، ولا يترتب على نذره ما لا يقدر عليه.

رابعاً: الخلاصة العملية:

- الغاية: توضيح أن العبادة يجب أن تتم في أماكن طاهرة خالية من آثار الشرك.
- الحكمة: ضمان قبول الطاعات والابتعاد عن الشبهات، والتحذير من أداء النذر في معصية أو ما لا يمكن الوفاء به.

❶ القاعدة العملية: قبل أداء أي عبادة أو نذر، يجب التحقق من صلاحية المكان وخلوه من أي أثر للشرك أو المعصية.

باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿يُؤْفُونَ بِالْأَنْذَرِ﴾ [سورة الإنسان: ٧].

وقوله: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [سورة

البقرة: ٢٧٠].

وفي (الصحيح) عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِيهِ»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غير شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦).

شرح باب من الشرك: النذر لغير الله

المحرر الأول: معنى النذر في الإسلام

النذر هو: تعهّد العبد بعمل عبادة أو طاعة لله مقابل أمر ما أو ابتغاء مرضاته، أو ابتغاء منفعة أو دفع مضرة.

❶ ورد في القرآن: ﴿يُؤْفَنُ بِالْأَنْذَرِ﴾ [سورة الإنسان: ٧]: يشير إلى أهمية الوفاء بالنذر والخشية من يوم القيامة.

- ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [سورة البقرة: ٢٧٠]: بيان أن الله يعلم كل ما يُنذر به الإنسان، وأنه عليه التوفيق فيه.

المحرر الثاني: النذر الصحيح ونذر المعصية

النذر الصحيح: هو ما يقصد به طاعة الله وابتغاء مرضاته.

مثال: أن ينذر الشخص صيماً أو صدقة إذا حصل له أمر معين.

النذر الباطل أو المعصية: هو ما يقصد به مخالفة الله أو فعل محرم.

مثال: أن ينذر بأن يفعل شيئاً حراماً إذا تحقق أمر ما.

وقد جاء حديث ﷺ: «وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِيهِ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ

يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِيهِ».

❷ المعنى: إذا نذر العبد معصية فلا يجوز له الوفاء بها؛ لأن الوفاء بها شرك

ومعصية لله.

المحور الثالث: النذر لغير الله

النذر لغير الله: أي تعهّد بفعل عبادة أو طاعة أو التوجه إلى غير الله، مثل: نذر لعبادة صنم أو شجرة أو أي مخلوق.

هذا يعد شركاً أكبر، لأنه خصيصاً يوجه عبادة لله لغيره.

المحور الرابع: مسائل هذا الباب

- ١- وجوب الوفاء بالنذر: إذا كان النذر لله طاعةً وعبادةً، وجب الوفاء به.
- ٢- صرف النذر لعبادة الله فقط: لا يجوز أن يُصرف نذر العبد إلى أي غرض أو مخلوق، لأن ذلك شرك.
- ٣- نذر المعصية لا يُوفى به: إذا نذر الإنسان شيئاً معصياً لله، فلا يُوفى بالنذر، بل يجب تركه وترك المعصية.

المحور الخامس: تطبيقات عملية

- قبل النذر، يجب التأكد من أن النذر لا يحتوي على معصية.
- النذر للبر أو العمل الصالح (صدقة، صيام، أداء صلاة) جائز.
- تجنب كل ما يؤدي إلى الشرك أو مخالفة شرع الله.

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (٦) [سورة الجن: ٦].

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ نَزَلَ مَنَزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْحَلَ مِنْ مَنَزِلِهِ ذَلِكَ»، رواه مسلم ^(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث، لأن العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصل به مصلحة دنيوية من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من شرك.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨).

شرح باب من الشرك: الاستعاذة بغير الله

المحور الأول: معنى الاستعاذة

الاستعاذة: هي طلب الحماية والوقاية من شر معين أو من مكروه، ويكون الأصل فيها التوجه إلى الله وحده.

ورد في القرآن: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [سورة الجن: ٦]، يُظهر هذا أن الاستعاذة بغير الله، سواء من الجن أو البشر، لا تفيد بل تزيد الضرر، وتعد من الشرك.

المحور الثاني: الاستعاذة بغير الله شرك

الاستعاذة بغير الله: أي أن يطلب العبد الوقاية أو الحماية من مخلوق أو أي جهة غير الله.

هذا يُعد شركًا أكبر أو أصغر حسب الاعتقاد والممارسة، لأنه إخلال بتوحيد الألوهية والاعتماد الكامل على الله.

أي: طلب الحماية من مخلوق دون الله يعد من الشرك الأصغر أو الكبير، لأن الله وحده هو القادر على دفع الشر وجلب النفع.

المحور الثالث: الاستدلال بالحديث

عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرَحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»، رواه مسلم.

الدلالة: هذا الحديث دليل على جواز الاستعاذة بالله وحده.

العلماء استدلوا به على أن كلمات الله غير مخلوقة، لأنها سبب لحفظ المؤمن، ولأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

المحور الرابع: فضائل الاستعاذة بالله

- ١- الاستعاذة بالله تحمي الإنسان من الشرور والفتن.
- ٢- الدعاء مختصر وميسر، ويشمل جميع الشرور، فلا حاجة للجوء إلى غير الله.

- ٣- تحفظ المؤمن في منزله وعند سفره، وتجعله مطمئناً لله وحده.

المحور الخامس: الملاحظة المهمة

أن حصول منفعة دنيوية أو دفع ضرر من الاستعاذة بغير الله لا ينفي شركها. مثال: إذا اعتقد الإنسان أن تميمة أو حجر يقيه شرًا، فهذا شرك حتى لو حصل منه نفع ظاهري.

الاعتماد على الله وحده هو الصحيح، واللجوء لغيره في الحماية من الشرك.

المحور السادس: مسائل الباب

- ١- تفسير آية الجن: تحذر من الاستعاذة بالجن أو غير الله لأنها تزيد الضرر.

- ٢- الاستعاذة بغير الله تعد من الشرك.

- ٣- الاستدلال بالحديث على الاستعاذة بالله وحده.

- ٤- فضيلة الاستعاذة بكلمات الله التامات، واختصارها وشمولها.

- ٥- النفع الدنيوي لا يبرر الاستعاذة بغير الله، لأن الغاية هي الاعتماد على الله وحده.

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٦) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ [سورة يونس: ١٠٦-١٠٧].

وقوله: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ [سورة العنكبوت: ١٧]، الآية.

وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة الأحقاف: ٥-٦]، الآيتان.

وقوله: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [سورة النمل: ٦٢].

وروي الطبراني بإسناده: أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُنَافِقٌ يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَوْمُوا نَسْتَعِثُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَعَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَعَاثُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

الثانية: تفسير قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [سورة يونس: ١٠٦].

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» كما في «مجموع الزوائد» (١٠/١٥٩)، وهو ضعيف.

الرابعة: أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفرًا.

السابعة: تفسير الآية الثالثة .

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغي إلّا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلّا منه.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه.

الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: أن هذه الأمور سبب كونه أضل الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة: الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان أنه لا يجيب المضطر إلّا

الله، ولأجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله عز وجل.

شرح باب من الشرك: أن يستغيث بغير بالله أو يدعوا غيره

المحور الأول: معنى الاستغاثة والدعاء

الاستغاثة: طلب العون والنصر عند الحاجة.

الدعاء: طلب القرب من الله لتحقيق منفعة أو دفع ضرر.

الأصل في هذا كله أن يكون التوجه إلى الله وحده، كما ورد في القرآن: ﴿وَلَا

تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة

يونس: ١٠٦].

أي: كل من يدعو غير الله فهو من الظالمين، لأنه يشرك في الربوبية.

المحور الثاني: الاستغاثة بغير الله شرك أكبر

الاستغاثة بغير الله أو الدعاء لغيره: شرك أكبر، لأنها تجعل المخلوق وسيطاً

بين العبد وربّه، أو تعظمه بما يليق بالله وحده.

المثال في زمن النبي ﷺ: منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: لنستغيث

برسول الله ﷺ، فقال النبي: «إِنَّهُ لَا يُسْتَعَاثُ بِي، وَإِنَّمَا يُسْتَعَاثُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

الدلالة: لا يجوز استغاثة أي مخلوق مهما علا مكانته، حتى لو كان النبي ﷺ.

المحور الثالث: الاستدلال بالآيات

❖ ❶ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ: تحذير من دعاء غير الله، لأن

المخلوق لا يملك شيئاً من نفع أو ضرر.

﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ ﴾ [سورة العنكبوت: ١٧]:

الدعاء لغير الله لا ينفع حتى في الدنيا.

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ [سورة

الأحقاف: ٥-٦]: توضيح أن الدعاء لغير الله سبب للضلال والكفر.

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [سورة النمل: ٦٤]: إثبات أن الله

وحده هو القادر على الإجابة والكشف.

المحور الرابع: فضائل توجيه الدعاء إلى الله وحده

١- الدعاء لله يحقق النفع والدفع الحقيقي للضرر.

٢- الدعاء لله سبب لتقوية التوحيد والاعتماد على الله.

٣- حماية النفس من الشرك والمعاصي الظاهرة والباطنة.

المحور الخامس: مسائل الباب

١- عطف الدعاء على الاستغاثة من العام إلى الخاص: كل استغاثة هي

دعاء، وكل دعاء لا يجب إلا لله.

٢- تفسير قوله: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾، أي: لا يجوز

طلب العون من المخلوق.

٣- هذا الشرك يعد الشرك الأكبر.

٤- أي فعل يتم إرضاء لغير الله فهو ظلم، لأنه مشاركة لله في الربوبية.

- ٥- تفسير الآية الثانية: لا يستجيب غير الله، فالاعتماد عليه باطل.
- ٦- الاستغاثة بغير الله لا تنفع في الدنيا ولا الآخرة.
- ٧- تفسير الآية الثالثة: الذين يدعون غير الله أضل الناس.
- ٨- طلب الرزق يجب أن يكون من الله وحده، كما أن طلب الجنة كذلك.
- ٩- تفسير الآية الرابعة: لا يجيب إلا الله المضطرين.
- ١٠- الدعاء لغير الله سبب بغض المدعو وعداوته للداعي.
- ١١- الدعاء لغير الله عبادة للمدعو وكفر من يعبد.
- ١٢- حماية النبي ﷺ للتوحيد ومنع أي استغاثة بغير الله.
- ١٣- تأدب المسلم مع الله في الدعاء والاستغاثة.

باب قول الله تعالى:

﴿أَبْشِرْكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) ﴿[سورة فاطر: ١٣].
وفي (الصحيح) عن أنس قال: شَجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ، فَقَالَ:
«كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجَّوا نَبِيَّهُمْ؟» فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [سورة آل
عمران: ١٤٨] (١).

وفيه: عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ
مِنَ الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الْفَجْرِ: «اللَّهُمَّ الْعَنِ فُلَانًا وَفُلَانًا» بعدما يقول: «سَمِعَ اللَّهُ
لِمَنْ حَمَدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [سورة
آل عمران: ١٤٨]، الآية (٢).

وفي رواية: يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، وَسَهِيلِ بْنِ عَمْرٍو، وَالْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٨] (٣).

(١) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم في «كتاب المغازي» باب (٢١) ووصله مسلم
(١٧٩١) وساقه المؤلف بشيء من التصرف.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٧٠) مرسلًا من طريق سالم بن عبد الله بن عمر، ووصلها الترمذي

(٣٠٠٤).

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٤]، فقال: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتَ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار، منها: شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها: التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل الله عليه في ذلك ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٨].

السابعة: قوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٨]، فتاب عليهم فآمنوا.

الثامنة: القنوت في النوازل.

التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦).

العاشرة: لعنه المعين في القنوت.

الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أنزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة

الشعراء: ٢١٤].

الثانية عشرة: جده ﷺ في هذا الأمر، بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب: [لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا] حتى قال: يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا] فإذا صرح ﷺ وهو سيد المرسلين بأنه لا يغني شيئا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس الآن تبين له التوحيد وغربة الدين.

شرح باب قول الله تعالى:

﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾

المحور الأول: التوحيد وبيان بطلان الشرك

① تفسير الآية الأولى: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ...﴾: تشير إلى أن

المعبودات من دون الله عاجزة عن الخلق، ولا تنفع ولا تضر، ولا تستطيع نصرة نفسها، فكيف تُعبد؟

هذا بيان الشرك الأكبر، وأن عبادة المخلوق مع العاجز شرك.

② تفسير الآية الثانية: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ

قِطْمِيرٍ﴾ [سورة فاطر: ١٣]: تؤكد عجز هؤلاء عن الاستجابة للدعاء، وأن دعاء

العبد لغير الله باطل ولا ينفع، ويوم القيامة يكفر هذا الشرك.

المحور الثاني: بيان قصص واقعية من القرآن والسنة

① قصة أحد: شَجَّ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ:

بيان أن المدعو عليهم كفار، ومكرهم أظهر عجزهم عن نصرة أنفسهم أو

الرسول.

نزلت الآية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٨]: لتبين أن القتال

واللَّعْن لا يغير القدر الإلهي، ولا يجوز للإنسان التوهم أنه قادر على شيء من

دون الله.

② قصة قنوت النبي في الصلاة: عند رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة، دعا على أعداء الله: (صفوان بن أمية، سهل بن عمرو، الحارث بن هشام).

أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾؛ ليظهر أن القنوت عبادة ودعاء، لكن النصر من الله وحده.

③ قصة الإنذار بالعشيرة الأقربين: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٤]، حيث قال النبي ﷺ لأقاربه: «لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا». هذه القصص تؤكد استقلالية التوحيد عن القرابة أو المكانة، وأن كل شيء بيد الله.

المحور الثالث: شرح المسائل تبعاً للباب

- ١- الأولى: تفسير الآيتين من جهة بطلان الشرك وعبادة العاجز.
- ٢- الثانية: قصة أحد مثال عملي لعجز الكفار عن نصره أنفسهم أو الرسول.
- ٣- الثالثة: القنوت في الصلاة للندب والاستغاثة، واتباع سادات الأولياء.
- ٤- الرابعة: المدعو عليهم كانوا كفاراً، وبيان عجز الشرك.
- ٥- الخامسة: أعمالهم كانت من أعظم الكبائر، منها شج النبي والتمثيل بالقتلى.

٦- السادسة: نزول الآية ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ للتحذير من التوهم

بالنصر الذاتي.

٧- السابعة: قوله تعالى: ﴿أَوْتُوبْ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبْهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٨]: يظهر أن الهداية بيد الله وحده.

٨- الثامنة: القنوت في النوازل وسيلة للمسلمين للطلب من الله وحده.

٩- التاسعة: تسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم لتحديد الحق والباطل.

١٠- العاشرة: لعن المعين في القنوت جزء من الدعاء لله وحده، لا نصر للعاصي من نفسه.

١١- الحادية عشرة: إنذار النبي للأقربين يؤكد أن لا يغني أحد عن أحد أمام قدرة الله.

١٢- الثانية عشرة: تصرف النبي يبين للناس أهمية اتباع التوحيد وعدم التوكل على البشر مهما علا مقامهم.

١٣- الثالثة عشرة: توضيح عظمة توحيد الدين وغربة الحق في قلوب الناس، وتأکید أن الاستغناء بالرسول لا يلغي التوحيد.

المحور الرابع: الدروس العملية

١- التوحيد الحقيقي: لا نصرة ولا غنى إلا لله.

٢- الاعتماد على الله وحده: الدعاء واللجوء والاستعانة بالله دون سواه.

٣- اتباع سنة النبي في الدعاء والقنوت: التمسك بالدعاء المشروع والابتعاد عن الاستعانة بالمخلوقات.

٤- الاعتبار بتاريخ الصحابة وسادات الأولياء: فهم قصصهم لتطبيق

توحيدهم عملياً في حياتنا.

٥- التحذير من الغرور بالكثرة أو القرابة: كل شيء بيد الله وحده، لا نصرة

إلا منه.

باب قول الله تعالى:

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ

قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

وفي (الصحيح) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ يَنْفُذُهُمْ ذَلِكَ، فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾، ﴿قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانٌ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوْ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَذْرَكَ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُذْرِكُهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةً كَذِبَةٍ، فَيَقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا: كَذَا وَكَذَا، فَيُصَدِّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ»^(١).

وعن النواس بن سمعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُوحِيَ بِالْأَمْرِ تَكَلَّمَ بِالْوَحْيِ أَخَذَتِ السَّمَاوَاتُ مِنْهُ رَجْفَةً، - أَوْ قَالَ رَعْدَةً شَدِيدَةً - خَوْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا سَمِعَ بِذَلِكَ أَهْلُ السَّمَاوَاتِ صَبَعُوا، وَخَرُّوا لِلَّهِ

(١) أخرجه البخاري (٤٨٠٠).

سَجْدًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ: قَالَ الْحَقُّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ قَالَ: فَيَقُولُونَ: كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ، فَيَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصا من تعلق على الصالحين، وهي الآية التي قيل: «إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب».

الثالثة: تفسير قوله: ﴿رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٢٣﴾ [سورة سبأ: ٢٣].

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبريل هو الذي يجيبهم بعد ذلك بقوله: [قَالَ كَذًا وَكَذًا].

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

السابعة: أن يقول لأهل السماوات كلهم، لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغشي يعم أهل السماوات كلهم.

التاسعة: ارتجاف السماوات لكلام الله.

العاشرة: أن جبريل هو الذي ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله.

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١٩٧)، وغيره، وضعفه الألباني في «تخريج السنة» لابن

أبي عاصم (١/ ٢٢٧).

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضا.

الثالثة عشرة: إرسال الشهب .

الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها في أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس للباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟!.

التاسعة عشرة: كونهم يلقي بعضهم إلى بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها.

العشرون: إثبات الصفات خلافا للأشعرية المعطلة.

الحادية والعشرون: التصريح بأن تلك الرجفة والغشي كانا خوفاً من الله عز وجل.

الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجداً.

شرح باب قول الله تعالى:

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

المحور الأول: تفسير الآية

① معنى الآية: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ

الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾: تشير إلى الوحي الإلهي المتدفق على الملائكة وأهل السماوات، وإخبارهم بالحق الكامل من الله عز وجل، وبيان عظمة الله ومكانته العليا.

فيه إبطال لكل شرك، خصوصاً الاعتقاد بأن المخلوقات تملك شيئاً من الحق أو القدرة على التصرف في القدر.

المحور الثاني: كيفية نقل الوحي

١- عملية الوحي:

أول من يرفع رأسه جبريل، فيتلقى أمر الله. يمر جبريل على الملائكة، وكل ملك يسأله: "مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟" فيجيب: "قَالَ الْحَقُّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ".

هذا يوضح انتشار الوحي وتأکید صدق الحق بين الملائكة كافة.

٢- صوت الوحي والرجفة في السموات:

أخذت السموات رجفة أو رعدة شديدة خوفاً من الله.

الملائكة تصعق وتخر لله سجداً تعظيماً لله عز وجل.

المحرر الثالث: استراق الشياطين وتداخلهم

١- الاستراق:

الشياطين يسمعون كلمة الوحي قبل أن تصل إلى بعض الكهنة أو السحرة، فيلقونها بين بعضهم البعض حتى تصل إلى البشر. أحياناً يدرك الشهاب الكلمة قبل أن تُلقى، وأحياناً تُلقى في أذن وليها من الإنس قبل أن يصل إليها الشهاب.

٢- نتيجة الاستراق:

أحياناً يصدق الكاهن أو الساحر بعض الكلمات، ويكذب معها مئة كذبة. هذا يبين مدى خيانة الكهان والسحرة للحق، وأن تصديقهم لا يعتمد إلا على الكلمة الإلهية.

المحرر الرابع: المسائل المستفادة من الباب

- ١- تفسير الآية وبيان عظمة الله.
- ٢- الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً من تعلق بالقديسين أو الصالحين.
- ٣- معنى ﴿قَالُوا الْحَقُّ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.
- ٤- سبب سؤال الملائكة عن الأمر الإلهي.
- ٥- دور جبريل في إيصال الوحي.
- ٦- أول من يرفع رأسه هو جبريل.
- ٧- إخباره لجميع الملائكة الذين يسألون عن الأمر.

- ٨- الغشي الذي يعم أهل السماوات جميعًا.
- ٩- ارتجاف السموات بسبب كلام الله.
- ١٠- انتهاء الوحي إلى جبريل كما أمر الله.
- ١١- استراق الشياطين للكلمة السماوية.
- ١٢- صفة ركوب بعضهم بعضًا في نقل الكلمة.
- ١٣- إرسال الشهاب لدرء الكلمة عن الكفار أو لمنع الاستراق أحيانًا.
- ١٤- قد يدرك الشهاب الكلمة قبل أن يلقيها الشيطان.
- ١٥- أحيانًا يُلقى الكلمة في أذن ولي من الإنس قبل أن يدركها الشهاب.
- ١٦- احتمال تصديق الكاهن لبعضها، وخداعه بالكذب مئة مرة.
- ١٧- أن الكاهن لا يصدق إلا بالكلمة التي سمعت من السماء.
- ١٨- قبول النفوس للباطل أحيانًا، وكيف يتعلقون بالكلمة الواحدة وينسون بقية الحق.

- ١٩- تلقي بعضهم للكلمة من بعض، والاستدلال بها.
- ٢٠- إثبات صفات الله خلافًا لمذهب الأشاعرة المعطلة.
- ٢١- سبب الرجفة والغشي خوفًا من الله.
- ٢٢- خرّ الملائكة سجداً لله تعظيمًا.

المحور الخامس: الدروس العملية

- ١- التوحيد المطلق: كل أمر في الكون بيد الله وحده، لا نصره ولا كشف ضرر إلا بإرادته.

٢- أهمية الوحي: نقل الحق من السماء إلى الأرض عبر جبريل والملائكة دليل على إعجاز القرآن وصدق الرسول ﷺ.

٣- تحذير من الشرك والاستعانة بالمخلوقين: يظهر من قصة استراق الشياطين والكهنة أن المخلوق عاجز عن تصرف الحق والقدر.

٤- التعظيم لله: رجفة السموات وخرّ الملائكة سجدا دليل على عظمة الله المطلقة.

٥- أهمية اليقين بالحق الإلهي: كل كلمة سماوية دقيقة ومؤثرة، ويجب على المؤمنين اتباعها والإيمان بها دون شريك.

باب الشفاعة

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (سورة الأنعام: ٥١).

وقوله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ (سورة الزمر: ٤٤).

وقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (سورة البقرة: ٢٥٥).

وقوله: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ (سورة النجم: ٢٦).

وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ (سورة سبأ: ٢٢) الآيتين.

قال أبو العباس: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ (سورة الأنبياء: ٢٨)، فهذه الشفاعة التي يظنّها المشركون، هي مُنتفِية يوم القيامة كما نفّاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ: «أَنْتَ يَا بُنَيَّ فَسَجُدْ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدِهِ - وَلَا يَبْدَأُ بِالشَّفَاعَةِ أَوْلًا - ثُمَّ يَقَالُ لَهُ: «ارْزُقْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمِعْ، وَسَلْ تُعْطَى، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ»^(١).

(١) هذا اللفظ قطعة من حديث الشفاعة الطويل، أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣)،

من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال له أبو هريرة: مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»^(١).

فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله. وحقيقته: أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليكرمه وينال المقام المحمود. فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى كلامه^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود.

الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولاً، بل يسجد، فإذا أذن الله له شفع.

السادسة: من أسعد الناس بها؟.

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة: بيان حقيقتها.

(١) أخرجه البخاري (٩٩).

(٢) «كتاب الإيمان» (ص ٦٦-٦٧).

شرح باب الشفاعة

المحرر الأول: تفسير الآيات

❖ ❶ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا

شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ [سورة الأنعام: ٥١].

تنبيه على أن الشفاعة والولي غير موجودين عند الله إلا بإذنه، وأن البشر لا يملكون من ذلك شيئاً إلا لمن شاء الله أن يشفع له.

❖ ❷ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً ﴿٤٤﴾ [سورة الزمر: ٤٤]، وَ❖ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا

بِإِذْنِهِ ﴿٢٥٥﴾ [سورة البقرة: ٢٥٥].

تأكيد أن الشفاعة كلها بيد الله وحده، وأن أي شفاعة لم تأذن من الله فهي غير نافعة.

❖ ❸ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن

يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٢٦﴾ [سورة النجم: ٢٦].

توضيح أن حتى الملائكة لا تنفع شفاعتهم إلا بإذن الله، وكلها تتبع إرادة الله وتقديره.

❖ ❹ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ

وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا

لَمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣-٢٤﴾ [سورة سبأ: ٢٣-٢٤].

نفي كل ما يظن المشركون من شفاعة للأصنام أو الأموات، فالشفاعة لا تكون إلا بإذن الله.

المحور الثاني: الفرق بين الشفاعة المنفية والمثبتة

١- الشفاعة المنفية:

هي الشفاعة التي يظنها المشركون، مثل: الدعاء للأصنام أو للملائكة من دون إذن الله.

القرآن نفى عنها أي أثر يوم القيامة.

٢- الشفاعة المثبتة:

شفاعة الأنبياء والصالحين بإذن الله فقط.

مثال: شفاعة النبي ﷺ لأهل الإخلاص يوم القيامة.

المحور الثالث: الشفاعة الكبرى

١- المقام المحمود:

المقام الذي يناله النبي ﷺ عند الله، حيث يُكرم ويُعطى حق الشفاعة لأهل الإخلاص.

لا تبدأ الشفاعة إلا بعد أمر الله، كما ورد عن النبي: "لا يبدأ بالشفاعة، بل يسجد، فإذا أذن له شفع".

٢- أثر الشفاعة الكبرى:

مغفرة الله ورفع درجات أهل الإخلاص.

تحقق التوفيق والنجاة لمن قال: (لا إله إلا الله خالصاً من قلبه).

المحور الرابع: الدروس العملية

١- الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله:

كل شفاعة من البشر أو الملائكة أو الصالحين غير نافعة إلا بإذن الله.

٢- من يسرهم الشفاعة:

من أسعد الناس بالشفاعة هو من أخلص التوحيد في قلبه.

٣- من لا تشملهم الشفاعة:

لا تشمل الشفاعة من أشرك بالله، مهما ادعى التدين أو التقوى.

٤- حقيقة الشفاعة:

هي تفضل من الله على أهل الإخلاص، وليست ملكاً للشفاعة نفسها، بل وسيلة لتحقيق عفو الله وكرمه.

المحور الخامس: المسائل المستفادة

١- تفسير الآيات المتعلقة بالشفاعة.

٢- صفة الشفاعة المنفية (ما يظنه المشركون).

٣- صفة الشفاعة المثبتة (التي بإذن الله).

٤- الشفاعة الكبرى والمقام المحمود.

٥- ما يفعله النبي ﷺ في الشفاعة: يسجد أولاً، ثم يشفع بإذن الله.

٦- من أسعد الناس بشفاعته: أهل الإخلاص والتوحيد.

٧- عدم شمول الشفاعة لمن أشرك بالله.

٨- بيان حقيقتها: تفضل من الله لا شفاعة مستقلة.

باب قول الله تعالى :

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [سورة القصص: ٥٦] الآية .

وفي (الصحيح) عن ابنِ المُسيَّبِ، عن أبيهِ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ لَهُ: «يَا عَمَّ قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فَقَالَ لَهُ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَعَادَا، فَكَانَ آخِرَ مَا قَالَ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا سَتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُحِ عَنْكَ»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة التوبة: ١١٣] الآية، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة القصص: ٥٦] ^(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [سورة القصص: ٥٦].

الثانية: تفسير قوله: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة التوبة: ١١٣].

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤)، وقد تصرف المؤلف ﷺ في ألفاظه كعادته فجمعها من عدة روايات للبخاري ومن رواية مسلم.

الثالثة: وهي المسألة الكبرى - تفسير قوله ﷺ: (قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) بخلاف ما عليه من يدعي العلم.

الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذ قال للرجل: (قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فقبح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام.

الخامسة: جده ﷺ ومبالغته في إسلام عمه.

السادسة: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له، بل نهى عن ذلك.

الثامنة: مضرة أصحاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشر: الشبهة للمبطلين في ذلك، لاستدلال أبي جهل بذلك.

الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم، لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمل في كبر هذه الشبهة في قلوب الضالين، لأن في القصة أنهم لم

يجادلوه إلا بها، مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلاجل عظمتها ووضوحها عندهم،

اقتصروا عليها.

شرح باب قول الله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦)

[سورة القصص: ٥٦]

تمهيد موجز: الموضوع العام

هذا الباب يدور حول حقيقة التوجيه الإلهي (الهداية)، وحدود قدرة البشر حتى لو كانوا أحبباء أو أقرباء للنبي ﷺ، ويرتبط بقصة وفاة عمه أبي طالب وحيثيات دعاء النبي واستغفاره له، ثم نزول الآيات التي توضح: الهداية من الله، وأن الاستغفار للمشركين بعد تبينهم أصحاب جحيم لا يجوز.

➤ **منهجاً:** الباب يربط بين نصوص القرآن والسنة ويستخلص منها قواعد عملية وعقدية: لا تملك النفوس الهداية، ودور النبي في الإنذار والدعاء، وحدد استغفار المشركين بعد بث الحجة.

المحور الأول: شرح الآيتين الأساسيتين

① قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥٦) [سورة القصص: ٥٦]

➤ **المعنى اللغوي:** لا يقدر إنسان - حتى لو كان من أحبابك - أن يجبر قلب إنسان على الإيمان.

الأمر بيد الله: ما أراد هدى هداه، وما لم يرد هدى لم يهده.

➤ **المغزى العقدي، العملي:** المسؤولية الإنسانية تقتضي الدعوة والإنذار والرفق بالإقناع، لكن نتيجة الإيمان هي من مشيئة الله.
لذلك الواجب: البلاغ بالحكمة، ثم التوكل على الله، وعدم اليأس من رحمته، وفي الوقت نفسه إدراك أن الهداية لا تُكره.

② قوله تعالى: ﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة التوبة: ١١٣] الآية.

➤ **المعنى:** بعد أن تبين للمؤمنين أن بعض الناس على ضلالٍ بيّن، لا يُستحبّ ولا يجوز أن يُستغفر لهم؛ لأن الاستغفار في هذه الحال إقرار بقبولهم أو إرجاء للحكم. الآية تَضَعُ حدًّا لطلب المغفرة للمشرّكين بعد انكشاف الحال وبيان أنهم أصحاب جحيم.

➤ **سياق النزول:** مرتبط بواقعة أبي طالب وعمه أبي جهل الذين رفضوا، والنبى كان يدعو لهما ثم نُزِلَت الآية لتقنين المسألة.

المحور الثاني: القصة التاريخية بإيجاز

لما مرض أبو طالب وقد شُغِلَ عنه أن يقبل الإسلام، أتى النبي ﷺ يحثه: «قل لا إله إلا الله» ليكون له حجة عند الله ويستنقذ به، فرفض، النبي كرّر الحثّ، وشرّع الدعاء والاستغفار له لفترة، ثم نزلت الآية التي تقرر أنه لا يجوز الاستغفار للمشرّكين بعد تبيانهم، كذلك نزلت آية: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [سورة القصص: ٥٦] تذكيراً بأن الهداية بيد الله. القصة تبين جانبي الإحسان

(المحاولة والدعاء) وحدّ القدرة (الهداية بيد الله).

المحور الثالث: الدروس العقدية والعملية العامة

١- لا تضليل في التوحيد: حتى أقرب الناس لا يُكره على الإيمان، والهداية من الله وحده.

٢- واجب البلاغ: النبي يقوم بالإنذار والدعوة حتى لأقرب الناس، ويُبذل الجهد.

٣- حدود الاستغفار: الاستغفار للمشرّكين بعد تبيّن حقّ الباطل ليس مشروعاً، وهذا بيان لسطح القاعدة الشرعية.

٤- الخواتيم مهمة: النهاية (خاتمة الحال) لها وزنها؛ إن مات المرء على الشرك لم يفده ما كان.

٥- التعامل مع الأقارب: الدعاء والتحذير مطلوبان، لكن الحماية من الاتكال على النسب مطلوبة.

شرح المسائل تباعاً (واحدة- واحدة):

المسألة الأولى: تفسير: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [سورة القصص: ٥٦]

النصي: معناها: يا محمد، لا تقدر أن تجبر قلوب من تحبهم على الإيمان؛ الهداية حكم الله ومشيّته.

التأويل العقدي: هذا لا ينسخ واجب الدعوة أو الاستمرار في النصيحة؛ بل يقطع أي وهم بأن النبي أو أي إنسان يملك التصرف في قلوب الخلق.

الدلالة العملية: بعد الاجتهاد بالبيان والحكمة، يتوجّه الداعي إلى

التوكل؛ ولا يتزعج إن بقي بعض الأقرباء على حالهم.

♦ المسألة الثانية: تفسير قوله: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا

لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٣].

❧ المعنى: لا يجوز للمؤمنين بعد أن تتبين لهم حقيقة المشركين بأنهم أصحاب جحيم أن يطلبوا من الله أن يغفر لهم.

❧ حكمة التشريع: حماية لصف المؤمنين من إظهار تأييد أو تسوية بين الحق والباطل، وتأكيد لعدالة الله في الحساب.

❧ كيف فهم تاريخياً؟: النبي كان يستغفر لبعض الناس قبل أن يتبين أمرهم بتمام اليقين، لكن عند التبيان يُمنع ذلك.

♦ المسألة الثالثة (المسألة الكبرى): تفسير قوله: (قل لا إله إلا الله) بخلاف من يدعي العلم

❧ المقصود في الدعاء: عندما يقول النبي: (قل لا إله إلا الله)، لم يقصد مجرد التلفظ؛ بل المعنى الحقيقي هو إخلاص العبادة لله وترك الشرك.

❧ من زعم أن المعنى مجرد لفظ: يُرد بأنه لا يكفي اللفظ بلا اعتقاد ولا فعل؛ فالمعلوم عند السلف والعلماء أن الشهادة تقتضي الإيمان بالقلب والاعتراف بأصول الدين وترك الشرك.

❧ الرسالة: النبي كان يدعو إلى القلب والاعتراف العملي لا إلى تجارة بالألفاظ.

♦ المسألة الرابعة: أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي إذا قال: "قل

- ❖ البرهان التاريخي: موقفهم من النبي وخصوماتهم تظهر أنهم فهموا معنى الشهادة ورفضوه عمدًا؛ لذلك رفضهم ليس جهلاً عن المعاني، بل عناد وحرص على مغنم الدنيا والعصية.
- ❖ الدلالة العقدية: يُستدل من ذلك على أن الدعوة كانت واضحة وأن الردّ كان اختيارًا واعيًا.

❖ المسألة الخامسة: مبالغة النبي ﷺ في إسلام عمه (جدّه)

- ❖ المقصود هنا: محبة النبي لعمه ومحاولته الدؤوبة لهداية الأقربين، بل وتكرار النداء ومحاولات الإنقاذ. هذا ليس مبالغة محاسبية، بل رحمة ونزوع لنجاة الأقرباء، النبي لم يرج غير الله، لكنه بذل ما يستطيعه.

❖ المسألة السادسة: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه

- ❖ بعض الروايات أو تفسيرات حاولت نسب إسلام لأسلاف، لكن المنهج السلفي المعتاد يفرق بين النبوة والإيمان الصحيح في زمن النبوة: من مات على الشرك لم يُحكم عليه بالإسلام.

- ❖ الجواب العملي: الأدلة التاريخية والقرآنية تدل على أن كثيرًا من قريش كانوا مشركين حتى ظهور الإسلام، ولا حجة شرعية تقر أن عبد المطلب مات مسلمًا إلا بروايات ضعيفة أو تفسيرية؛ لذا لا تصير قرابة سببًا للثقة في الخاتمة.

❖ المسألة السابعة: كون النبي ﷺ استغفر له فلم يغفر له، ونُهي عن

الترتيب التاريخي: النبي استغفر لأبي طالب أثناء مرضه، ثم نزلت آية التحريم (أو التقنين) على الاستغفار للمشرّكين بعد تبينهم.

التأويل: هذا لا يناقض رحمة النبي؛ بل يُظهر أن الشريعة اقتضت وضع حدّ لما يسيء للدعوة؛ وأن الاستغفار لاحقاً لم يعد مباحاً بعد انكشاف حال المشرّك.

قضية الغفران: الغفران من عند الله وحده، وقد رُفِعَ الحيف بالفصل الشرعي.

المسألة الثامنة: مضرة أصحاب السوء على الإنسان

الشرح: قرب الأقارب من أهل الضلال قد يورث تأثيراً اجتماعياً ونفسياً يقود إلى الضغط أو الارتباك، ومن ثم ضرورة اليقظة وعدم الاستكانة للعصية.

الدرس: لا تُقدّم قرابةً على حقّ الله، وكن واعياً لتأثير الصحبة.

المسألة التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر

الشرح: الاعتماد على نسب أو تعظيم سلفٍ لا ينفع عند الله، خاصة إن كانوا على ضلال.

الدرس العملي: العقيدة لا تُورث، بل تُكتسب بالإيمان والعمل.

المسألة العاشرة: استدلال الجاهلية بذلك

الجاهليون كانوا يستخدمون حجة القرابة والتقاليد للتبرير والدفع عن تغيير عقيدتهم؛ القرآن يردّ عليهم ويبين أن القرابة لا تغني عن الحق؛ لذا لم تكن

هذه حجة جديدة في زمن النبي.

المسألة الحادية عشرة: شاهد لكون الأعمال بالخواتيم

المعنى: إن كانت النهاية على الشرك فمصير العمل لا يفيد؛ لذلك الحذر من الخاتمة.

التطبيق: اجعل أنت خاتمتك على التوحيد بالاستمرار في العمل الصالح والتوبة.

المسألة الثانية عشرة: التأمل في كبر الشبهة لدى الضالين

الشرح: لماذا اكتفوا بهذه الحجة (أن أبى أن يقول لا إله إلا الله؟) لأنها كانت لهم قضية جوهرية: حفظ الشرف القبلي، المنافع الاجتماعية، والزعامات: فمن ثم بالغوا في دفاعهم عنها.

الدرس: وضوح الدعوة وإصرار المنافقين على الشبهات يكشف أن القضايا العقدية ليست مسألة تجاهل بل اختيار واع.

خاتمة موجزة ونصيحة عملية

١- الواجب: أبلغ وأحسن في طلب الهداية للأقارب والجيران، وادعُ لهم وأحسن إليهم.

٢- الحد: لا تغترّ بقرابة أو مقام، فالهداية بيد الله وحده.

٣- التوازن: لا تُقصر في الدعاء والاستغفار قبل أن يتبين الحال، وبعد التبين التزم حدود الشرع (لا تستغفر لمن ثبت على الشرك).

٤- الخاتمة: القصة تذكّرنا بحقيقة التوحيد: أنه ليس وراثته ولا منصباً بل قرار قلب وصدق عمل.

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم

هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [سورة النساء: ١٧١].

وفي "الصحيح" عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ [سورة نوح: ٢٣] قال: «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عُبِدَتْ»^(١).

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم^(٢).

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٠)، والأثر أورده المصنف مختصراً، وأورده البخاري مطولاً، وذكر أبو العباس الشحري - حفظه الله - في رسالته «سبيل الرشاد» في الدفاع عن هذا الأثر، أنه قد صححه (٢٨) عالماً من المتقدمين والمتأخرين.

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٠٩)، تحقيق محمد حامد فقي رحمه الله.

وَعَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطَرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ» أخرجاه (١).

وقال: قال رسول الله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْعُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْعُلُوُّ» (٢).
وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا (٣).

فيه مسائل:

الأولى: أن من فهم هذا الباب وباين بعده، تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أول شيء غير به دين الأنبياء، وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل، فالأول: محبة الصالحين، والثاني: فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً، فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره.

(١) وهم المؤلف رحمه الله في عزو الحديث للصحيحين، والحديث انفرد به البخاري (٣٤٤٥) مختصراً، وضمن حديث طويل (٦٨٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٥/١)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٨٣)، والوادعي في «رياض الجنة» (ص ٢٥٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

السادسة: تفسير الآية التي في سورة نوح.

السابعة: جبلة الأدمي في كون الحق ينقص في قلبه، والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر.

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل.

العاشر: معرفة القاعدة الكلية، وهي النهي عن الغلو، ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة: النهي عن التماثيل، والحكمة في إزالتها.

الثالثة عشرة: معرفة عظم شأن هذه القصة، وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهي أعجب وأعجب: قراءتهم إياها في كتب التفسير والحديث،

ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن

فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه، فهو

الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح أنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم في قوله ﷺ: (لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ

مَرْيَمَ) فصلوات الله وسلامه على من بلغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم، ففيها بيان معرفة قدر

وجوده ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.



شرح باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

المحور الأول: شرح الآيات

١- قوله تعالى: ﴿يَتَّاهِلَ الْكَتَبُ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا

الْحَقَّ﴾ [سورة النساء: ١٧١]:

الخطاب لأهل الكتاب، والنهي عن الغلو: أي تجاوز الحد في تعظيم الأنبياء والصالحين حتى أفضى بهم إلى الشرك، كقول النصاري في عيسى عليه السلام. فيه بيان أن الغلو أصل من أصول الانحراف عن الدين الحق.

٢- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ الْهَتَكُ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سَوَاعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ

وَنَسْرًا﴾ [سورة نوح: ٢٣]:

هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما ماتوا نصبوا تماثيل تذكّرهم

٣٣٠

بمرور الزمن ونسيان العلم، تحولت التذكارات إلى معبودات من دون الله.

هذا يبين كيف يبدأ الشرك صغيراً ثم يعظم.

المحور الثاني: شرح الأحاديث

① حديث: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطَرْتُ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ،

فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»:

فيه النهي عن الغلو في شخص النبي ﷺ، لأنه قد يجر إلى تأليهه كما فعلت النصارى بعيسى.

② حديث: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ»:

تحذير شديد من الغلو لأنه سبب الهلاك للأمم السابقة.

٣- حديث: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» قَالَهَا ثَلَاثًا:

المتنطعون: المتشددون والمتعمقون في غير موضع التشديد، أي المبالغون في القول والعمل حتى يخرجوا عن حد الاعتدال.

المحور الثالث: القواعد العامة المستفادة

١- الغلو في الصالحين أصل الشرك: أول شرك وقع في الأرض كان بسبب تعظيم الصالحين.

٢- مزج الحق بالباطل خطر عظيم: بدأ الناس بمحبة الصالحين (حق)، ثم أدخلوا عليهم صورًا وتماثيل (باطل)، فاختلط الأمر حتى عبدوا من دون الله.

٣- أهمية العلم الشرعي: بقاء العلم يحفظ التوحيد، فإذا مات العلماء ونُسي العلم ظهر الشرك والبدع.

٤- النهي عن التماثيل والقبور: لأن تعظيمها سبب للغلو ثم الشرك.

٥- أن البدعة بريد الكفر: ولو كان قصد أصحابها حسنًا، فالشيطان يعرف مآلها.

المحور الرابع: شرح المسائل

- ١- بيان غربة الإسلام: بفهم هذا الباب يتضح أن كثيرًا من الناس وقعوا فيما حذر منه القرآن والرسول.
- ٢- معرفة أول شرك حدث في الأرض: وهو تعظيم الصالحين بعد موتهم.
- ٣- سبب تغيير دين الأنبياء: إدخال البدع والغلو.
- ٤- قبول البدع مع رد الشرائع والفطر لها: دليل على خطورة البدعة.
- ٥- مزج الحق بالباطل: أصل الانحراف.
- ٦- تفسير آية نوح: أن أسماء رجال صالحين صارت أوثانًا.
- ٧- جبلة آدمي: الحق يضعف في قلبه إذا لم يُغذَّ بالعلم، والباطل يقوى بالزمن.
- ٨- البدع سبب الكفر: كما جرى لقوم نوح.
- ٩- مكيدة الشيطان: يزين البدعة الصغيرة حتى تؤول إلى كفر أكبر.
- ١٠- القاعدة الكلية: النهي عن الغلو.
- ١١- مضرة العكوف على القبور: لأنها تؤدي للغلو.
- ١٢- النهي عن التماثيل: لحمايتها من أن تُعبد.
- ١٣- شدة الحاجة لفهم القصة: مع أن الناس يقرؤونها لكن يغفلون عن معناها.
- ١٤- أعجب ما يكون: أن قومًا يعلمون القصة ثم يعكسونها فيجعلون ما نهى الله عنه أفضل العبادات.

١٥- أنهم أرادوا الشفاعة: أي ظنوا أن تلك الأصنام تشفع لهم عند الله.

١٦- ظنهم أن العلماء قصدوا ذلك: مع أن أول من نصب التماثيل لم يقصد

العبادة.

١٧- النهي عن إطراء النبي ﷺ: سدًا لباب الغلو.

١٨- التحذير من التنطع: وهو التشدد المذموم.

١٩- أن الأصنام لم تعبد حتى نُسي العلم: بيان خطر فقد العلماء.

٢٠- موت العلماء سبب فقد العلم: فإذا فقد العلم ظهر الشرك والبدع.

المحور الخامس: الخلاصة

هذا الباب يكشف أصل الشرك وسبب ضلال بني آدم وهو الغلو في

الصالحين.

الإسلام دين وسط، يحذر من الإفراط والتفريط.

لا نجاة من الغلو إلا بالتمسك بالعلم الشرعي الصحيح، وتعظيم التوحيد،

والحذر من البدع.

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله

عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده

في (الصحيح) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ، ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَيْسَةَ رَأَتْهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَمَا فِيهَا مِنَ الصُّورِ، فَقَالَ: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ»^(١).

فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين، فتنة القبور، وفتنة التماثيل^(٢).

وَلَهُمَا عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ كَشَفَهَا، فَقَالَ: -وَهُوَ كَذَلِكَ- «لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» يُحَدِّثُ مِثْلَ مَا صَنَعُوا، وَلَوْلَا ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا، [أُخْرِجَاهُ]^(٣).

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا،

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤)، ومسلم (٥٢٨).

(٢) هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ ذكره عنه صاحب كتاب «فتح المجيد»

(٢٠٦)، ونقله عنه تلميذه ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في «إغاثة اللهفان» (١/ ٢٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١)، عن عائشة وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ»^(١).

فقد نهى عنه في آخر حياته، ثم إنه لعن - وهو في السياق - مَنْ فعله، والصلاة عندها من ذلك، وإن لم يُبنِ مسجد، وهو معنى قولها: «خشى أن يتخذ مسجداً».

فإن الصحابة لم يكونوا لِيَسْنُوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قُصِدَت الصلاة فيه فقد اتُخذ مسجداً، بل كل موضع يُصَلَّى فيه يسمى مسجداً، كما قال ﷺ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا»^(٢).

وَلَا أَحْمَدَ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ تُذَرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»، رواه أبو حاتم في صحيحه^(٣).

فيه مسائل:

الأولى: ما ذكر الرسول ﷺ فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح، ولو صحت نية الفاعل.

(١) أخرجه مسلم (٥٣٢).

(٢) هذا من كلام شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٦٧١، ٦٦٨).

(٣) أخرجه أحمد (١/٤٠٥)، وابن أبي شيبة (٣/٣٤٥)، وغيرهما، وحسنه الألباني في «تحذير

الساجد» (١٩)، والوادعي في «الصحيح المسند» (١/٦٣٩).

الثانية: النهي عن التماثيل، وغلظ الأمر في ذلك.

الثالثة: العبرة في مبالغته عليه السلام في ذلك. كيف بين لهم هذا أولاً، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان في السياق لم يكتف بما تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى في قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم على ذلك.

السابعة: أن مراده عليه السلام تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة في عدم إبراز قبره.

التاسعة: في معنى اتخاذها مسجداً.

العاشر: أنه قرن بين من اتخذها مسجداً وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكره في خطبته قبل موته بخمس: الرد على الطائفتين اللتين هما شر أهل البدع، بل أخرجهم بعض السلف من الثنتين والسبعين فرقة، وهم الرافضة والجهمية. وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

الثانية عشرة: ما بلي به عليه السلام من شدة النزع.

الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلّة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته.

شرح باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟

أولاً: النصوص الأساسية الواردة في الباب (نصوص وأسانيد مختصرة)

① حديث عائشة عن أم سلمة: ذكرت كنيسة في الحبشة فيها صور، فقال النبي ﷺ: «أُولَئِكَ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَوِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوْرَ، أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ». رواية أخرى عنها: فحذر النبي ﷺ من اتخاذ القبور مساجد، وقال: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

② حديث جندب بن عبد الله: في خطبة النبي قبل موته بخمس قال: «لَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنَهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ».

③ عن ابن مسعود مرفوعاً: «إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ».

هذه النصوص متواترة في مصادر الحديث وفيها تغليظ واضح وتحذير شديد.

ثانياً: شرح لفظي وسياقي

ماذا يعني «اتخاذ القبور مساجد»؟

Ⓒ اتخاذ القبور مساجد: ليس مجرد الوقوف عند القبر أو الدعاء للميت، بل المقصود تحويل القبر إلى مكان مخصوص للعبادة والتبرك، سواء ببناء

مبنى (قبة/مسجد) حوله، أو بتخصيصه للصلاة والاحتفالات الدينية، أو وضع تماثيل وصور، أو إقامة «مواسم» وطقوس واحتفالات دينية مرتبطة بالقبر، أو توجيه العبادة إليه أو طلب الشفاعة منه.

❖ الفرق: زيارة القبور، والدعاء للميت، والذكر والصدقة عنه: هذه أمور مستقرة ومقبولة (مع ضوابط)؛ أما تحويل المقبرة إلى مقرّ عبادة: فتخصيصه كـ«مسجد» أو «ضريح» يتوسط العبادة: فهذا هو الممنوع والمفضي إلى الشرك.

ثالثاً: شرح الحكم الشرعي (ما الذي دلّت عليه النصوص؟)

❖ الحكم الإجمالي: اتخاذ القبور مساجد محرم ومذموم؛ وقد لُغظ فاعله بأشد اللعن والذم فيما ورد.

❖ التعليل: النصوص تصف فاعلي ذلك بأنهم «شرار الخلق»، وأنهم من الذين إذا أدركتهم الساعة وهم أحياء فهم شرّ الناس.

❖ سبب التحريم: يؤدي اتخاذ القبور مساجدًا إلى الغلو والبدع، ثم إلى الشرك (التوجه بالعبادة إلى غير الله أو الوساطة المنزعة إلى العبادة)، ويشبه سنن اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم دورًا للعبادة.

رابعاً: الحكمة في النهي (لماذا نهى النبي ﷺ بشدة؟)

١- **وقاية التوحيد:** منع أي مدخل يؤدي إلى (shirk) الشرك.

٢- **منع التقليد الأعمى:** قطع سبل التقليد بسلوكيات السابقة التي أوصلت أقوامًا إلى الشرك.

٣- **منع الانزلاق النفسي:** التبجيل المفرط للقبر يؤدي إلى إفراغ العقل من الاعتقاد، وتهيئة أرضية لعبادة المخلوق بدل الخالق.

٤- **الوقاية من البدع:** بناء أضرحة وقباب ومواكب يجعل من القبور مراكز للبدع و«صناعة شعائر» غير شرعية.

خامساً: صور محظورة عملياً (ما المقصود بالمنع عملياً؟ أمثلة)

بناء قبة أو مسجد خاص يحيط بقبر ويُخصص للصلاة والتعبد حوله. وضع صور وتماثيل في مقام القبر أو في «المسجد» حوله وعبادتها أو التبرك بها. الاحتفالات السنوية (مواسم، مدائح، «مولد» القبر) التي تُقام كطقوس عبادة.

وضع أضرحة مزينة، شموع، شموعات، شموع إلكترونية تُستخدم كوسائل عبادة أو طلب نفع من القبر.

الدعاء إلى القبر بطلب الاستغاثة أو الشفاعة منه كالقول: «يا فلان اشفع لنا» أو «اجعل لنا عند قبرك».

تخصيص الصلاة أو الذكر عند القبر بصيغة تُظهر التوجه للقبر أو تبجيله كواسطة قائمة بذاتها، مثال: (توجيه العبادة أو التبرك به بما يشبه عبادة).

سادساً: ما هو المسموح (الحدود والضوابط): ماذا يجوز عند القبور؟

➤ زيارة القبور: سنة مستحبة - للذكر والدعاء للميت وقراءة سورة

الفتاححة، الدعاء له وطلب الرحمة والمغفرة من الله له، والزيارة يجب أن

تكون بعيدة عن التبرك بالقبور كوسائل.

❶ الدعاء للميت: جائز ومستحب «اللهم اغفر له»، «اللهم ارحمه»؛ لكن لا يجوز أن يُخاطَب الميت نفسه أو يُطلب منه شفاعته مستقلة عن إذن الله.

❷ الصدقة والدعاء وقراءة الفاتحة: جائزة كصدقة جارية، لكن لا بد أن تكون نية الرفع لله لا التوسُّط بالميت.

❸ الواقعية: لا تُقام فيها صلوات سنوية مُحددة بوجه يخصَّ القبر، ولا تُتخذ كأنه مقام إلهي.

❹ منع تحويل موضع للعبادة: أي مكان يصلَّى فيه بصفة دائمة ومقصود إقامة العبادة باسم القبر، فهو مسجد متخذ غير مشروع.

سابعاً: علاقتان مهمتان: الصور (التصاوير) والقبور

❶ التصاوير والتمثيل: في نقل عائشة كانت الصور التي في الكنيسة سبباً في توجه الناس إلى صناعة صور للقبور. القرآن والسنة نقداً هذا الميل؛ لأن الصور قد تؤدي إلى التعلُّق بالخلق وعبادته.

❷ الحكم: تصوير الأحياء أو الأموات ووضع التماثيل في أماكن العبادة، أو جعلها أدوات تدخل في الشعائر: هذا جزء من الأسباب المفضية إلى الشرك ويُنهى عنه.

ثامناً: لماذا خشي النبي ﷺ أن يتخذ قبره مسجداً؟ ولماذا لم يبرز قبره؟

❶ النبي ﷺ قصد الحذر والوقاية: فلو أٌبرز قبره لجُعِلَ موضعاً للتبرك والزيارة المبالغ فيها، وهذا ما حدث لأضرحة الأنبياء عند أقوام سابقة.

النهي عن إبراز القبر لمنع اتباع الناس والتمسك بالمظاهر التي تؤدي للتشبه باليهود والنصارى في هذه المسائل.

إذن الامتناع عن إبراز القبر دليل تربوي لمنع فتنة لاحقة.

تاسعاً: تغليظ الوعيد: «شرار الناس» و«من تدركه الساعة وهو حي»

هذه العبارات رمزية تبين عظم الذنب ومخاطره الأخروية: إن اتخاذ القبور مساجد يؤدي صاحبه إلى منزلة ذمّ عظيم عند الله (نسبة إلى «شرار الخلق») وربما يكون من الذين تُدركهم الساعة على هذه الحال، أي: أن جزاءه عظيم.

المقصود: تنبيه الأمة إلى أن هذا الفعل خطير جداً على الدين والآخرة.

عاشراً: ربط هذه المسألة بقضايا أخرى ذكرت في الكتاب

ترتبط هذه المسألة بباب «التبرك بالشجر والحجر» وباب «الرقى والتمائم» و«الغلو في الصالحين» كلها تدخل تحت مدخل واحد: من ثمرة الغلو والبدع تحويل الخلق إلى ما يعبد.

لذلك المعالجة عملية: حفظ العلم، نبذ البدع، تعليم الناس حقيقة التوحيد.

الحادي عشر: الآثار العملية المعاصرة (ماذا نفعل إذا وجد ضريح، قبة، مقام؟)

التعامل الشرعي: العلماء اختلفوا في قطع المباني القائمة؛ لكن المبدأ الشرعي العام، خصوصاً في الأوضاع التي يؤدي فيها هذا الضريح لعبادة شركية: أن تُزال الأسباب التي تسهل الشرك (قباب، مآذن، مراسيم، مواسم) وأن يُعاد المكان إلى كونه مقبرة فقط دون تشييد مسجد (or shrine).

- ٢- التربية والعلم: أولوية نشر العلم والبيان لبيان خطر اتخاذ القبور مساجد.
- ٣- الزيارة والرد: إن رأيت رجلاً يعبد عند قبر، يجب النصيحة بالحكمة والرفق، وتحذيره من الشرك، ثم العمل على إزالة مظاهر العبادة إن حصلت فتنة وسمحت الظروف بمعالجة شرعية.

النافع عشر: خاتمة عملية موجزة (نقاط للمراجعة والحفظ)

- ١- النهي واضح وصريح عن اتخاذ القبور مساجد؛ وفيه تغليظ شديد.
- ٢- زيارة القبور للذكر والدعاء مباحة، لكنها مع ضوابط: لا عبادة للقبر، ولا تبجيل مخلوق، ولا إقامة طقوس عبادة.
- ٣- أسباب المنع: حفظ التوحيد، منعا للغلو والبدع، وقطعاً لتقليد أهل الكتاب في اتخاذ قبور أنبيائهم دور عبادة.
- ٤- العلاج: التعليم، إزالة مظاهر الشرك، وصيانة القبور كمقابر لا كمراكز عبادة.
- ٥- درس النبي ﷺ: لم يبرز قبره خشية التقديس والتشبه بمن سبق، ونهى أمته عن ذلك ببيان شديد.

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا تعبد من دون الله

رَوَى مَالِكٌ فِي "المَوْطَأَ"، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ، اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»^(١).

ولابن جرير بسنده، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّى

﴿١٩﴾ [سورة النجم: ١٩] قَالَ: كَانَ يَلُتُّ لَهُمُ السَّوِيقُ؛ فَمَاتَ فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ^(٢).

وكذلك قال أبو الجوزاء، عن ابن عباس: (كَانَ يَلُتُّ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ)^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ، وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالشُّرُجَ)، رواه أهل السنن^(٤).

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/١٧٢)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١/٤٠٦)، وهو صحيح لغيره.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٢/٤٧-٤٨)، والفراء في «معاني القرآن» (٣/٩٥)، والخبر ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٤/٣٠)، وهو صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٥٩)، ولفظه: «كَانَ اللَّاتُ رَجُلًا يَلُتُّ سَوِيقَ الْحَاجِّ».

(٤) أخرجه أبو داود (٣٢٣٦)، والترمذي (٣٢٠)، وابن ماجه (١٥٧٥)، مختصراً بدون هذا اللفظ، والنسائي (٩٤-٩٥)، وأحمد (١/٢٢٩)، وابن حبان (٣١٧٩)، والحاكم (١/٣٧٤)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٢٥)، والوادعي في «تبعه لأوهام الحاكم في المستدرک»

(١/٥٢٤).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

الرابعة: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله.

السادسة: - وهي من أهمها - معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان.

السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح.

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية.

التاسعة: لعنه زوارات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها.

شرح باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

أولاً: النصوص الواردة في الباب

① حديث الموطأ: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ،

اَشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

- دعاء النبي ﷺ أن يحفظ الله قبره من أن يُجعل معبوداً.

② أثر في تفسير اللات: قال مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ

﴾ [سورة النجم: ١٩]:

كان رجلاً يَلْتِ السُّوَيْقَ لِلْحَاجِّ، فلما مات عكفوا على قبره.

③ حديث ابن عباس: قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَايِرَاتِ الْقُبُورِ،

وَالْمُتَخَذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ».

ثانياً: شرح الباب على محاور متعددة

١ - المعنى العام للباب:

➤ المقصود: التحذير من الغلو في الصالحين عند قبورهم، لأن هذا الغلو

يجرّ إلى تحويل القبور إلى أوثان تُعبد، كما وقع في الأمم السابقة.

الغلو يبدأ بمحبة وتعظيم مشروع، ثم يتحول إلى بدع (زيارة، تبرك، بناء،

إشعال سرج)، ثم إلى شرك (دعاء الميت، طلب الشفاعة منه، الذبح والنذر له).

٢- العلاقة بين القبور والأوثان:

❶ الأوثان: كل ما عُبد من دون الله، سواء كان حجراً أو شجراً أو قبراً أو إنساناً.

❷ المسار التاريخي: رجل صالح → حب وتعظيم → زيارة قبره → بناء قبة أو مسجد عليه → تبرك به → عبادته.

مثال: اللات، كان رجلاً صالحاً يخدم الحجاج، فلما مات عُبد قبره وصار من أعظم الأوثان.

٣- الحكمة في دعاء النبي ﷺ:

النبي ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ».

هذا يدل على أن الخطر عظيم جداً، وأنه قد يقع لولا أن الله عصمه.

❸ المعنى: أن أعظم فتنة للأمة تكون في الغلو في نبينا وصالحينا، فطلب النبي ﷺ من ربه الحماية.

٤- خطورة اتخاذ القبور مساجد:

النبي ﷺ قرن بين الغلو في قبره واتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

هذا الفعل هو سبب اشتداد غضب الله على الأمم السابقة.

العبرة: أن من اتخذ قبور الصالحين مواضع عبادة، وقع في نفس المحذور.

٥- أمثلة عملية للغلو المنهي عنه:

البناء على القبور (قبة، مسجد).

الصلاة عند القبور.

إشعال السرج (الأنوار) عندها.

تخصيص القبور بالزيارة البدعية.

الدعاء إلى أهل القبور، أو طلب الشفاعة منهم.

ثالثاً: شرح المسائل الواردة في الباب

١- تفسير الأوثان:

الأوثان: كل ما عُبد من دون الله، ولو كان قبراً لرجل صالح. ليست محصورة في الأحجار فقط.

٢- تفسير العبادة:

العبادة: التذلل والخضوع بالقول أو الفعل أو القلب، كالذبح والنذر والدعاء والاستغاثة، فإذا صُرِفَت لغير الله فهي شرك.

٣- أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه:

دعاء النبي ﷺ أن لا يجعل قبره وثناً دليل على أن الفتنة بالقبور أمر واقع، وخافه على أمته.

٤- قرنه باتخاذ قبور الأنبياء مساجد:

أي: أن الخطر واحد: تحويل قبور الأنبياء والصالحين إلى أوثان تُعبد.

٥- ذكر شدة الغضب من الله:

اتخاذ القبور مساجد سبب لاشتداد غضب الله، لأنه شرك يناقض التوحيد.

٦- صفة معرفة عبادة اللات:

اللات: كان رجلاً صالحاً يخدم الحجاج، فلما مات غلوا فيه حتى عبدوه. هذا يبين أن الشرك بدأ من باب الغلو في الصالحين.

٧- معرفة أنه قبر رجل صالح:

اللات كان رجلاً صالحاً في الأصل، لكن قبره صار معبوداً.

٨- أنه اسم صاحب القبر:

اللات مأخوذ من اسمه (يلت السويق)، ثم صار علماً على الوثن.

٩- لعنه زوارات القبور:

النهي عن كثرة زيارة النساء للقبور لما في ذلك من الفتنة والجزع.

١٠- لعنه من أسرجها:

إشعال السرج عند القبور من وسائل الغلو والشرك، لذا لعن فاعله.

رابعاً: الخلاصة العملية

١- الأصل المشروع: زيارة القبور للعبارة والدعاء للأموات.

٢- النهي عنه: الغلو في القبور بالبناء والسرج والدعاء عندها.

٣- الغاية: حماية التوحيد، وقطع كل وسيلة تؤدي إلى الشرك.

٥- العبرة: أول شرك في الأرض كان بسبب الغلو في الصالحين، وهذا أخطر

ما يهدد الأمة.

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ

جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ»، رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواه ثقات (١).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةٍ كَانَتْ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو فَتَهَاهُ، فَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي، عَنْ جَدِّي، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا قُبُورِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ»، رواه في المختارة (٢).

(١) أخرجه أحمد (٣٦٧/٢)، وأبو داود (٢٠٤٢)، وهو صحيح بشواهده.

(٢) أخرجه الضياء في «المختارة» (٤٢٨)، وابن أبي شيبه في «مصنفه» (٣٧٥/٢)، وأبو يعلى (٤٦٩)، وحسنه الألباني في «تحذير الساجد» (١٠٤)، واحتج به الوادعي في «رياض الجنة» (٢٧٠).

«المختارة» كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على «الصحيحين» لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أمتة عن هذا الحمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة.

الثامنة: تعليله ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى

ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمتة في الصلاة والسلام عليه.

شرح باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

أولاً: النصوص الواردة في الباب

① الآية: قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨-١٢٩].

② حديث أبي هريرة: قال ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قُبُورِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ».

③ حديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده: قال ﷺ: «لَا تَتَّخِذُوا قُبُورِي عِيدًا، وَلَا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ يَبْلُغُنِي أَيْنَمَا كُنْتُمْ».

ثانياً: شرح الباب على محاور متعددة

١- عنوان الباب:

النبي ﷺ كان أحرص الناس على حماية التوحيد وسد كل باب قد يفتح على الأمة باب الشرك، حتى لو كان من جهة محبته وتعظيمه.

٢- دلالة الآية الكريمة:

تبين الآية صفات النبي ﷺ:

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾: يشق عليه ما يشق على الأمة.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾: شديد الحرص على هدايتهم وحمايتهم من المهالك.

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾: رؤوف بهم في دنياهم ودينهم. هذا يبين أن نهيه عن بعض الأمور لم يكن جفاءً، بل حرصاً ورأفة ورحمة.

٣- معنى الأحاديث:

النهي عن جعل قبره عيداً: أي مكاناً يقصد بانتظام وزيارة مخصوصة يتكرر فعلها كما يُفعل في الأعياد.

النهي عن جعل البيوت قبوراً: أي ترك الصلاة والعبادة فيها، فيشبه البيت بالمقبرة التي لا تُصلّى فيها.

التنبيه: أن الصلاة والسلام على النبي ﷺ تبلغه حيث كان المسلم، فلا حاجة لاتخاذ قبره وسيلة بدعية.

٤- حماية التوحيد:

النبي ﷺ سدّ باب الشرك:

نَهَى عن الغلو في قبره.

يَبِّنُ أن السلام والصلاة تبلغه بلا حاجة للتخصيص.

نَهَى عن صور العبادة البدعية التي وقعت فيها الأمم السابقة عند قبور

أنبيائهم.

ثالثاً: شرح المسائل

١- تفسير آية براءة:

الآية تظهر حرص النبي ﷺ على أمته ورأفته بهم، وبيان أن كل نهي أو أمر كان من منطلق الرحمة والشفقة، لا من باب التشديد.

٢- إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد:

أي: أنه لم يترك شبهة أو ذريعة قد تفضي إلى الشرك إلا حذر منها وأبعد الأمة عنها.

٣- ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته:

يتجلى ذلك في وصاياه الأخيرة، حيث سدّ الأبواب التي قد تفتح باب الشرك، حتى لو كان ظاهرها التعظيم.

٤- نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص:

زيارته مشروعة، لكن النهي هنا عن جعلها عادة موسمية أو عيداً أو تخصيص أوقات معينة يعتقد الناس فيها فضلاً خاصاً لم يشرعه الله.

٥- نهيه عن الإكثار من الزيارة:

أي: النهي عن جعل الزيارة عادة يومية أو متكررة على وجه العيد، لا عن أصل الزيارة الشرعية.

٦- حثه على النافلة في البيت:

«لَا تَجْعَلُوا يُبُوتَكُمْ قُبُورًا» إشارة إلى أن البيوت ينبغي أن تُحيى بالصلاة

والذكر، حتى لا تشبه القبور الخالية من العبادة.

٧- أنه متقرر عندهم أنه لا يصلّى في المقبرة

لذلك قال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا»، أي لا تخلوها من الصلاة، فالقبر لا تجوز الصلاة فيه.

٨- تعليل ذلك بأن الصلاة والسلام يبلغانه

هذا يغني المسلم عن الوسائل البدعية؛ لأن صلاته وسلامه على النبي ﷺ يبلغانه في أي مكان.

٩- كونه ﷺ في البرزخ تعرض عليه أعمال أمته في الصلاة والسلام

دليل على أن النبي ﷺ في حياة برزخية يُبلغ بأعمال أمته، ومنها الصلاة والسلام عليه.

رابعاً: الخلاصة العملية

١- مشروعية زيارة قبر النبي ﷺ بشرط البعد عن الغلو والبدع.

٢- التحذير من اتخاذ القبور، وخاصة قبر النبي ﷺ، موضعاً للتعبد المبتدع.

٣- وجوب إحياء البيوت بالصلاة والعبادة.

٤- أن الصلاة والسلام على النبي ﷺ مشروعة في كل زمان ومكان، وتبلغه بلا واسطة.

٥- أن من رحمته ﷺ سدّ كل ذريعة إلى الشرك حمايةً لجانب التوحيد.

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ [سورة النساء: ٥١].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِمَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [سورة المائدة: ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [سورة الكهف: ٢١].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذَوُ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَىٰ قَالَ: «فَمَنْ؟»، أَخْرَجَاهُ (١).

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَىٰ لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَىٰ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَزْنَينِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ بَعَامَةٍ، وَلَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أُعْطِيتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

بِسَنَةِ بَعَامَةٍ، وَأَنْ لَا أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بِيَضَّتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بِاقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»^(١).

ورواه البرقاني في "صحيحه"، وزاد: «وإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِتْنَةٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْتَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) هذه الزيادة أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» عند تفسير آية (٦٥) من سورة الأنعام، وأحمد (٢٧٨/٥)، وأبو داود (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، والحاكم (٤٤٩/٤)، وابن حبان (٧٢٣٨)، وصححها الألباني في «التعليقات الحسان» (٣٨٩-٣٩٠)، والوادعي في «رياض الجنة» (ص ١٧).

الرابعة: - وهي أهمها: - ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضوع؟

هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟

الخامسة: قولهم إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلا من المؤمنين.

السادسة: - وهي المقصود بالترجمة - أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة، كما

تقرر في حديث أبي سعيد.

السابعة: التصريح بوقوعها، أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة في جموع كثيرة.

الثامنة: العجب العجائب: خروج من يدعي النبوة، مثل المختار، مع تكلمه

بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق

وفيه أن محمدا خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح.

وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة، وتبعه فئام كثيرة.

التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه

طائفة.

العاشر: الآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيه من الآيات العظيمة، منها: إخباره بأن الله زوى له المشارق

والمغارب، وأخبر بمعنى ذلك فوق كما أخبر، بخلاف الجنوب والشمال.

وإخباره بأنه أعطي الكثرين.

وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين.

وإخباره بأنه منع الثالثة.

وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع.

وإخباره بإهلاك بعضهم بعضًا وسيي بعضهم بعضًا، وخوفه على أمته من الأئمة المضلين.

وإخباره بظهور المتنبيين في هذه الأمة.

وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة.

وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها أبعد ما يكون من العقول.

الثالثة عشرة: حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

شرح باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان

أولاً: نصوص الباب، الآيات:

① ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبَتِ

وَالطَّاغُوتِ﴾ [سورة النساء: ٥١].

② ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ

الْقُرَدَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [سورة المائدة: ٦٠].

③ ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [سورة الكهف: ٢١].

✍️ الأحاديث:

① حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «لَتَرْكَبَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذَوُ

الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، ... قَالُوا: الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى؟! قَالَ: «فَمَنْ»، متفق عليه.

② حديث ثوبان رضي الله عنه: «إِنَّ اللَّهَ زَوَىٰ لِي الْأَرْضَ ... وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي

كَذَابُونَ ثَلَاثُونَ ... وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ فِتْنَةٌ مِّنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ ... وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِّنْ

أُمَّتِي عَلَىٰ الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ ...».

ثانياً: شرح الباب على محاور متعددة:

١- عنوان الباب:

النبي ﷺ أخبر أن الشرك وعبادة الأوثان ستقع في بعض فرق هذه الأمة، كما

وقعت في الأمم السابقة، وهذا من أعظم مظاهر انحراف الناس عن التوحيد.

٢- دلالة الآيات:

- آية النساء: توضح أن من أهل الكتاب من وقع في عبادة الطاغوت وموالاة الكفار، حتى فضّلوا الكافرين على المؤمنين.
- آية المائدة: ذكر عقوبة المغضوب عليهم والضالين، وأن من أعظم أسباب لعنهم أنهم عبدوا الطاغوت.
- آية الكهف: بيان خطورة الغلو في الصالحين، حيث عزم القوم على بناء مسجد عند قبور أصحاب الكهف.

٣- دلالة الأحاديث:

- حديث أبي سعيد: وقوع التشابه التام بين هذه الأمة والأمم السابقة في العقائد والانحرافات.
- حديث ثوبان: بيان الفتن التي ستقع في الأمة:
 - توسعها وامتداد سلطانها.
 - ظهور أئمة مضلين.
 - وقوع عبادة الأوثان في طوائف منها.
 - ظهور المتنبئين الكذبة.
 - بقاء طائفة منصورة على الحق حتى قيام الساعة.

٤- الحماية من الفتنة:

- مع شدة البلاء وظهور الشرك، إلا أن الله ضمن بقاء طائفة متمسكة بالحق، لا يضرها من خذلها.

ثالثاً: شرح المسائل:

♦ تفسير آية النساء:

بيان حال اليهود حينما والوا المشركين، وفضلوهم على المؤمنين، وهذا من أعظم صور الانحراف.

♦ تفسير آية المائدة:

إخبار عن عذاب من وقع في الكفر واللعن والتحريف، ومن صور ذلك عبادة الطاغوت.

♦ تفسير آية الكهف:

فيها التنبيه على خطر الغلو في الصالحين، وأنه أصل وقوع الشرك.

♦ معنى الإيمان بالجبت والطاغوت:

ليس شرطه اعتقاد القلب فقط، بل قد يكون بموافقة أصحاب الباطل باللسان والعمل، مع معرفة بطلانه في الباطن.

♦ قولهم إن الكفار أهدى من المؤمنين:

هذا من أبطل الباطل، لكنه واقع، إذ شهد الله على طائفة من أهل الكتاب بذلك.

♦ وقوع عبادة الأوثان في الأمة:

وهذا نص الحديث: «حَتَّى تَعْبُدَ فِتْنَةً مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانِ».

♦ التصريح بوقوعها في جموع كبيرة:

ليست حالات فردية، بل جموع عظيمة.

♦ العجب في خروج المتنبيين الكذبة:

كالمختار الثقفي وغيره، الذين أظهروا الإسلام ونطقوا بالشهادتين لكن ادعوا النبوة، وتبعهم خلق كثير.

♦ البشارة ببقاء الطائفة المنصورة:

مع كثرة الفتن، إلا أن الله يحفظ طائفة ثابتة على الحق.

♦ أنهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم:

حتى لو قتلوا، فإن الله يحفظهم.

♦ استمرار هذا الأمر إلى قيام الساعة:

فالطائفة المنصورة باقية لا تنقطع.

♦ الآيات العظيمة في حديث ثوبان:

- زوي له الأرض ورأى مشارقها ومغاربها.

- إخباره بامتداد ملك أمته.

- إخباره بإجابة دعائه في اثنتين ومنعه الثالثة.

- إخباره بظهور السيف وعدم رفعه.

- إخباره بظهور الكذابين.

- إخباره ببقاء الطائفة المنصورة.

♦ حصر الخوف على الأمة في الأئمة المضلين:

لأن فسادهم أوسع أثراً وأعظم خطراً من مجرد عدو خارجي.

♦ التنبيه على معنى عبادة الأوثان:

أي: الغلو في القبور، أو الطاعة في معصية الله، أو اتخاذ الطاغوت حكماً،

فهي صور متعددة للوقوع في الشرك.

رابعاً: الخلاصة العملية:

١- وقوع الشرك في هذه الأمة أمر محقق بنص الأحاديث.

- ٢- الخطر الأعظم ليس من الأعداء الظاهرين، بل من الأئمة المضلين.
- ٣- وجوب الحذر من الغلو في الصالحين، لأنه أصل الشرك.
- ٤- على المسلم أن يلزم الطائفة المنصورة بالتمسك بالكتاب والسنة.
- ٥- وجوب معرفة أن الإيمان بالجبت والطاغوت يشمل كل صور الموالاة والاتباع الباطل.

باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢].

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: ٥١].

وَقَالَ عُمَرُ: الْجِبْتُ: السَّحَرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ^(١).

وَقَالَ جَابِرٌ: الطَّوَاعِيتُ: كُفَّانُ، كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٍ^(٢).
وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا

(١) أخرجه البخاري بصيغة الجمع في «كتاب التفسير» باب (١٠) من سورة النساء، ووصله ابن جرير في «تفسيره» (٥٥٦/٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٤٧/٣)، وابن المنذر (٢/٧٤٥، ٧٤٧)، وصححه الألباني في «مختصر صحيح البخاري» (٣/١٥٦)، وضعفه الوادعي في «تحقيقه لتفسير ابن كثير» (٢/٤٠١).

(٢) أخرجه البخاري بصيغة الجمع في «كتاب التفسير» باب (١٠) من سورة النساء، ووصله ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/٩٧٦)، وحسنه الوادعي في «تحقيقه لتفسير ابن كثير» (٢/٤٠٢).

بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ^(١).

وَعَنْ جُنْدُبٍ مَرْفُوعًا: «حَدَّثَ السَّاحِرُ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ»، رواه الترمذي، وقال: الصحيح أنه موقوف^(٢).

وفي "صحيح البخاري" عن بَجَالَةَ بِنِ عَبْدِةَ قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَنْ أَقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ، قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَةَ سَوَاحِرَ^(٣).

وصح عن حفصة رضي الله عنها: أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا، فَقَتَلَتْ^(٤). وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدُبٍ^(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٢) أخرجه الترمذي (١٤٦٠)، والطبراني في «الكبير» (٢/ رقم ١٦٦٥)، وغيرهما، وهو ضعيف مرفوعًا، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٤٤٦)، والوادعي في «تبعه لأوهام الحاكم في المستدرک» (٤/ ٥١٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٥٦)، ولكنه لم يذكر قتل السحرة، وأخرجه بهذا التمام عبد الرزاق (١٨٠/١)، وابن أبي شيبة (٢٤٤/١٢)، وأحمد (١/ ١٩٠)، وأبو داود (٣٠٤٣)، والشافعي (١٦١٢)، والأثر عند بعضهم مطولًا، وعند بعضهم مختصرًا، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢/ ٢٦٠)، والوادعي في تحقيق «الإلزامات والتتبع» (ص ٤٣١-٤٣٢).

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٧١)، وابن أبي شيبة (٩/ ٤١٦)، وغيرهما، وصححه الحافظ ابن كثير في «تفسير آية (١٠٢) من سورة البقرة».

قال أحمد: عَنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت، والفرق بينهما.

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن، وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

السادسة: أن الساحر يكفر.

السابعة: أنه يقتل ولا يستتاب.

الثامنة: وجود هذا في المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟

(١) أخرجه الحاكم في «مستدرکه» (٤/٣٦١)، والقصة مشهورة ولها طرق فتكون ثابتة

بمجموع طرقها.

شرح باب ما جاء في السحر

أولاً: نصوص الباب:

من القرآن:

① ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [سورة البقرة: ١٠٢]،
أي: لا نصيب له في الآخرة.

② ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [سورة النساء: ٥١].

من أقوال الصحابة:

عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الجبْتُ: السَّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ.
جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الطَّوَاعِيتُ: كُهَّانٌ، كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٍ.
من السنة:

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، وذكر منها:
«السَّحْرُ».

حديث جندب: «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ».

من آثار السلف:

في صحيح البخاري: عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَتَبَ: «اقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ»، قَالَ
بِجَالَةٍ: «فَقَتَلْنَا ثَلَاثَةَ سَوَاحِرَ».

ثبت عن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها قتلت جارية سحرتها.

وعن جندب أيضاً أنه أمر بقتل الساحر.

ثانياً: شرح الباب على محاور متعددة:

١- معنى السحر:

السحر: عقد وُرقى وأعمال يتقرب بها الساحر إلى الشياطين حتى يعينه على الإضرار بالناس، قلباً للحقائق أو إيذاءً للنفوس.

هو من أعظم الكبائر لأنه يتضمن الاستعانة بالشياطين، والكفر بالله.

٢- ارتباط السحر بالشرك:

ذكره الله مع الجبت والطاغوت، مما يدل على أنه من أعمال الكفر والشرك. الساحر لا يستطيع فعله إلا بمعونة الشياطين، فيدخل في باب عبادة غير الله.

٣- خطورته على الأمة

السحر ليس مجرد معصية، بل هو من الموبقات المهلكات السبع. فيه إفساد في الأرض، وتفريق بين المرء وزوجه، وإضرار بالأنفس والأموال.

٤- موقف الشريعة منه:

نصوص القرآن والحديث والسلف صريحة في كفر الساحر، وقلته ردة. لا يُستتاب لأنه غالباً لا يتوب بصدق، ولأن ضرره عظيم.

٥- شدة تحذير الصحابة منه:

عمر رضي الله عنه أمر بقتل السحرة.

حفصة رضي الله عنها فعلت ذلك بجارية لها.

جندب رضي الله عنه عنه كذلك.

هذا إجماع عملي من الصحابة على أن الساحر كافر يُقتل.

ثالثاً: شرح المسائل:

١- تفسير آية البقرة:

السحر كفر بالله، ومن فعله ورضي به فقد باع دينه بعرض قليل من الدنيا، فلا نصيب له في الآخرة.

٢- تفسير آية النساء:

بيان أن السحر من الجبت، والطاغوت هو الشيطان، فكلاهما من أبواب الكفر.

٣- تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما:

- الجبت: كل باطل عظيم (وأصله السحر).
- الطاغوت: كل ما تجاوز حده فعبد من دون الله، سواء كان شيطاناً أو كاهناً أو بشراً.

٤- الطاغوت قد يكون من الجن أو الإنس:

فمن دعا إلى عبادة غير الله أو ساعد عليها فهو طاغوت، سواء كان جنيّاً أو إنسياً.

٥- السبع الموبقات:

النبي ﷺ عدّ السحر بعد الشرك بالله مباشرة، دلالة على خطورته.

٦- أن الساحر يكفر:

لأنه لا يتأتى له فعله إلا بالاستعانة بالشياطين وارتكاب الكفر.

٧- أنه يقتل ولا يستتاب:

إجماع الصحابة على قتل الساحر ردة، بلا استتابة، حماية للدين والناس.

٨- وجود هذا في عهد عمر:

مع فضل ذلك الزمن، ووجود الخلافة الراشدة، وتمام العلم؛ فكيف بزماننا الذي انتشر فيه الجهل والشرك؟!

رابعاً: الخلاصة العملية

- ١- السحر كفر أكبر مخرج من الملة.
- ٢- حكم الساحر القتل حداً وردعاً، ولو تاب بينه وبين الله.
- ٣- حقيقة السحر أنه استعانة بالشياطين وتقرب إليهم بالذبح والدعاء والنجاسة.
- ٤- حماية التوحيد تقتضي الحذر من الكهنة والعرافين والذهاب إليهم.
- ٥- وجود السحر في الأمة ليس دليلاً على صحته، بل على تحقيق ما أخبر به النبي ﷺ من وقوع الفتن.

باب بيان شيء من أنواع السحر

قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا قَطْنُ بْنُ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطَّيْرَةَ مِنَ الْجِبْتِ»^(١).

قَالَ عَوْفٌ: «الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ: الْخَطُّ يُخَطُّ فِي الْأَرْضِ». وَالْجِبْتُ: قَالَ الْحَسَنُ: «رَنَةُ الشَّيْطَانِ»، إسناده جيد^(٢)، ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه، المسند منه.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ»، رواه أبو داود، وإسناده صحيح^(٣). وَلِلنَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكِلَإِلَيْهِ»^(٤).

(١) أخرجه أبو بكر الخلال في «السنة» (١/ ١٣٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٧)، وأبو داود (٣٩٠٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٠٨)، وابن حبان (٦١٣١)، وضعفه الألباني في «غاية المرام» (ص ١٨٤)، والوادعي في «تحقيقه لتفسير ابن كثير» (٢/ ٤٠٢).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٧)، وأبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٩٣)، والوادعي في «الصحيح المسند» (١/ ٥٣٦).

(٤) أخرجه النسائي في «المجتبى» (٧/ ١١٢)، وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٥٥١)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٤/ ١٦٩)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٥٧٠٢)، والوادعي في «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٦٨).

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ مَا الْعِصَةُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ: الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»، رواه مسلم (١).

وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا» (٢).

فيه مسائل:

الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق.

الثالثة: أن علم النجوم نوع من السحر.

الرابعة: أن العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أن النميمة من ذلك.

السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٠٦).

(٢) عزو المصنف رحمه الله الحديث «للسحاحين» وهم، والحديث أخرجه البخاري

(٥١٤٦)، عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأخرجه مسلم (٨٦٩)، عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شرح باب بيان شيء من أنواع السحر

أولاً: نصوص الباب

❏ الأحاديث:

- ① حديث قبيصة عن النبي ﷺ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ، وَالطَّرْقَ، وَالطَّيْرَةَ مِنَ الْحَبْتِ». العِيَافَةُ: زجر الطير للتشاؤم أو التفاؤل. الطَّرْقُ: الخط في الأرض للدعاء بكشف الغيب. الْحَبْتُ: قَالَ الْحَسَنُ: «رَنَّةُ الشَّيْطَانِ».
- ② حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «مَنْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ، فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ».
- ③ حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وَكَلَّ إِلَيْهِ».
- ③ حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا أُنبِّئُكُمْ مَا الْعُضَةُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ: الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ».

⑤ حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسَحْرًا».

ثانياً: شرح الباب على محاور

١- معنى السحر وأنواعه:

السحر ليس محصوراً في صورة واحدة (العقد والتعامل مع الشياطين) بل له

أنواع أخرى تدخل فيه:

- منها: ما هو كفر أكبر (كالتنجيم والعقد والنفث).
- ومنها: ما هو معاصي كبائر (كالنميمة).
- ومنها: ما هو على سبيل التشبيه لشدة تأثيره (كالفصاحة المؤثرة).

٢- العلاقة بين السحر والجبت:

النبي ﷺ جمع بين العيافة والطرق والطيرة تحت اسم الجبت، وهو لفظ يشمل كل باطل وشر عظيم، مما يدل على أن هذه الأمور من أعمال السحر والشرك.

٣- أثر هذه الممارسات في حياة الناس:

- زجر الطير والتشاؤم بها يفسد العقيدة ويوقع في الشرك.
- التنجيم يفسد التوحيد لأنه ادعاء لعلم الغيب.
- العقد والنفث أذية مباشرة للآخرين بسحر حقيقي.
- النميمة تفسد القلوب والعلاقات وتؤدي إلى الهلاك.
- الفصاحة الباطلة قد تقلب الحقائق وتلبس الباطل ثوب الحق.

٤- التربية الإيمانية:

الشريعة بينت هذه الأمور لتحذير الأمة منها، ولتحقيق التوحيد الخالص.

نالتاً: شرح المسائل

♦ أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت

كلها تدخل في باب السحر والشرك؛ لأنها مبنية على أوهام وخرافات تربط الأسباب بغير مسبباتها.

♦ تفسير العيافة والطرق

العيافة: زجر الطير والاستدلال بحركاتها على الخير والشر.

الطرق: الخطوط التي يخطها الكهنة على الأرض ويدعون معرفة الغيب بها.

♦ أن علم النجوم من نوع السحر

علم التنجيم المحرّم (ربط النجوم بحوادث الأرض) نوع من السحر والكفر، لأنه ادعاء لعلم الغيب.

♦ العقد مع النفث من ذلك

من عقد ونفث فيها للتأثير على شخص فقد سُحر، وهذا من الشرك.

♦ أن النميمة من ذلك

النبي ﷺ شبه النميمة بالسحر، لما فيها من التفريق بين الناس وإفساد العلاقات.

♦ أن من ذلك بعض الفصاحة

بعض البيان والفصاحة تشبه السحر في قوة تأثيرها، وقد تُستخدم في الباطل، فتُضل الناس كما يضلهم السحر.

رابعاً: الخلاصة:

- ١- السحر أبواب متعددة: منها ما هو كفر أكبر، ومنها ما هو معاصٍ مهلكة.
- ٢- العيافة والطرق والطيّرة كلها شريكيات قديمة تتجدد بأشكال عصرية مثل: (قراءة الأبراج والفنجان والكف).
- ٣- التنجيم باب خطير من أبواب السحر لأنه ادعاء لعلم الغيب.
- ٤- العقد والنفث من السحر العملي المؤثر.

٥- النميمة والفصاحة الكاذبة شبهها النبي ﷺ بالسحر لشدة إفسادها للقلوب والعقول.

٦- الغرض من الباب: التحذير من كل مظاهر السحر وأسبابه، صغيرها وكبيرها، حتى يكون التوحيد خالصاً لله.

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ^(٢).

وَلِلْأَرْبَعَةِ، وَالْحَاكِمِ وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا، أَوْ كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»^(٣)، وَلِأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا^(٤).

وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطَيَّرَ لَهُ، أَوْ تَكْهَنَ أَوْ تُكْهَنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا

(١) أخرجه مسلم (٢٢٣٠).

(٢) أخرجه أحمد (٤٠٨/٢)، وأبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، والنسائي في «الكبرى» (٩٠١٧)، وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٦٨-٦٩/٧) رقم (٢٠٦).

(٣) رواه أحمد (٤٩٩/٢)، وقال الذهبي: إسناده قوي، تنبيه: الحديث لم يخرج الأربعة والمصنف تبع الحافظ فإنه عزاه في الفتح (٢٦٧/١٠) إلى أصحاب السنن والحاكم، فوهم ولعله أراد الذي قبله، قاله صاحب «تيسير العزيز الحميد».

(٤) أخرجه أبو يعلى (٥٤٠٨/٩)، والبخاري (١٨٧٣/٥)، والطبراني (١٠٠٥/١٠)، وصححه الألباني

في «الترغيب والترهيب» (١٧٢/٣).

أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، رواه البراز بإسناد جيد^(١).

ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله: «ومن أتى..» الخ^(٢).

قال البغوي: «العراف: الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك»^(٣).

وقيل: هو الكاهن.

والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل.

وقيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: «العرّاف: اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق»^(٤).

وقال ابن عباس في قوم يكتبون (أبا جاد) وينظرون في النجوم: «ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق»^(٥).

(١) أخرجه البزار في «كشف الأستار» (٣٠٤٤)، وصححه بشواهد الألباني في «صحيح الترهيب» (١٧٠/٣).

(٢) أخرجه البزار في «كشف الأستار» (٣٠٤٣)، والطبراني في «الوسط» (١٧٧/٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترهيب» (١٧٠/٣) بشواهد.

(٣) «شرح السنة» (١٨٢/١٢)، وقد تصرف المؤلف رحمه في نقله.

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٧٣/٣٥)، تصرف فيه المؤلف تصرفاً يسيراً.

فيه مسائل:

الأولى: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تكهن له.

الرابعة: ذكر من تطير له.

الخامسة: ذكر من سحر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢٦/١١)، وابن أبي شيبة (٨/٤١٤)، والبيهقي في

«الكبرى» (٨/١٣٩)، وحكم عليه بالوضع الألباني في «الضعيفة» (١/٤١٧).

شرح باب ما جاء في الكهان ونحوهم

أولاً: نصوص الباب

١- الأحاديث:

حديث بعض أزواج النبي ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً».

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ».

حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطَيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكْهَنَ أَوْ تُكْهَنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ».

٢- أقوال العلماء:

- **البغوي:** العرّاف: من يدّعي معرفة الأمور بالاستدلال على المسروق ومكان الضالة.

الكاهن: من يخبر عن المغيبات في المستقبل أو عمّا في الضمير.

- **ابن تيمية:** العرّاف: اسم جامع للكهان والمنجم والرمال ونحوهم.

- **ابن عباس:** في الذين يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم: «ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق».

ثانياً: الشرح على محاور

١- معنى الكهانة والعرافة:

الكاهن: من يدّعي علم الغيب في المستقبل.

العرّاف: من يدّعي معرفة الأمور المفقودة أو السرية بالظنون والتخمين.

المنجم والرمال: يدخلون في باب الكهانة، لأنهم يزعمون كشف الغيب بالنجوم أو الخطوط.

٢- خطورة الكهانة:

الكهانة ادعاء لعلم الغيب، وعلم الغيب من خصائص الله تعالى.

تصديق الكاهن يساوي تكذيب القرآن الذي نصّ على أن الغيب لله وحده.

٣- أقسام الإتيان إلى الكهان:

من أتى كاهناً فسأله فقط ولم يصدقه: → لا تقبل له صلاة ٤٠ يوماً عقوبة له.

من أتى كاهناً وصدقه: → وقع في الكفر الأكبر لأنه كذب القرآن.

٤- الحماية من هذا الباب:

النبي ﷺ سدّ كل الطرق المؤدية إلى الشرك والكهانة:

- حرّم التطير والتشاؤم.

- حرّم السحر بجميع صورته.

- بيّن أن حتى الاستعانة بالعراف لا تجتمع مع الإيمان بالقرآن.

٥- واقع الكهانة اليوم:

تظهر في صور جديدة مثل:

- قراءة الفنجان والكف.

- الأبراج الفلكية.

- الشعوذة والدجل.

- الطاقة المزعومة و(فتح البخت).

كلها تندرج تحت العرافة والكهانة.

ثالثاً: شرح المسائل

❖ لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن

لأن القرآن نصّ أن الغيب لله وحده، فمن صدّق الكاهن فقد كذّب القرآن.

❖ التصريح بأنه كفر

النصوص واضحة: «فقد كفر بما أنزل على محمد».

❖ كفر من تكهّن له

أي: من طلب من غيره الكهانة أو رضي بها فقد أشرك وكفر.

❖ كفر من تطير له

التطير وطلبه نوع من الشرك، لأنه جعل للتطير تصرفاً في القدر.

❖ كفر من سحر له

السحر كفر أكبر، سواء باشره أو طلبه.

❖ كفر من تعلم (أبا جاد)

ويقصد به التنجيم والحسابات الحرفية التي يدّعي أصحابها معرفة الغيب.

❖ الفرق بين الكاهن والعرّاف

الكاهن: يدّعي معرفة الغيب في المستقبل.

العرّاف: يدّعي معرفة الأمور المخفية والمفقودة.

لكن كلاهما مشمول بالحكم: كفر وضلال.

- الكهانة والعرافة من أعظم أبواب الشرك لأنها مبنية على ادعاء علم الغيب.

تصديق الكاهن = تكذيب للقرآن = كفر أكبر.

- مجرد الذهاب إليهم حتى بدون تصديق عقوبة كبيرة (عدم قبول الصلاة «٤٠» يوماً).

- الإسلام أغلق كل أبواب السحر والكهانة والعرافة حمايةً لجَنَابِ التوحيد.

- لا فرق بين القديم والحديث، فكل صور الشعوذة والتنجيم في هذا العصر هي نفس الكهانة القديمة.

باب ما جاء في النشرة

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النَّشْرَةِ فَقَالَ: «هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ»، رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَأَبُو دَاوُدَ (١).

وَقَالَ: سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا فَقَالَ: ابْنُ مَسْعُودٍ يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ (٢).

وَفِي «الْبُخَارِيِّ» عَنْ قَتَادَةَ: قُلْتُ لَابْنِ الْمُسَيَّبِ: «رَجُلٌ بِهِ طِبُّ، أَوْ: يُؤَخِّدُ عَنْ امْرَأَتِهِ، أَيَحِلُّ عَنْهُ أَوْ يُنَشَّرُ؟ قَالَ: «لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ بِهِ الْإِضْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَلَمْ يُنْهَ عَنْهُ» أَهـ (٣).

وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَحِلُّ السَّحَرُ إِلَّا سَاحِرٌ».

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: النَّشْرَةُ: حُلُّ السَّحَرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوْعَانِ:

أَحَدَاهُمَا: حُلُّ سِحْرِ بِسِحْرِ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ النَّاشِرُ وَالْمُنَشَّرُ بِمَا يُحِبُّ، وَيُطِيلُ عَمَلَهُ عَنِ الْمَسْحُورِ. **وَالثَّانِي:** النَّشْرَةُ بِالرَّقِيَّةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالِدَّعَوَاتِ الْمُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ.

(١) أخرجه أحمد (٢٩٤/٣)، وأبو داود (٣٨٦٨)، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود»

(٢/٤٦٤).

(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٧٧/٣).

(٣) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم في «كتاب الطب» باب (٤٩)، ووصله ابن عبد البر

في «التمهيد» (٢٣٤/٦).

فيه مسألتان:

الأولى: النهي عن النشرة.

الثانية: الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الأشكال.

شرح باب ما جاء في النشرة

أولاً: نصوص الباب

① حديث جابر رضي الله عنه: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النشرة؟ فقال: «هي من عمل الشيطان».

② رواية عن ابن مسعود: «يكره هذا كله» (يقصد النشرة).

③ حديث قتادة عن ابن المسيب: «رجل به طب، أو: يؤخذ عن امرأته، أيحل عنه أو ينشر؟ قال: «لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع الناس فلم ينفعه».

④ قول الحسن: «لا يحل السحر إلا سحر».

⑤ رأي ابن القيم: النشرة: حل السحر عن المسحور، نوعان:

١- النشرة بسحر مثله: عمل الشيطان، والناشر والمنتشر يتقربان إلى الشيطان.

٢- النشرة بالرقية والأدوية الشرعية والدعوات المباحة: جائز، لإبطال السحر بطريقة مباحة.

ثانياً: الشرح على محاور

① تعريف النشرة:

النشرة: إزالة تأثير السحر عن المسحور.

* أما أنواعها:

- ١- المنهي عنه: نشر سحر مثله أو بأعمال من الشيطان.
- ٢- المرخص فيه: الرقية الشرعية، التعويذات المشروعة، الأدوية، الدعاء.

② خطورة النشرة المنهي عنها:

إذا استخدمها المسلم لإبطال السحر بسحر آخر، فهو يقترب من عمل الشيطان.

تُبطل عمل السحر لكنها تكون سبباً للمعصية، لأنها من وسائل السحر المحرمة.

③ الرخصة في إزالة السحر:

بإمكان المسلم أن يستخدم الرقية الشرعية والدعاء المشروع والأدوية المباحة لإبطال السحر.

هذا لا يدخل في مجال السحر ولا يقترب من الشيطان.

④ أقوال العلماء:

- ابن القيم: يفرق بين النشرة المنهي عنها والمنهي فيها جائز.
- ابن مسعود والحسن: يكره النشرة بالسحر، ولا يحل السحر إلا الساحر نفسه.

ثالثاً: شرح المسائل

◆ النهي عن النشرة المنهي عنها

أي: نشر السحر لإبطال السحر بسحر، يُعد عمل الشيطان، لا يجوز للمسلم.

◆ الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه

المنهي عنه: كل طريقة لإبطال السحر بنفس الوسيلة (سحر بسحر).

المرخص فيه: الرقية الشرعية، الدعاء، العلاج المباح.

الغرض: إزالة الشك والالتباس بين ما هو شرك وما هو مشروع.

◆ بيان مقصد الشرع

الشرع يريد حفظ التوحيد، وحماية المؤمن من الاقتراب من أعمال الشيطان.

إبطال السحر يكون بالطرق الشرعية المباحة دون الاعتماد على الشيطان أو السحر نفسه.

◆ الحكمة من بيان النوعين

لتعليم الناس: الفرق بين من أراد الإصلاح بما يرضي الله وبين من استعمل طرقاً محرمة قد تقربه للشيطان.

رابعاً: خلاصة الباب

١- النشرة: إزالة السحر عن المسحور.

٢- المنهي عنها: نشر بسحر مماثل → حرام → عمل الشيطان.

٣- المرخص فيها: الرقية الشرعية، الأدعية، الأدوية المباحة → جائز.

٤- غاية الشرع: حفظ التوحيد ومنع الاقتراب من الشرك والخرافات.

٥- القاعدة العملية: كل ما يتعلق بالسحر، لا يجوز إلا ما أذن الله به من

الرقية الشرعية.

باب ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٣١].

وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [سورة يس: ١٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ»، أَخْرَجَاهُ ^(١).

زَادَ مُسْلِمٌ: «وَلَا نَوْءَ، وَلَا غُولَ» ^(٢).

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأَلُ»، قَالُوا: وَمَا الْفَأَلُ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ» ^(٣).

وَلِأَبِي دَاوُدَ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَتِ الطَّيْرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأَلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَذْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» ^(٤).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٧٥٧)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٢٠).

(٢) أَخْرَجَهَا مُسْلِمٌ (٢٢٢٠).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٧٥٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٢٢٤).

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٩١٩)، وَضَعَفَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «الضَّعِيفَةِ» (١٦١٩).

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ»، رواه أبو داود، والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود ^(١).

وَلَا أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ» قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» ^(٢).

وَلَهُ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّمَا الطَّيْرَةُ مَا أَمْضَاكَ، أَوْ رَدَّكَ» ^(٣).

فيه مسائل:

الأولى: التنبيه على قوله: ﴿إِنَّمَا طَيْرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ مع قوله: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾.

الثانية: نفي العدو.

الثالثة: نفي الطيرة.

الرابعة: نفي الهامة.

الخامسة: نفي الصفر.

(١) أخرجه أحمد (٣٨٩/١)، وأبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، والحاكم (١٧/١)، وصححه الألباني في «الضعيفة» (٤٢٩)، والوادعي في «الصحيح المسند» (٦٥٩/١).

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٠/٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٦٥).

(٣) أخرجه أحمد (٢١٣/١) مطولاً.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الواقع في القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهب الله بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقوله من وجده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

شرح باب ما جاء في التطير

أولاً: نصوص الباب

① قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَيَّرْتَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣١)

[سورة الأعراف: ١٣١].

﴿قَالُوا طَيَّرْتُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (١٩) [سورة يس: ١٩].

② حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ».

مسلم زاد: «وَلَا نَوَاءً، وَلَا غُولَ».

③ حديث أنس رضي الله عنه: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ».

الْفَأْلُ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ».

④ حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى

أَحَدَكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

⑤ حديث ابن مسعود مرفوعاً: «الطَّيْرَةُ شِرْكُ، الطَّيْرَةُ شِرْكُ، ثَلَاثًا، وَمَا مِنَّا

إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ».

⑥ حديث ابن عمرو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ» قَالُوا: فَمَا

كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا

إِلَهَ غَيْرُكَ».

٧ حديث الفضل بن عباس: «إِنَّمَا الطَّيْرَةُ مَا أَمَضَاكَ، أَوْ رَدَّكَ».

ثانياً: الشرح على محاور

١- معنى التطير والطيرة:

الطيرة: اعتقاد الحوادث والأقذار مرتبطة بأشياء محايدة أو مظاهر معينة، ظناً أن لها تأثير مستقل على الحياة.

التطير شرك لأنه يجعل القلب يتعلق بالمخلوقات بدل الله.

٢- نفي المعتقدات المضلّة:

- لا عدوى: المرض لا ينتقل إلا بإذن الله، وليس بوجود المريض نفسه.
- لا طيرة: الحوادث لا تؤثر بالظواهر أو الطيور أو الأحداث المصادفة.
- لا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول: كلها خرافات لا أثر لها، وليس لها قدرة على تغيير الأمور.

٣- الفأل والكلمة الطيبة:

الفاأل: الدعاء بالكلمة الطيبة أو التفاؤل بما هو حسن.
مستحب: لأن القلب يتوكل على الله ويستبشر بالخير.

٤- آثار الطيرة على الإنسان:

الطيرة تجعل القلب معلقاً بالمخلوقات، فتمنع التوكل على الله.
إذا وجد الإنسان ما يكرهه وعلق قلبه به → يجب أن يقول: «اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»، هذا يذهب أثر الطيرة ويثبت التوكل.

♦ التنبيه على قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾:

أي: كل أمورهم تحت علم الله وتقديره، لا تتحرك مستقلة عن إرادة الله.

♦ نفي العدوى:

المرض لا ينتقل بذاته، بل بقدرة الله.

♦ نفي الطيرة:

الحوادث لا تتأثر بأحداث أو أصوات أو علامات خارقة.

♦ نفي الهامة والصفرة والنوء والغول:

كلها خرافات لم يثبت لها أثر شرعي.

♦ أن الفأل مستحب:

التفاؤل وذكر الله عند الحوادث المقلقة يرفع الخوف ويقوي التوكل.

♦ تفسير الفأل:

الكلمة الطيبة، أي ما يعزز الثقة بالله ويبعث السرور.

♦ الواقع في القلوب من الطيرة:

الإنسان قد يشعر بالخوف أو سوء الحظ، لكن هذا لا يضر إذا توكل على

الله.

♦ التصريح بأن الطيرة شرك:

الطيرة تجعل الإنسان يعتقد بوجود قوة مستقلة عن الله تتحكم في الأمور →

شرك.

♦ تفسير الطيرة المذمومة:

ما يؤدي إلى ربط القلب بالمخلوق أو الظواهر بدل الاعتماد على الله.

ما يقوله المسلم عند رؤية ما يكره:

الدعاء بالتوكل على الله: «اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

رابعاً: خلاصة الباب

- ١- **الطيرة:** اعتقاد الحوادث مرتبطة بعلامات أو ظواهر، مذمومة شرعاً.
- ٢- الطيرة شرك لأنها تعلق القلب بالمخلوق بدل الله.
- ٣- **الفأل والكلمة الطيبة:** مستحب، لأنه يوجه القلب نحو الله والتوكل عليه.
- ٤- **الوسائل العملية للتخلص من الطيرة:** الدعاء والذكر والاستعاذة بالله عند وقوع ما يكره الإنسان.
- ٥- **الحكمة:** تثبيت التوحيد في القلب، ونفي أي اعتماد على المظاهر والخرافات.

باب ما جاء في التنجيم

قَالَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»: قَالَ قَتَادَةُ: «خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَصَاعَ نَصِييَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ» أَهـ^(١).

وَكَرِهَ قَتَادَةُ تَعْلَمَ مَنَازِلَ الْقَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِيهِ، ذَكَرَهُ حَرْبٌ عَنْهُمَا، وَرَخَّصَ فِي تَعْلَمِ الْمَنَازِلِ أَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ^(٢).

وَعَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ، وَمُصَدِّقُ السَّحْرِ»، رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ حِبَانَ فِي صَحِيحِهِ^(٣).

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

(١) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم في كتاب «بدء الخلق» باب (٣)، ووصله الطبري في «تفسيره» (١٧/١٨٥).

(٢) نقله ابن رجب عنهم في «فضل علم السلف» (٣١-٣٢).

(٣) أخرجه أحمد (٤/٣٩٩)، وابن حبان (٥٣٤٦)، والحاكم (٤/١٤٦)، وضعفه الألباني في

«الضعيفة» (٣/١٤٦٤)، والوادعي في «تتبعه لأوهام الحاكم» (٤/٢٥٦).

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل.

شرح باب ما جاء في التنجيم

أولاً: نصوص الباب

① حديث قتادة عن النجوم: «خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيئَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ».

② ذكر الخلاف بين العلماء في تعلم منازل القمر: كَرِهَ قَتَادَةُ تَعَلَّمَ مَنَازِلَ الْقَمَرِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ فِيهِ ابْنُ عُيَيْنَةَ. رخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

③ حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: مُذْمِنُ الْخَمْرِ، وَمُصَدِّقُ السَّحْرِ، وَقَاطِعُ الرَّحِمِ».

ثانياً: الشرح على محاور

١- الحكمة في خلق النجوم:

- زينة للسماء: جمال خلق الله وإظهار القدرة الإلهية.
- رجوم للشياطين: صدهم عن الاستماع للملائكة أثناء الوحي.
- علامات يهتدى بها: الملاحاة والوقت والفصول، وغيرها من استخدامات المشيئة الإلهية.

٢- الرد على من زعم غير ذلك:

من يتصور أن للنجوم قوة مستقلة على مصير البشر أو التحكم في الحوادث → خطأ كبير.

هذا ينسجم مع النهي عن الطيرة والتنجيم، لأن الاعتقاد بقدرة النجوم على الحوادث نوع من الشرك الصغير أو الغلو في المخلوق.

٣- الخلاف في تعلم منازل القمر:

◀ قتادة: كراهة التعلم، لأنه قد يؤدي إلى الغلو أو التعلق بالمخلوق بدل الله.

◀ ابن عينة: لم يرخص فيه، أي أنه مكروه ولكنه ليس حراماً مطلقاً.
 ◀ أحمد وإسحاق: رخصوا التعلم إذا كان لغرض مشروع كالزراعة أو الملاحة.

⦿ الحكمة: الفرق بين الغرض الشرعي والغرض المتعلق بالتنجيم أو الطيرة.

٤- الوعيد في من صدق بالسحر:

الحديث صريح: «مُصَدِّقُ السَّحْرِ» من المصدقين بالعراف أو التنجيم لا يدخل الجنة.

أي: الاعتقاد بأن شيئاً من السحر أو التنجيم له أثر مستقل على الحياة → كفر أو شبه كفر، ويستوجب التوبة والرجوع إلى الله.

ثالثاً: شرح المسائل

♦ الحكمة في خلق النجوم:

ثلاث مقاصد: الزينة، رد الشياطين، الهداية.

♦ الرد على من زعم غير ذلك:

كل من افترض تأثير النجوم على الحوادث بشكل مستقل أخطأ وأضاع نصيبه.

♦ الخلاف في تعلم المنازل:

يجوز التعلم للأغراض العلمية والعملية (ملاحة، زراعة).

مكروه إذا كان بنية التنجيم والتنبؤ بالغيب.

♦ الوعيد في من صدق بالسحر:

عقوبة الكفر أو الشرك الصغير.

من صدق التنجيم أو الطيرة فقد دخل في دائرة النهي الصريح والتحذير.

رابعاً: خلاصة الباب

- ١- التنجيم باطل إذا كان لغرض معرفة الغيب أو التنبؤ بالمصائر.
- ٢- النجوم خلقت لزينة وصد الشياطين والهداية، ولا سلطان لها على البشر.
- ٣- تعلم منازل القمر جائز لأغراض شرعية، مكروه إذا ارتبط بالغلو أو التنجيم.
- ٤- من صدق بالسحر أو التنجيم فهو معرض للوعيد الشديد، ويجب التوبة والالتزام بالتوحيد.

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (٨٢) [سورة الواقعة: ٨٢].

عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعُ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ» وَقَالَ: «النَّيَاحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»، رواه مسلم (١).

وَلَهُمَا عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكُوكَبِ» (٢).

وَلَهُمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِمَعْنَاهُ وَفِيهِ: «قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نُوءٌ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْقِعِ النُّجُومِ﴾» [سورة الواقعة: ٧٥]

إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (٨٢) [سورة الواقعة: ٨٢] (٣).

(١) أخرجه مسلم (٩٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

(٣) عزو المؤلف الحديث «للصحيحين» وهم منه، والحديث انفرد به مسلم (٧٣).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر في بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة.

الخامسة: قوله: (أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ) بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقوله: (لَقَدْ صَدَقَ نَوْءٌ كَذًّا وَكَذًّا).

التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها، لقوله: (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا

قَالَ رَبُّكُمْ؟).

العاشرة: وعيد النائحة.

شرح باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

أولاً: نصوص الباب

- ① قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ (٨٢) [سورة الواقعة: ٨٢].
- ② حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرَكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالْاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ».
- ③ حديث النائحة: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ».
- ④ حديث زيد بن خالد رضي الله عنه: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكُوكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكُوكَبِ».
- ⑤ حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «قَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نُوءٌ كَذَا وَكَذَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَاتِ: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ الْجُجُومِ﴾ (٧٥) [سورة الواقعة: ٧٥] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَيَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾ (٨٢) [سورة الواقعة: ٨٢].

ثانياً: الشرح على محاور

١- تفسير آية الواقعة:

المراد: أن من ينسب أسباب الرزق إلى الكواكب والأنواء بدلاً من الله فهو يكذب على نفسه وعلى الواقع.

الرزق بيد الله وحده، والاعتقاد بغيره كفر أو شبه كفر.

٢- الأربع من أمر الجاهلية:

- الفخر بالأحساب: التعالي على الناس بسبب النسب.
- الطعن في الأنساب: التشكيك فيها أو التلفيق.
- الاستسقاء بالنجوم: طلب المطر أو الرزق بناءً على مواقع النجوم أو الأنواء.
- النياحة: المبالغة في الحزن والصراخ على الموتى، والاتكال على الطقوس.

٣- الكفر في بعضها:

من استسقى بالنجوم واعتقد أن المطر من الكوكب → كافر، لأنه نسب قدرة الخلق إلى غير الله.

من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته → مؤمن.

بعض هذه الأمور كفر يخرج من الملة، وبعضها شرك خفي أو تقليد جاهلي.

٤- التحذير من النياحة:

النائحة إذا لم تتب → عقوبتها يوم القيامة جسيمة: سربال من قطران ودرع

من جرب.

الحكمة: منع المبالغة والافتتان بالطقوس الجاهلية.

٥- بيان التفتن للإيمان والكفر:

- التفتن للإيمان: الاعتراف بأن المطر والرزق من فضل الله.
- التفتن للكفر: نسبته إلى الكواكب أو النجوم.
- تفتن لمفهوم النوء: أي إدراك أن من صدق كلام الكواكب فقد أخطأ وأضل.

٦- إنكار مزاعم الكواكب والنجوم:

حديث ابن عباس يشير إلى أن من صدق النوء فقد أضاع الحقائق وأدخل نفسه في الشرك.

القرآن يوبخهم بقول: قال تعالى: ﴿أَفِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ۖ وَتَجْعَلُونَ

رَزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ۖ﴾ [سورة الواقعة: ٨١-٨٢].

ثالثاً: شرح المسائل

- ١- تفسير آية الواقعة: التحذير من نسب الرزق إلى النجوم والأنواء.
- ٢- الأربع التي من أمر الجاهلية: الفخر بالأحساب، الطعن في الأنساب، الاستسقاء بالنجوم، النياحة.
- ٣- الكفر في بعض الأمور: الاستسقاء بالنجوم إذا اعتقد أنه سبب المطر.
- ٥- من الكفر ما لا يخرج من الملة: بعض الممارسات الجاهلية قد تكون شبه كفر، لكنها لا تخرج من الإسلام إلا بالاعتقاد الجازم.

٥- حديث زيد بن خالد: «أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» → يوضح التفريق بين الاعتقاد بالله والاعتقاد بالكواكب.

٦- التفتن للإيمان: الاعتراف بأن كل خير بفضل الله.

٧- التفتن للكفر: نسب القدرة إلى النجوم أو الكواكب.

٨- التفتن لقوله: «لَقَدْ صَدَقَ نَوْءٌ كَذًا وَكَذًا»: التنبيه على خطورة تصديق

الطوابع.

٩- إخراج العالم للمتعلم المسألة: التحذير من المضلين، وإيضاح الحق

لمن يسأل.

١٠- وعيد النائحة: الجدية في ترك الممارسات الجاهلية قبل الموت.

رابعاً: خلاصة الباب

١- الاستسقاء بالأنواء محرّم، لأنه نسب قدرة الله إلى غيره.

٢- من قال: مطرنا بفضل الله → مؤمن، ومن قال: مطرنا بالكوكب أو

النجوم → كافر.

٣- هناك أربع أمور جاهلية منتشرة يجب تركها: الفخر بالأحساب، الطعن

في الأنساب، الاستسقاء بالنجوم، والنياحة.

٤- التحذير من النياحة واتباع الطقوس الجاهلية خطيرة، وعقوبتها شديدة

يوم القيامة.

٥- كل رزق خير أو مطر وكل نعمة من الله، فلا يجوز نسبها إلى أي مخلوق

أو نجم.

باب قول الله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [سورة

البقرة: ١٦٥] الآية.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ
اَقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ
وَرُسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٢٤].

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ
وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»، أخرجه ^(١).
وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ
يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ
يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُفْذَفَ فِي النَّارِ» ^(٢)، وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَحْدُ
أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى ..» إِلَى آخِرِهِ ^(٣).

(١) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٤١)، من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تَنَالُ وَلَايَةَ اللَّهِ بِذَلِكَ وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعَمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجِدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا»، رواه **بن جرير** ^(١).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾  [سورة البقرة: ١٦٦]، قَالَ: «الْمَوَدَّة» ^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب محبته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على النفس والأهل والمال.

الرابعة: أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٣)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (٨/ ١٥٨)، والأثر ليس في «تفسير ابن جرير»، ويعني عنه حديث أبي أمامة مرفوعاً: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»، أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٨٠).

(٢) أخرجه ابن جرير (٣/ ٢٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ٢٧٨).

السادسة: أعمال القلب الأربعة التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها.

السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [سورة البقرة: ١٦٦].

التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً.

العاشرة: الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من اتخذ ندًا تساوي محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر.

شرح باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا

يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥] الآية.

أولاً: نصوص الباب:

① قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ

اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥].

② قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ

وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [سورة التوبة: ٢٤].

③ حديث أنس رضي الله عنه: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ».

④ حديث آخر: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ».

⑤ حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ، وَوَالَى فِي اللَّهِ، وَعَادَى فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تَنَالُ وَلَايَةَ اللَّهِ بِذَلِكَ وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعَمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةَ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجِدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا».

ثانياً: الشرح على محاور

١- تفسير آية البقرة:

المعنى: اتخاذ أنداد مع الله بمحبتهم ومحاولة مساواتهم بمحبة الله هو شرك، وهو أشد من مجرد الحب العادي للخلق.

٢- تفسير آية براءة:

المعنى: التفضيل على الله ورسوله في المحبة بالمال أو الأهل أو التجارة أو الجهاد يؤدي إلى حرمان الإنسان من قبول عمله ورضا الله.

٣- وجوب محبة النبي ﷺ على النفس والأهل والهال:

لا يكون الإيمان كاملاً إلا إذا كان محمد صلى الله عليه وسلم أحب إلى الإنسان من ولده وأهله وماله وكل ما في الأرض.

٤- نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام:

نقص حلاوة الإيمان أو عدم اكتمال المحبة لا يخرج المسلم من الإسلام، لكنه ينقصه الرضا الكامل بالله ورسوله.

٥- حلاوة الإيمان:

معنى حلاوة الإيمان: شعور القلب بلذة الطاعة وراحة النفس بمحبة الله ورسوله، وهي علامة الإيمان الحقيقي.

٦- أعمال القلب الأربع التي تنال بها ولاية الله:

١- يحب في الله.

٢- يبغض في الله.

٣- والى في الله.

٤- عاد في الله.

بدون هذه الأعمال لا ينال المؤمن ولاية الله ولا يشعر بحلاوة الإيمان.

٧- فهم الصحابي للواقع:

ابن عباس أشار إلى أن كثيراً من الناس يتآخون أو يتحابون على أمر الدنيا فقط، وهذا لا ينفع عند الله، فالمعيار الحقيقي محبة الله ورسوله.

٨- تفسير ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (٣٦):

المراد بالمودة: علاقات المحبة والولاء لأهل الدنيا تفقد أثرها عند من خالفوا منهج الله، فلا تنفعهم عند الله.

٩- بعض المشركين يحبون الله حباً شديداً:

حب الله وحده لا يكفي إذا ارتبط بمحبة غير الله مساوية له، فإن هذا يكون الشرك الأكبر.

١٠- الوعيد على من كان الثمانية أحب إليه منه دينه:

أي: من فضل الدنيا أو الخلق أو المال على حب الله ورسوله، فمصيره الحرمان من رضا الله وعذابه في الآخرة.

١١- من اتخذ نداءً لمحبة الله:

من جعل شيئاً أو شخصاً يساوي حب الله في قلبه → وقع في الشرك الأكبر، وهو أعظم خطأ في الدين.

تالياً: خلاصة الباب

١- حب الله ورسوله فوق كل شيء: أهل، مال، ولاد، تجارة، جهاد.

٢- حلاوة الإيمان مرتبطة بمحبة الله ورسوله ومنازل القلب الأربعة: الحب والبغض والموالاتة والمعاداة في الله.

٣- من يساوي شيئاً بمحبة الله → شرك أكبر.

٤- المؤاخاة والمحبة على أمر الدنيا لا تنفع عند الله، بل معيار التوحيد هو المحبة لله وحده.

٥- هذا الباب يؤكد أن إكمال الإيمان لا يتحقق إلا بمحبة الله ورسوله فوق كل شيء.

باب قول الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة

آل عمران: ١٧٥].

وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [سورة التوبة: ١٨].

وقوله: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ [سورة العنكبوت: ١٠].

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسُخْطِ اللَّهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ، إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَجُرُّهُ إِلَيْكَ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كُرْهُ كَارِهِ»^(١).

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ التَّمَسَّ رِضَى اللَّهِ بِسُخْطِ النَّاسِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بِسُخْطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ»، رواه ابن حبان في صحيحه^(٢).

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٦/٥)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٣)، وحكم عليه بالوضع الألباني في «الضعيفة» (١٤٨٢).

(٢) أخرجه ابن حبان (٢٧٦)، وصححه الألباني مرفوعاً وموقوفاً في «السلسلة الصحيحة» (٢٣١١/٥).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

شرح باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۖ فَلَا تَخَافُوهُمْ ۖ

وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٥]

أرسل: نصوص الباب

١ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ۖ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٥].

٢ قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ [سورة التوبة: ١٨].

٣ قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ

كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ [سورة العنكبوت: ١٠].

٤ حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: «إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ

بِسَخَطِ اللَّهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَأَنْ تَدْمَهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُوْتِكَ اللَّهُ، إِنَّ

رِزْقَ اللَّهِ لَا يَجْرُهُ إِلَيْكَ حَرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كُرْهُ كَارِهِ.»

٥ حديث عائشة رضي الله عنها: «مَنِ التَّمَسَّ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ،

وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ.»

ثانياً: الشرح على محاور

١- تفسير آية آل عمران:

المعنى: الشيطان يخوف أتباعه بالخلق والأمراء والأشخاص، فلا يترك المؤمن يخاف إلا الله وحده.

المؤمن الحق لا يساوم بين رضا الله وخوفه من خلقه.

٢- تفسير آية براءة (آية المساجد):

المعنى: من يعمر مساجد الله مخلصاً لله وحده، ملتزماً بالعبادات وترك الخوف من الناس، فهو من المهتدين.

الخوف المخل بالعبادة أو بإتمام الفرائض يضعف العمل وقيمه.

٣- تفسير آية العنكبوت:

المعنى: من يدعي الإيمان ثم يجعل مضايقة الناس سبب خوفه أو تركه للدين → هذا من ضعف اليقين.

٤- اليقين يضعف ويقوى:

اليقين حالة قلبية: يزداد بالطاعة والاعتماد على الله، ويضعف بالمعصية والخوف من الناس.

٥- علامات ضعف اليقين:

١- الرضا عن الناس بسخط الله.

٢- مدح الناس على رزق الله.

٣- ذم الناس على ما لم يمنحك الله.

هذه الثلاثة علامات ضعف اليقين وتدني خوف الله في القلب.

٦- إخلاص الخوف لله:

الخوف من الله فرض من فروض اليقين.
كل عبادة لا يخاف فيها الإنسان إلا الله فهي صالحة ومقبولة.

٧- ثواب من فعله:

من يثبت قلبه على رضا الله ويبتغي به رضا الناس، الله يرضى عنه ويبارك له عمله.

عبادته صافية، وخوفه من الله وحده يؤهله للثبات في الدين والهداية.

٨- عقاب من تركه:

من يسعى لرضا الناس على حساب رضا الله، يغضب الله عليه، ويكون سبب سخط الناس أيضاً.
يؤدي هذا إلى ضعف الدين، وانحراف القلب، وفقدان البركة في العمل والرزق.

ثالثاً: خلاصة الباب

- ١- اليقين هو ثقة القلب بالله والاعتماد عليه وحده.
- ٢- الخوف من الله وحده ضرورة لإتمام العبادة والابتعاد عن الرضا بالخلق على حساب الله.
- ٣- علامات ضعف اليقين واضحة: الرضا بسخط الله، والمدح على رزق الله، والذم على ما لم يمنحك الله.

٤- الثواب لمن ثبت قلبه على الله كبير، والعقاب لمن اتخذ رضا الناس على حساب رضا الله عظيم.

٥- المؤمن الحق يوازن بين خوف الله ورضاه عنه، ويبتغي بذلك مرضاته دون التفريط في شريعة الله.

باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٣)

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٢]، الآية.

وقوله ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٤) [سورة الأنفال: ٦٤].

وقوله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق: ٣].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) [سورة آل عمران: ١٧٣]،

قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ قَالُوا لَهُ: ﴿إِنَّ النَّاسَ

قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) [سورة آل

عمران: ١٧٣]، رواه البخاري والنسائي (١).

فيه مسائل:

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما

وسلم في الشدائد.

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٣).

شرح باب قول الله تعالى:

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٣) ﴿آل عمران: ١٥٩﴾

أولاً: نصوص الباب

- ١ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٣) ﴿آل عمران: ١٥٩﴾.
- ٢ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٢]، الآية.
- ٣ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦٤) [سورة الأنفال: ٦٤].
- ٤ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق: ٣].
- ٥ حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» (١٧٣) [سورة آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد عليه السلام حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) [سورة آل عمران: ١٧٣].

ثانياً: الشرح على محاور

١- التوكل من الفرائض:

التوكل على الله واجب على كل مؤمن، فهو أساس الإيمان وركيزة الاعتماد

على الله في جميع الأمور.

٢- التوكل من شروط الإيمان:

المؤمن الحق يتوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب، ويثق بأن الله هو المهيمن على كل شيء.

الآية: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٣) ثبت أن التوكل شرط من شروط الإيمان.

٣- تفسير آية الأنفال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾:

المعنى: الله كافٍ لنبيه وللمؤمنين المتوكلين عليه، فلا خوف على الصادقين بالتوكل.

٤- تفسير آية الطلاق: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾:

المعنى: كل من جعل الله كفيلاً له، فهو موكول بأمر الله، ويكفيه من كل خوف وقلق.

٥- عظم شأن كلمة: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾:

قول إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وﷺ في الشدائد: دليل على اعتماد الأنبياء والصالحين على الله وحده في الملمات والمحن. يرفع الإيمان ويزيد الثقة بالله في مواجهة المخاوف والخصوم.

ثالثاً: المسائل المستفادة

- ١- التوكل من الفرائض.
- ٢- التوكل شرط من شروط الإيمان.

٣- المؤمن الحق يجعل قلبه مع الله ويثق بتقديره.

٤- التوكل لا ينفي الأخذ بالأسباب، بل يكمله.

٥- قول: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ أعلى مراتب التوكل ويُستعمل في الشدائد والفتن.

٦- التوكل يرفع الخوف ويزيد الإيمان، ويثبت القلب في مواجهة التحديات.

باب قول الله تعالى: ﴿ أَفَأَمْنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الْخَاسِرُونَ ﴾ (٩٩) [الأعراف: ٩٩].

وقوله: ﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ (٥٦) [سورة الحجر: ٥٦].
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْكِبَائِرِ، فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ» (١).
عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ»، رواه عبد الرزاق (٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحجر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن آمن مكر الله.

الرابعة: شدة الوعيد في القنوط.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/٩٣١ رقم ٥٢٠١) وانظر «صحيح الجامع» للشيخ الألباني (٤٤٧٩).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٠/١٩٧٠١)، والطبراني في «الكبير» (٩/١٥٦)، وابن جرير (٦/٦٤٨)، وصححه الوادعي في «تفسير ابن كثير» (٢/٣٣٢).

شرح باب الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩]

أولاً: نصوص الباب

١ قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ

﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

٢ قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [سورة

الحجر: ٥٦].

أحاديث عن الصحابة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ: سُئِلَ عَنِ الْكِبَائِرِ، فَقَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ».

ثانياً: الشرح على محاور

١ - تفسير آية الأعراف:

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ تعني: هل ظننتم أنكم آمنتُم من تدبير الله وتقديره

وحكمته؟

المعنى: كل من يغتر بأمنه من مكر الله فهو في ضلال، لأن مكر الله قد يشمل

العقوبة أو الجزاء على الخلق.

٢- تفسير آية الحجر ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ﴾ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿١﴾:

المعنى: من ييأس من رحمة الله ويظن أنها انتهت عنه فهو ضال عن الطريق الحق، لأن الله واسع الرحمة ويغفر الذنوب لمن تاب.

٣- شدة الوعيد فيهن أمن مكر الله:

النبي ﷺ ذكرها من كبائر الذنوب.

المعنى: التهاون أو الغفلة من تدبير الله واعتقاد الإنسان بأنه محمي من العقوبة أو الخطر يُعد من الكبائر.

٤- شدة الوعيد في القنوط واليأس:

اليأس من روح الله أو رحمته سبب الضلال الأكبر، لأنه يحرم الإنسان من التوبة والرجاء والاعتماد على الله.

النبي ﷺ قرن بين اليأس والأمن من مكر الله كأشد الكبائر بعد الشرك بالله.

ثالثاً: المسائل المستفادة

١- تفسير آية الأعراف ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾.

٢- تفسير آية الحجر ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ﴾.

٣- الأمن من مكر الله من أكبر الكبائر.

٤- اليأس من رحمة الله من أكبر الكبائر.

٥- من أمن من مكر الله أو قنط من رحمته فهو في خطر وخسارة كبيرة في

الدنيا والآخرة.

٦- التوبة والرجاء جزء من حماية النفس من الكبائر.

٧- هذه الأمور مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالشرك، لأنها تشترك مع الغفلة عن

الحق.

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [سورة التغابن: ١٨].

قَالَ عَلَقَمَةُ: «هُوَ الرَّجُلُ تُصَبُّهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمَ» (١).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اِثْنَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ» (٢). وَلَهُمَا عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» (٣).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٤).

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ» حسنه الترمذي (١).

(١) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/٢٩٥)، وغيره.

(٢) أخرجه مسلم (٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وغيره، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٢٠).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية التباين.

الثانية: أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة: الطعن في النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: إرادة الله به الشر.

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضي بالبلاء.

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٦).

شرح باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله

أولاً: نصوص الباب

❶ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة التغابن: ١٨].
قال علقمة: «هُوَ الرَّجُلُ تُصَبُّهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَيَرْضَى وَيُسَلِّمَ».

❷ - ٢ أحاديث عن النبي ﷺ:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اِثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ».

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ».

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

«إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ».

ثانياً: الشرح على محاور

١ - تفسير آية التغابن:

﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ أي: من صدق إيمانه ويوقن بأن الله عالم بكل شيء، يطمئن قلبه عند المصائب.

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: أي أن علمه وقدرته شامل لكل ما يحدث، فلا غفلة في تدبيره.

٢- الصبر على أقدار الله من الإيمان:

الرضا بالقضاء والقدر علامة الإيمان بالله.

المسلم يعلم أن البلاء من الله فيبتلى بالخير أو بالشر في الدنيا، فلا يجزع ولا يأس.

٣- الطعن في النسب والنياحة على الهيت:

من الكبائر التي توحى بالكفر عند الغفلة:

الطعن في نسب أحد، أي التشكيك فيه بلا حق.

النياحة على الميت أو ضرب الخدود وشق الجيوب، من شعائر الجاهلية.

٤- إرادة الله بالعبد:

خير: من ابتلاه الله في الدنيا بالبلاء فصبر ورضي، له الأجر الكبير في الدنيا والآخرة.

شر: من أمسك عنه ذنوبه حتى يلاقيه يوم القيامة، علامة أن الله كافأه بالامتحان المؤجل.

الابتلاء علامة حب الله للعبد: كما في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ».

٥- الرضا والسخط بالبلاء:

الرضى بالبلاء: سبب لزيادة الأجر وطمأنينة القلب.

السخط على البلاء: يورث الغضب والضيق ويكون سبباً للعقوبة.

ثالثاً: المسائل المستفادة

- ١- تفسير آية التغابن ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾.
- ٢- الصبر على البلاء من أركان الإيمان بالله.
- ٣- الطعن في النسب من كبائر الذنوب.
- ٤- النياحة وضرب الخدود وشق الجيوب من شعائر الجاهلية المذمومة.
- ٥- علامات إرادة الله بالعبد الخير: الابتلاء المبكر في الدنيا.
- ٦- علامات إرادة الله بالعبد الشر: تأجيل العقوبة إلى يوم القيامة.
- ٧- الابتلاء علامة حب الله للعبد.
- ٨- تحريم السخط على البلاء ووجوب الرضا.
- ٩- ثواب الرضا بالبلاء: تطهير النفس ورفع الدرجات.

باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾ [سورة فصلت: ٦]، الآية.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ»، رواه مسلم (١).
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ مَرْفُوعًا: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «الشُّرْكَ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ فَيُصَلِّيَ، فَيَزِينُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»، رواه أحمد (٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى.

الرابعة: أن من الأسباب، أنه تعالى خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسر ذلك بأن يصلي المرء لله، لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٣٠)، وابن ماجه (٤٢٠٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/١١٩).

شرح باب ما جاء في الرياء

أولاً: نصوص الباب

① قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ

رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝١١٠﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

② عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ

الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ».

③ عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ

الْمَسِيحِ الدَّجَالِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «الشُّرْكَ الْخَفِيُّ، أَن يَتَقَوْمَ

الرَّجُلُ فَيُصَلِّيَ، فَيَزَيِّنُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ».

ثانياً: الشرح على محاور

١- تفسير آية الكهف:

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لتأكيد أن النبي ﷺ بشر مثل غيره، لا يستحق أن

يُشْرَكَ معه أحد.

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ أي: اجعل كل عملك خالصاً لله.

﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ أي: لا تدخل الرياء أو أي نوع من الشرك الخفي

في عبادتك.

٢- خطورة الشرك الخفي والرياء:

الله غني عن الشركاء، أي لا يحتاج إلى أي شريك في العبادة.
أي: عمل يصححه المرء لله، فإذا دخله شيء لغير الله، كأن يُزين عمله للناس، فالله يترك العمل ويعتبره شرًا.

٣- سبب تحريم الرياء:

كمال الغنى لله تعالى: فهو غني عن أن يشرك معه أحد.
الله تعالى خير الشركاء: أي أن كل خير الأعمال لا يحتاج لمشاركة من البشر.
النبي ﷺ حذر أصحابه من الرياء لأنه أشد خطرًا من الشرك الظاهر في بعض الحالات.

٤- بيان الرياء في الصلاة:

مثال عملي: أن يصلي المرء لله ويزين صلاته لما يراه من نظر رجل، أي لتؤثر على الناس أو لمدحهم.
هذا نوع من الشرك الخفي لأنه خرج عن إخلاص العبادة لله وحده.

ثالثاً: المسائل المستفادة

١- تفسير آية الكهف: التأكيد على التوحيد والإخلاص لله.

٢- خطورة الرد على العمل الصالح إذا دخل فيه شيء لغير الله.

٣- سبب المانع: كمال غنى الله عن الشركاء.

٤- من أسباب الرياء: الشرك الخفي والتزين للناس.

٥- خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء، باعتباره أعظم المخاطر بعد الشرك.

٦- المثل العملي: تزيين الصلاة أمام الناس، مع أنها مخصصة لله وحده.

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيْنَهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَمَنْ فَهِيًا لَا يُبْخَسُونَ ١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ [سورة هود: ١٥-١٦].

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ: إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبِرَّةَ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ» ^(١).

فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم: عبد الدينار والدرهم والخميص.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه: (إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ).

الخامسة: قوله (تَعَسَّ وَانْتَكَسَ).

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٧).

السادسة: قوله: (وَإِذَا شِيعَ فَلَا اُنْتَقَشَ).

السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

شرح باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا

أولاً: نصوص الباب

① قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ ⑩ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ⑪﴾ [سورة هود: ١٥-١٦].

② عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ: إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعَنَانٍ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشَعَتْ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٌ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ».

ثانياً: الشرح على محاور

١- إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة:

الإنسان إذا كان همه الدنيا وزينتها فيعمل الطاعات لمصلحة دنيوية، فهذا نوع من الشرك الخفي لأنه قلبه على المخلوق لا الخالق.

كل عمل لم يُخلص لله ويُقصد به الآخرة يصبح حبطاً وباطلاً، كما ورد في الآية.

٢- تفسير آية هود:

﴿نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾: أي يعطيهم الله ثواب ما عملوه

دنيوياً، لكن لا ينفعهم ذلك يوم القيامة.

﴿لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّكَارُ﴾: جزاؤهم عقاب على قلبهم المائل للدنيا.

٣- تسمية الإنسان عبد الدينار والدرهم والخميسة:

وصف النبي ﷺ للعبد بالدينار أو الدرهم أو الخميسة: بيان أنه عبد ماله ولبسه، أي قلبه متعلق بالمادة، لا بالعبادة لله.

﴿إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ﴾: أي مهما نال أو فات، قلبه مضطرب وغير راضٍ إلا بالدنيا، فلا يجد طعامًا للرضا الحقيقي.

٤- معنى «تَعَسَّ وَأَنْتَكَسَ»:

تعس: خسر وأصابه البلاء الأخرى.

انتكس: انحرف عن الحق في قلبه وسلوكه.

٥- معنى «وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ»:

أي: إذا كثرت أمواله ومواهبه لم يفرح قلبه الحقيقي، وإذا قلت لم يرض، بل يظل قلبه دائمًا متحيرًا بين القصور والزيادة.

٦- الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات:

وصف النبي ﷺ للمجاهد الذي يبتغي وجه الله: أشعث رأسه، مغبرة قدماه، في الحراسة أو الساقة، لا يبحث عن الشهرة أو الراحة.

هذا النقيض التام للعبد الذي يريد الدنيا بعمله، فالغاية لله وحده.

ثالثاً: المسائل المستفادة

١- إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة نوع من الشرك الخفي.

٢- تفسير آية هود: الجزاء دنيوياً بغير نفع أخروي.

٣- تسمية الإنسان عبد المال أو اللباس: دليل تعلق القلب بالمخلوقات.

٤- معنى الرضا والسخط فيما أعطي أو لم يُعط: قلبه دائماً غير مطمئن.

٥- معنى «تَعَسَّ وَانْتَكَسَ»: الخسران الأخروي والانحراف القلبي.

٦- معنى «وَإِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ»: القلب لا يهنأ بغنى الدنيا ولا يرضى

بفقرها.

٧- الثناء على المجاهد: بيان عظمة من عمل لله وابتغى رضوانه، مقارنة

بالعبد المبتغي للدنيا.

باب من أطاع العلماء والأمرأ في تحريم ما أحل الله

أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟!»^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الْإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٦٣]، أَتَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ؟ الْفِتْنَةُ: الشَّرْكُ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضُ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فِيهِلِكَ»^(٢).

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: «أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿أَخْذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٣١] الْآيَةَ، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتَحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»، رواه أحمد، والترمذي وحسنه^(٣).

(١) انظر «الفتاوى» لشيخ الإسلام (٢٦/٥٠).

(٢) رواه عن الإمام أحمد: «أحمد بن حميد المشكافي»، المتخصص بصحبة أحمد، نقل ذلك عنه صاحب كتاب: «فتح المجيد» (٢/٦٤٧).

(٣) وهم المؤلف في عزوه لأحمد، ولكن أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (٣/٥٦).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغير الأحوال إلى هذه الغاية، حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي:

أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأخبار هي: العلم والفقه ثم تغيرت

الحال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثاني من

هو من الجاهلين.

شرح باب أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله

أولاً: نصوص الباب

① قول ابن عباس رضي الله عنهما: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ؟!».

② قول الإمام أحمد رحمه الله: «عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الْإِسْنَادَ وَصِحَّتَهُ، يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ، وَاللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٦٣]».

③ حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: «أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٣١] الْآيَةَ، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، قَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ».

ثانياً: الشرح على محاور

١- تفسير آية النور:

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾: أي من أطاع العلماء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد جعلهم رباً أو سبباً للطاعة المطلقة، وهو نوع من الشرك الخفي.

٢- تفسير آية براءة:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾: الفتنة هنا هي الشرك أو الانحراف عن أمر الله بسبب اتباع الناس في ما لم يأمر به.

٣- التنبيه على معنى العبادة التي أنكرها عدي:

العبادة ليست باللسان فقط، بل تتجلى في الطاعة المطلقة، حتى لو كان القصد التقدير أو الشناء على العلماء أو الأخبار.

مثال عدي بن حاتم: تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله يعادل عبادتهم، رغم أن الناس يظنون أنهم لم يعبدوا هؤلاء.

٤- تمثيل ابن عباس وأحمد:

- ابن عباس: مثال بالصحابة (أبو بكر وعمر) ليوضح التحذير من اتباع أحد في مخالفة أمر الله.

- أحمد: تمثيل بسفيان للذين يعتمدون على الرأي الشخصي في مخالفة الشرع، وهو تحذير من التقديس البشري للأحكام الشخصية.

٥- تغيير الأحوال إلى هذه الغاية:

في البداية: يعبد الرهبان لأجل التقوى والعمل الصالح، ويعبد الأخبار للعلم والفقهاء.

فيما بعد: أصبح البعض يعبد من دون الله من غير الصالحين أو الجاهلين، أي: أصبح اتباع الأحكام البشرية سبباً للوقوع في الشرك الخفي.

ثالثاً: المسائل المستفادة

- ١- تفسير آية النور: التحذير من اتباع العلماء أو الأمراء في مخالفة الشرع.
- ٢- تفسير آية براءة: بيان خطر الفتنة والشرك الناتج عن اتباع البشر على نحو المطلق.
- ٣- معنى العبادة المذمومة: الطاعة المطلقة لغير الله في ما لم يأمر به.
- ٤- تمثيل الصحابة والعلماء: تحذير من تعظيم الرأي الشخصي على حساب الشريعة.
- ٥- تغير الأحوال: التحذير من أن عبادة الإنسان للعلماء أو الفقهاء قد تتحول إلى شرك.
- ٦- خطورة تحريم الحلال وتحليل الحرام: من أشد أنواع الشرك الخفي.

باب قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝١١ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۝١٢﴾

وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١].

وقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [سورة الأعراف: ٥٦]، الآية.

وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ يَبْغُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٠] الآية.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»، قال النووي: حديث صحيح، رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح ^(١).
وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: «كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَرَجُلٍ مِنَ الْيَهُودِ خُصُومَةٌ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: نَتَحَاكَمُ إِلَى مُحَمَّدٍ -لِأَنَّهُ عَرَفَ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ- وَقَالَ الْمُنَافِقُ: نَتَحَاكَمُ إِلَى الْيَهُودِ -لِعِلْمِهِ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ الرِّشْوَةَ- فَاتَّفَقَا أَنْ يَأْتِيَا كَاهِنًا فِي

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥)، وابن بطة في «الإبانة» (١/٣٨٧)، وضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (ص ١٢-١٣)، والوادعي في «المقترح في بعض أجوبة وأسئلة المصطلح»

جُهَنَّةَ فَيَتَحَاكَمَا إِلَيْهِ، فَتَزَلَّتْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ﴾ [سورة النساء: ٦٠] الآية (١).

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: «تَرَفَّعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ الْآخَرُ: إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، ثُمَّ تَرَفَّعَا إِلَى عُمَرَ، فَذَكَرَ لَهُ أَحَدُهُمَا الْقِصَّةَ، فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يَرْضَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ» (٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾.

الثالثة: تفسير آية الأعراف: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾.

الرابعة: تفسير: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَتَّبِعُونَ﴾.

الخامسة: ما قاله الشعبي في سبب نزول الآية الأولى.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ.

ﷺ

(١) أخرجه ابن جرير (١٩٠/٧)، والواحدي في «أسباب النزول» (١٣٧)، عن الشعبي مرسلاً.

(٢) علقه البغوي في «تفسيره» (٤٤٦/١)، والحافظ في «الفتح» (٤٧/٥)، وغيرهما، وهو

شرح باب قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا أَحْسَنًا وَتَوْفِيقًا﴾ (٦٢)

أولاً: نصوص الباب

① قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠].

② قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١].

③ قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا...﴾ [سورة الأعراف: ٥٦]، الآية.

④ قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِیَّةِ يَبْغُونَ...﴾ [سورة المائدة: ٥٠] الآية.

⑤ حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ».

⑥ سبب النزول كما ذكر النووي والشعبي: نزول الآية على المنافقين

الذين أرادوا التحاكم إلى اليهود والكهنة رغم معرفتهم بشرعية الرسول وعدم قبول الرشوة منه.

قصة عمر مع رجل من المنافقين رفض حكم النبي ﷺ فقتله بالسيف.

ثانياً: الشرح على محاور

١- تفسير آية النساء:

المنافقون يدعون الإيمان ولكنهم يريدون التحاكم إلى الطاغوت، أي: (من يتخذ من البشر حكماً معصوماً أو متجاوزاً الشرع).

الطاغوت: كل من يُتبع في معصية الله أو يُتخذ حاكماً فيما لم يأذن الله به.

مقصد الآية: التحذير من اتباع الشيطان في الضلال عن الحق رغم المعرفة بالرسول وكتابه.

٢- تفسير آية البقرة:

قولهم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾: المنافقون يغطون فسادهم بزعم الإصلاح. الإشارة إلى أن النفاق يظهر في الأقوال والادعاء، ويخالف الحق في الأعمال.

٣- تفسير آية الأعراف:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾: تحذير من الإفساد بعد أن أصلح الله أحوال الناس.

التوكيد على الدعاء لله بالخوف والطمع، أي التفويض لله وحده في إصلاح الأمور.

٤- تفسير آية الهاندة:

﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِ يَبْعُونَ﴾: مقارنة بين حكم الله وحكم الجاهلية، وتحذير من اتباع ما هو شرعية غيره.

بيان أن حكم الله هو الأعدل والأكمل.

٥- سبب نزول الآية الأولى حسب الشعبي:

خصومة بين رجل من المنافقين ورجل يهودي: أحدهما أراد التحاكم إلى الرسول، والآخر أراد التحاكم إلى اليهود لتلقي الرشوة. النزول جاء بياناً لتوبيخ المنافقين وتحذير المسلمين من اتباع الظلم والتحيز للغير.

٦- تفسير الإيمان الصادق والكاذب:

- الإيمان الصادق: اتباع أوامر الرسول بلا تحريف أو ميل لهوى النفس.
- الإيمان الكاذب: الادعاء دون عمل، أو اتباع الهوى على حساب الشرع.

٧- قصة عمر مع المنافق:

المنافق رفض حكم الرسول أو صحابي في النزاع، فقام عمر بضربه بالسيف وقتله.

دليل على وجوب الالتزام بحكم الله ورسوله ورفض التحاكم للظالم أو للطاغوت.

٨- شرط الإيمان الحقيقي:

لا يتحقق الإيمان الكامل إلا بأن يكون هوى المسلم تابعاً لما جاء به الرسول ﷺ، أي خضوع القلب والطاعة للشرع بلا ميل للنفس أو للهوى.

ثالثاً: المسائل المستفادة

- ١- تعريف الطاغوت ودور التحاكم إليه في الشرك الخفي.
- ٢- معرفة المنافقين بصفاتهم: ادعاء الإيمان وتغطية الفساد بالقول ﴿يَخُنُّ مَصْلِحُوهُ﴾.
- ٣- التحذير من اتباع حكم الجاهلية بدل حكم الله.
- ٤- ارتباط الإيمان الحقيقي باتباع الرسول في القول والفعل.
- ٥- خطر اتباع الهوى على قلب المسلم، حتى لو زعم الإيمان.
- ٦- أهمية الالتزام بحكم الله ورسوله في القضاء والخصومة.
- ٧- وجوب اليقظة تجاه نفاق الأقوال وعدم التظاهر بما يخالف الباطن.

باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [سورة الرعد: ٣٠].

وفي صحيح البخاري، قَالَ عَلِيٌّ: «حَدَّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟»^(١).

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ ابْنِ طَاوُوسٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا انْتَفَضَ -لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ، اسْتِنَكَارًا لِذَلِكَ - فَقَالَ: (مَا فَرَّقَ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ»^(٢). انتهى.

وَلَمَّا سَمِعَتْ قُرَيْشُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ: «الرَّحْمَنَ» أَنْكَرُوا ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [سورة الرعد: ٣٠]^(٣).

فيه مسائل:

الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

(١) أخرجه البخاري (١٢٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١١/٤٢٣)، وغيره، وصححه الألباني في «حاشية ظلال الجنة في تخريج السنة» (ص ٢١٢).

(٣) ذكره المؤلف بالمعنى ولكن أخرجه ابن جرير (١٣/٥٣١)، من طريق مجاهد به نحوه مرسلًا.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلة أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمد المنكر.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك، وأنه هلك.

شرح باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

أولاً: نصوص الباب

① قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَإِلَيْهِ مَتَابٍ﴾ [سورة الرعد: ٣٠].

② حديث علي رضي الله عنه في البخاري: «حَدَّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتَجِبُونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟».

③ حديث عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: <«أَنَّه رَأَى رَجُلًا انْتَفَضَ -لَمَّا سَمِعَ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصِّفَاتِ، اسْتِنَكَارًا لِذَلِكَ - فَقَالَ: (مَا فَرَّقَ هَؤُلَاءِ؟ يَجِدُونَ رِقَّةً عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ»>.

④ سبب النزول: عندما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر صفة (الرحمن)، أنكروا ذلك، فأنزل الله: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾.

ثانياً: الشرح على محاور

١- محور العقيدة: الإيمان بالأسماء والصفات.

القاعدة: لا يجوز للمؤمن جحد أي اسم أو صفة من أسماء الله وصفاته.

المغزى: الإيمان بهذه الصفات جزء من الإيمان بالله عز وجل، والجحد فيها

يؤدي إلى الكفر الجزئي أو الشرك.

٢- محور النصوص القرآنية: تفسير الآية:

الآية تبين أن من يكفر بالرحمن ويجحد صفة الرحمة لله فهو من المكذبين بالله.
التفسير: المؤمن يقول: ﴿هُوَ رَبِّي﴾ ويؤكل إليه ولا يلتفت لأقاويل الناس أو إنكارهم.

٣- محور الحديث: توجيه التعامل مع الناس:

حديث علي رضي الله عنه: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ»، أي: لا تكثر في الصفات بما يصعب فهمه على العامة، حتى لا يؤدي ذلك إلى تكذيب الله أو الرسول.
التوجيه: تبسيط التفسير مع الثبات على العقيدة الصحيحة دون تحريف أو زيادة تُربك السامع.

٤- محور تحذير ابن عباس رضي الله عنهما: استنكار الصفات:

الرجل الذي انتفض عند سماع حديث عن الصفات أظهر استنكاره لصفات الله، فابن عباس يبين أن الاستنكار على محكم الصفات يؤدي إلى الهلاك.
العبرة: ينبغي معرفة حدود العقل في فهم الصفات، والإيمان بها كما وردت من الشرع، دون تحريف أو تمثيل.

٥- محور حكم جحد الصفات:

الجحد يؤدي إلى تكذيب الله ورسوله حتى لو لم يقصد المنكر.
يجب أن يعلم المسلم أن إثبات الصفات ثابت بالكتاب والسنة، وأن الإنكار فيها مخالف للإيمان.

ثالثاً: المسائل المستفادة

- ١- أصل العقيدة: عدم الإيمان بجحد أي اسم أو صفة من أسماء الله وصفاته.
- ٢- تفسير آية الرعد: بيان عقوبة من يكفر بالرحمن ويجحد صفة الرحمة.
- ٣- التوجيه التربوي: ترك التحديث بما لا يفهمه السامع لتجنب تكذيب الله أو الرسول.
- ٤- سبب النهي: الجهل أو سوء الفهم في الصفات يؤدي إلى تكذيب الله ورسوله ولو بدون قصد.
- ٥- قصة ابن عباس: استنكار الرجل للصفات أظهر خطر الجحد، وهو تنبيه للمسلمين على الالتزام بالإيمان الصحيح.

باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمْ

الْكَاْفِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٨٣].

قال مجاهد ما معناه: «هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثَتُهُ عَنْ آبَائِي»^(١).

وقال عون بن عبد الله: «يَقُولُونَ: لَوْلَا فَلَان لَمْ يَكُنْ كَذًّا»^(٢).

وقال ابن قتيبة: يقولون: «هَذَا بِشْفَاعَةِ آلِهَتِنَا»^(٣).

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: بَعْدَ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الَّذِي فِيهِ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: أَصْبَحَ

مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ...»^(٤) الحديث، وقد تقدم: وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ

وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضَيِّفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَيُشْرِكُ بِهِ^(٥).

قال بعض السلف: «هُوَ كَقَوْلِهِمْ: كَانَتْ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالْمَلَأُحُ حَادِقًا، وَنَحْوَ ذَلِكَ

مِمَّا هُوَ جَارٍ عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ».

فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

(١) أخرجه ابن جرير (٣٢٥/١٤).

(٢) أخرجه ابن جرير (٣٢٦/١٤).

(٣) كلام ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» عزاه إليه زهير الشاويش في تحقيقه لـ «تيسير العزيز الحميد» (٥٠٦).

(٤) أخرجه البخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١)، من حديث زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) «الفتاوى» (٣٣/٨).

الثانية: معرفة أن هذا جار على ألسنة كثير.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارا للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدين في القلب.

شرح باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمْ

الْكَافِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٨٣].

أولاً: نصوص الباب

① قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمْ

الْكَافِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٨٣].

② أقوال المفسرين والسلف:

- مجاهد: «هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ: هَذَا مَالِي، وَرِثَتُهُ عَنْ آبَائِي» → أي نسب النعمة لنفسه أو لأبائه دون الاعتراف بأن الله هو المنعم.

- عون بن عبد الله: «يَقُولُونَ: لَوْلَا فَلَان لَمْ يَكُنْ كَذَا» → أي نسبة الفضل لغير الله.

- قتبية: «يَقُولُونَ: هَذَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا» → إشراك غير الله في ما أنعم الله به.

- أبو العباس: هَذَا كَثِيرٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، يَذُمُّ سُبْحَانَهُ مَنْ يُضَيِّفُ إِنْعَامَهُ إِلَى غَيْرِهِ، وَيُشْرِكُ بِهِ.

- بعض السلف: كَقَوْلِهِمْ: «كَانَتِ الرِّيحُ طَيِّبَةً، وَالْمَلَأُ حَادِقًا»، ونحو ذلك من الشائع بين الناس.

ثانياً: الشرح على محاور

١- محور العقيدة: معرفة النعمة وشكرها:

القاعدة: النعمة من الله، ويجب الاعتراف بالمنعم وعدم نسبها لغيره.

المغزى: من ينكر نعمة الله أو ينسبها لغيره يقع في الكفر الظاهر أو الباطن بحسب الحالة.

٢- محور اللغوي والعرفي: عادة الناس:

كثير من الناس يضيفون فضل النعم إلى أسباب دنيوية أو أشخاص، وهذا من السنة العامة.

التوجيه: على المؤمن الاعتراف بأن الأسباب نفسها بتقدير الله وفضله، فلا يجوز نسب الفضل إلا لله.

٣- محور التوحيد والرياء:

كل من نسب النعمة لغير الله في القلب أو القول فهو معرض للوقوع في الشرك الأصغر أو أكبر حسب القصد.

يُظهر ذلك اجتماع الضدين في القلب: الإيمان بالله من جهة، ونسبة النعمة لغيره من جهة أخرى.

٤- محور الأخلاق والاعتراف بالنعمة:

الاعتراف بنعمة الله يثمر الشكر والرضا، بينما إنكارها يولد الكفر والغرور. التنبيه على أن هذا النوع من الإنكار منتشر بين الناس ويحتاج إلى وعي دائم.

ثالثاً: المسائل المستفادة

١- تفسير معرفة النعمة وإنكارها: النعمة من الله والاعتراف بها واجب، وإنكارها ذم.

٢- انتشار هذا السلوك: كثير من الناس يتصرفون بهذا الأسلوب في الكلام والاعتقاد.

٣- تسمية هذا الكلام: يُسمّى إنكار النعمة ونسبة فضل الله لغيره.

٤- اجتماع الضدين في القلب: يجتمع الإيمان بالله مع نسبة الفضل لغيره، وهو خلل عقيدي خطير.

باب قول الله تعالى:

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي الْآيَةِ: «الْأُنْدَادُ: هُوَ الشَّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ، فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَهُوَ أَنْ تَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلَانَةً، وَحَيَاتِي، وَتَقُولَ: لَوْلَا كَلْبُهُ هَذَا لَأَتَانَا اللَّصُوصُ، وَلَوْلَا الْبَطُّ فِي الدَّارِ لَأَتَى اللَّصُوصُ، وَتَقُولَ الرَّجُلِ لِصَاحِبِهِ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَتَقُولَ الرَّجُلِ: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ، لَا تَجْعَلْ فِيهَا فُلَانٌ، فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ بِهِ شِرْكٌ»، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ^(١).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ»، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ ^(٢).

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا» ^(٣).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٢/١)، وضعفه الألباني في «تحقيق كتاب الإيمان» لأبي عبيد (ص ٨٧)، وحسنه الوادعي في تحقيقه لـ «تفسير ابن كثير» (١/١١٤).

(٢) أخرجه الترمذي (١٥٣٥)، وأحمد (٣٤/٢)، وأبو داود (٣٢٥١)، والحاكم (١/١٨)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٤٢).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٨/٤٦٩)، والطبراني في «الكبير» (٩/٨٩٠٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (٣/١٣١).

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشَاءَ فُلَانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ»، رواه أبو داود بسند صحيح ^(١).

وَجَاءَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، أَنَّهُ يَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ وَبِكَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، قَالَ: وَيَقُولُ: لَوْلَا اللَّهُ ثُمَّ فُلَانٌ، وَلَا تَقُولُوا: لَوْلَا اللَّهُ وَفُلَانٌ» ^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقاً، فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة: الفرق بين الواو وثم في اللفظ.

(١) أخرجه أحمد (٣٨٤/٥)، وأبو داود (٤٩٨٠)، وانظر «الصحيحة» (١٣٧).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٣٤٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١١/١٩٨١٢).

شرح باب قول الله تعالى:

﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢]

المحرر الأول: التفسير اللغوي والقرآني

الآية: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢].

الأنداد هنا بمعنى الشركاء؛ أي: لا تجعلوا لله شركاء وأنتم تعلمون أنهم ليسوا شركاء.

المعنى المباشر: التنبيه على محضرة العلم، أي: أن الإنسان يعلم أن المنعم هو الله، ومع ذلك ينسب النعمة لغيره أو يجعل غير الله في مقام الشريك في عملية المن والهبة.

أمثلة لذلك في كلام الناس: «هذا لي من آبائي»، «لولا فلان لحدث كذا»، «هذا بشفاعة آلهتنا»، أو «ما شاء الله وشئت» بتركيب يجعل الفعل مشتركاً بين الله وغيره.

المحرر الثاني: أقوال الصحابة والسلف ودلائلها

- ابن عباس: وصف الأنداد بأنها أخفى من (دبيب النمل)؛ أي: شرك يتسلل خفياً في الكلام والعادة.

- ابن مسعود: أحب أن يحلف المرء بالله كاذباً من أن يحلف بغير الله صادقاً: إشارة إلى علو مقام الله وحرمة نسب الحلف لغيره.

أحاديث الصحابة (حذيفة، عمر، وغيرهم) تظهر أن التلّفق اللغوي والسلوكي الذي يجعل لغير الله منزلة إلهية أو شبيهة بالله هو أمر خطير يُقارب الشرك عند السلف.

المحرر الثالث: البعد العقائدي والفقه

أ- حكم الحلف بغير الله:

قاعدة عامة: الحلف بغير الله مذموم، وقد ورد في النصوص أنّ من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر (النصوص في هذا الباب مذكورة عندك).
الاختلاف الفقهي في الحكم التفصيلي: بعض العلماء يصرّح بأن الحلف بغير الله يُعد شركاً صريحاً أو على الأقل شركاً كبيراً أو صغيراً بحسب المقصود. إن قصد بهذه الحلفية جعل ذلك الشيء إلهاً أو شريكاً في اليمين فهو أقرب إلى الكفر؛ وإن كان مجرد استخدام لفظي في كلام اعتيادي لضعف العلم فقد يكون محمولاً على الرياء أو الشرك الأصغر أو ذمّة لغوية تحتاج توبة وإنكار.

ب- الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر هنا:

الشرك الأكبر: نسب العبادة أو الألوهية أو الولاية الربوبية لغير الله بقصد.
الشرك الأصغر، الرياء، التوسّط: جعل أحد السببان مستقلاً عن تقدير الله مثل: («هذا بفضل فلان» من دون ذكر فضل الله) مذموم ويقرب من الشرك إن استقرّ في القلب.

المحور الرابع: البعد اللغوي - «واو» أم «ثم»؟

الواو (و) في عبارات مثل: «ما شاء الله وشئت فلان» تربط بين إرادة الله وإرادة الإنسان على نحو التوازي أو الشراكة؛ هذا قد يُفهم - لفظياً - على أن الإنسان أو غيره شريك في الإرادة مع الله. لذا يكره السلف والفقهاء هذا الصوغ.

«ثم» تفيد الترتيب والتبعية: «ما شاء الله ثم شاء فلان» = أولاً شاء الله ثم تبع ذلك مشيئته مشيئة فلان (أي إن كل ما فعله فلان داخل تحت مشيئة الله)، هذه الصيغة تحافظ على توحيد الربوبية والافتقار إلى الله.

القاعدة العملية: إذا وُجِهَ كلامٌ قد يُفهم منه الشراكة، فاستعمل «ثم» أو عدّله بعبارات تذكر فضل الله: «ما شاء الله، وبجهد»، «بفضل الله ثم بجهد».

المحور الخامس: البعد العملي - أمثلة وبدائل صحيحة

بدلاً من: «لولا كلبية لسرقوا» → قل: «لولا الله ثم كلبية لحدث كذا» أو «بفضل يقظة كلبية - وبإذن الله - تفادوا السرقة».

بدلاً من الحلف: «والله وفلان!» → احذر؛ استعمل «أقسم بالله» أو «والله» وحدها، أو «والله ثم فلان» مع حفظ المعنى الشرعي.

بدلاً من: «ما شاء الله وشئت» → قل: «ما شاء الله ثم شاء فلان» أو «ما شاء الله، وبجهد».

عند الشكر: بدلاً من «هذا رزق أبي/ لي» → قل: «هذا من فضل الله عليّ، وورزقني به الله».

المحور السادس: الأثر الأخلاقي والاجتماعي

نسبة النعمة لغير الله تُضعف التواضع والشكر وتزيد التكبر والاعتماد على المخلوق.

وهي كذلك مدخل للولاء البشري المفرط الذي قد يتحوّل إلى اتباع الأفراد والأحزاب على حساب دين الله (ما في الباب السابق من تحذير).

الإجابة على المسائل الخمسة التي ذكرتها:

المسألة الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد:

الآية تدل على: منع جعل لله شركاء - والأنداد هنا تشمل كل من يُنسب إليه ما ليس له من فعل التفضيل أو التقدير أو الشفاعة بطريقة تُنقص من توحيد الله. أي: لا تجعلوا لله شركاء وأنتم تعلمون أن المنّ والفضل من عنده.

المسألة الثانية: أن الصحابة يوسعون دلالة الشرك الأكبر لتشمل الأصغر:

نعم: سلف الأمة كانوا يحذرون من مظاهر بسيطة ظاهرياً لكنّها تقود إلى الشرك (نماذج: الحلف بغير الله، نسب النعمة لغير الله، الاعتماد الأعمى على الناس)؛ لذلك كانوا يعتبرون أن النصوص النازلة في الشرك الأكبر «تعم» ما يؤدي إليه.

المسألة الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك:

القول المشهور والسلفي: الحلف بغير الله محرّم وقد ورد أنه (أشرك) أو (كفر) بحسب اللفظ والنية.

التطبيق العملي: لا تتعاهد أو تتحالف في اليمين بغير الله. إذا قال إنسان

«حلفت بعبدي»، فالتصريح صريح أو قريب من الشرك ويحتاج إنكاراً وتوبة. أما الأقوال المألوفة المنحرفة فتعالج بالتعليم وتصحيح العبارة.

♦ **المسألة الرابعة:** أن من يحلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس:

اليمين الغموس: يمين باطلة تُجرّم صاحبها إذا حنث. لكن الحلف بغير الله معناه نسب الألوهية أو الشراكة لغير الله في قسمٍ جادٍّ - وقد يترتب عليه حكمٌ أشدُّ؛ لأنه يتعلق بتوحيد الربوبية والألوهية. بعض النصوص تُظهر أن الحلف بغير الله قد يوازي الكفر أو الشرك.

النتيجة العملية: إن رأيت أحداً يحلف بغير الله بصدق، فعليك إنكار هذا القول وبيان خطورته، ودعوة صاحبه إلى التوبة.

♦ **المسألة الخامسة:** الفرق بين الواو (و) و«ثم» في اللفظ:

الوَاو تدل على الجمع أو الاشتراك؛ فتجعل المعنى مشتركاً لفظياً بين الله وغيره - وهذا يُحمل عادة على المسؤولية أو الشراكة. لذلك يُحذر منه. الثَّم تفيد الترتيب والتبعية (الله أولاً ثم السبب البشري) وحفظ توحيد الفعل والقدرة.

قاعدة عملية: إذا رغبت في ذكر الله ثم ذكر إنسان أو سبب، الأفضل أن تستعمل «ثم» أو «ب» أو أن تقول «بفضل الله ثم...» أو «بإذن الله ثم...».

✍ **خاتمة موجزة ووصايا عملية:**

١- احفظ صياغتك: لا تنسب فضل الله لغيره لفظاً أو فعلاً.

٢- إذا سمعت قولاً مشكوكاً (حلف بغير الله، «ما شاء الله وشئت»، «لولا الله وفلان») فتوّه بلباقة وعلم الصواب: «ما شاء الله ثم شاء فلان» أو «بفضل الله ثم فلان».

٣- إن صدر منك زلل فالتوبة واجبة: استغفر ويبيّن أنك لم تقصد الشرك.
٤- علم الناس بلطف وضبط: كثير من الناس يقولون ألفاظاً من عادة لا يدركون معناها؛ فالتلقين اللطيف أحسن من الإنكار القاسي.

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَخْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ»، رواه ابن ماجه بسند حسن (١).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يرض.

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١٠)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (٢٦٩٨ / ٨).

شرح باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

١- نص الحديث ومصدره باختصار:

الحديث المذكور - عن ابن عمر رضي الله عنهما: «لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ» - مروى في سنن ابن ماجه، وقيمه بعض العلماء بأنه حسن.

٢- شرح لفظي موجز للعبارات الرئيسة:

«لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ»: نهي عن الحلف بالآباء أو بغير الله (صيغ الحلف بغير الله محققة للتحذير لأنها تقلل منزلة الله وتقرّب لفظ الشريك).

«مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ»: توجيه للحالف بأن يلتزم الصدق؛ أي: اليمين تزيد الأمر تعهداً ينبغي أن يكون صادقاً.

«مَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ»: المقصود هنا «المحلوف له» - أي: الذي جئت له يميناً باسم الله - عليه أن يقبل هذه اليمين كدليل، في سياق الخصومة والتحاكم (أي: يرضى بحكم الله ويأخذ بعين الاعتبار قسّم الحالف).

«وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ، فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ»: تعبير تأديبي قوي يدل على شدة الذم لمن يرفض الرضا بيمين مشروعة بدون علة؛ هذا تبرؤ شرعي يحض على قبول الأدلة الشرعية واليمين المقبولة.

✍ ٣- المحور الفقهي- في أي حال يُطبَّق الحديث؟ (المعنى العملي):

الحديث موضوعه عمليّ بالذات في ميدان الخصومة والقضاء:

إذا ادّعى أحد بمال أو حقّ ولم يكن عنده بينة، فالحكم في هذه الحالة قد يستند إلى يمين الحالف، الحديث يأمر الحالف بالصدق، ويأمر المحلوف له (المدعى عليه، الخصم) أن يرضى بيمين الحالف كوسيلة لحسم النزاع. لكن: الشرع لم يجعل قبول كل يمين بلا شروط مطلقاً، فهناك حالات يجوز فيها رفض اليمين أو عدم الالتزام بها مثل: (أن يُعلم كذب الحالف أو تغلب على الظنّ أنه كاذب، أو وجود بينة واضحة تناقض يمينه). شرح شيخنا ابن عثيمين يذكر حالات خمسة توضح أمور الحكم عند الخلاف: (معرفة الكذب، غلبة الكذب، تساوي الأمرين، ترجّح الصدق، علم الصدق).

✍ **الخلاصة الفقهية العملية:**

اليمينُ تُعطى قيمةً في القضاء والخصومة كدليل شرعيّ إذا استوفت الشروط (صدق الحالف أو ترجّح صدقه أو تعادل الحجج). فإذا كان الحالف معلوماً بالكذب أو دلّ دليل قاطع ضدّ قوله، فلا يُجبر المرء على قبول اليمين. في مثل هذه الحالات يجوز للمحلوف له أن لا يرضى.

✍ ٤- المحور العقيدي- النهي عن الحلف بغير الله وسببه:

النهي العام في النص «لا تحلفوا بآبائكم»: يدخل تحت قاعدة أوسع: لا

تحلفوا بغير الله، الحلف بغير الله يُعدُّ مدخلاً لغلط عقيدي لأنه يجعل لغير الله منزلة في القسم، وقد ذهب بعض الألفاظ النبوية إلى تغليظ هذا النهي (ومن حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر) - ثم هذا للتنبيه والزجر.

٥- البعد الأخلاقي والاجتماعي:

الحديث يعزز صفتين مهمتين: الصدق عند الحلف والرضا بالحكم الشرعي عندما يكون اليمين دليلاً مشروعاً. هذا يسهم في استقرار المجتمع، ويمنع التشاجر وإثارة الفتن. رفض قبول يمين شرعي بلا علة يهدم الثقة ويُعرض صاحبه لدم شرعي كما جاء في الحديث.

٦- الإجابة على المسائل الثلاث المذكورة في الباب:

الأول: النهي عن الحلف بالآباء:

المراد: توقف عن استعمال آبائكم أو غيرهم كأسانيد حلف أو أقوال تُحصّل المضمون القضائي.

السبب: حفظ توحيد الربوبية والعيش في إطار أن الله هو المقسم. الحلف بغير الله ذمته النصوص وله صور مشددة في السنة.

الثانية: الذم للهلوف له بالله أن يرضى:

المقصود عملياً: في الخصومة، إذا حلف الخصم باليمين على ما يدّعيه، والهلوف مستوفٍ للشروط (صحة الحالف، عدم وجود بينة على العكس، أو

مساواة الحجج)، فإن الطرف المقابل ينبغي أن يَرْضَى باليمين ويقبلها حُكْمًا - لأن هذه من آليات الفصل الشرعي.

أما إذا كانت هناك أسباب مشروعة للشك (معرفة كذب الحالف مثلاً)، فلا يُلْزَم المرء بالرضا.

الثالثة: الوعيد الذم لمن لم يرض:

العبارة «ومن لم يرض فليس من الله»: تعبر عن تنبيه وتأديب شديد لمن يرفض قبول دليل شرعي مشروع بلا سبب؛ لكنها لا تُقصد كحكم قطعي لكل الحالات بلا تفصيل.

الشرعية تسمح برفض اليمين في حالات معينة (كذب الحالف أو وجود بينة أظهر كذبه)؛ لذلك الفهم الصحيح: الحديث يحرض على قبول الأدلة الشرعية ويذم المَلَكِرَ الذي يصّر على رفض دون مبرر، مع مراعاة الأحكام الفقهية التفصيلية.

٧- أمثلة تطبيقية قصيرة:

بائع وزبون: ادّعى الزبون أن السلعة سليمة، فحلف للبائع: «والله ما كذب»، ولا توجد شهادة أو دليل آخر → البائع يجوز أن يقبل يمين الزبون (أو يقترح قسمًا متبادلاً) كحلّ.

من تُعرف عنه عادة الكذب حلف: إن كان الحالف معروفًا بالكذب فلا يُلْزَمك قبول يمينه.

إن أقسم أحدهم عليك «بالله هذا دين عليك» ولم يكن لدى ذلك حجة أخرى، فإن الشريعة توجه لقبول اليمين إذا لم يظهر خلافها.

٨- خلاصة موجزة عملية (نقاط للالتزام):

- ١- لا تحلف بغير الله، تجنب حلف الآباء أو المخلوقات، واذكر الله وحده إذا احتجت للحلف.
- ٢- إن حلفت فاجعل يمينك صادقة (توجيه نبوي).
- ٣- إذا حلف لك أحد بيمين شرعية في الخصومة فاقبله إذا استوفت شروطه؛ وإن كانت هناك دلائل قوية على كذبه فالجواز برفضه.
- ٤- من يرفض قبول يمين مشروع بلا مبرر يقع في ذم شرعي - فتوخ الحكمة والعدل.

باب قول: ما شاء الله وشئت

عَنْ قُتَيْبَةَ، أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، وَتَقُولُونَ: وَالْكَعْبَةِ، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا: وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَأَنْ يَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ شِئْتُ»، رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ (١).
وَلَهُ أَيْضًا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا شَاءَ اللَّهُ، وَشِئْتُ، فَقَالَ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ» (٢).

وَلَا بَنٍ مَاجَه: عَنْ الطُّفَيْلِ، أَخِي عَائِشَةَ لَأُمِّهَا، قَالَ: «رَأَيْتُ كَانِي أَتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ: عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ، قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِنَفَرٍ مِنَ النَّصَارَى فَقُلْتُ: إِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، قَالُوا: وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ الْقَوْمُ لَوْلَا أَنْكُمْ تَقُولُونَ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أَخْبَرْتُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ طُفَيْلًا

(١) أخرجه النسائي في «المجتبى» (٦/٧)، وأحمد (٦/٣٧١)، والحاكم (٤/٢٩٧)، وصححه

الألباني في «الصحيحة» (١٣٦)، والوادعي في «الصحيح المسند» (٢/٥٢٨).

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (٦/١٠٨٢٥)، وأحمد (١/٢١٤)، وصححه الألباني في

«الصحيحة» (١٣٩)، وحسنه الوادعي في تحقيقه لـ «تفسير ابن كثير» (١/١١٤).

رَأَى رُؤْيَا وَأَخْبَرَ بِهَا مَنْ أَخْبَرَ مِنْكُمْ، وَإِنَّكُمْ قُلْتُمْ كَلِمَةً كَانَ يَمْنَعُنِي كَذًا وَكَذًا أَنْ
أَنْهَأَكُمْ عَنْهَا. فَلَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللَّهُ
وَحْدَهُ»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة: قوله ﷺ: (أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟) فكيف بمن قال: يا أكرم الخلق ما لي من
ألذ به سواك والبيتين بعده.

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر، لقوله (يَمْنَعُنِي كَذًا وَكَذًا).

الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سببا لشرع بعض الأحكام.

(١) أخرجه ابن ماجه (٢١١٨)، وأخرجه بنحوه أحمد (٧٢/٥)، وغيره، وصححه الألباني في

«الصحیحة» (١٣٨)، والوادعي في «الصحیح المسند» (١/٤٤٥).

شرح باب قول: ما شاء الله وشئت

١- ملخص المسألة باختصار:

العبارة «ما شاء الله وشئت» تربط مشيئة المخلوق بمشيئة الله بالواو، فيُفهم منها لفظاً كأن للمخلوق مشيئتين متوازيتين مع مشيئة الله. النبي ﷺ نهى عن هذا اللفظ وعلم بذلك التصحيح: «ما شاء الله ثم شئت» أو يقول: «ما شاء الله وحده»، وكذلك في الحلف أمرهم أن يقولوا: «ربّ الكعبة» بدلاً من حلفٍ بغير الله.

٢- المحور اللغوي: الواو مقابل ثم:

الواو في العربية قد تدلّ على الجمع أو الاشتراك، إذا ضعفت صياغة الكلام ووُضعت الواو بين مشيئة الله ومشيئة أحدٍ، ظهر لفظياً نوع من التوازي أو الشراكة اللغوية.

ثم تفيد الترتيب أو التبعية: «ما شاء الله ثم شاء فلان» = كل ما فعله فلان داخل تقدير مشيئة الله، فلا شراكة في الإرادة. لذلك التعديل اللفظي مهم: «ما شاء الله ثم شئت» أو «ما شاء الله وحده» يحفظ توحيد الربوبية والقدرة.

٣- المحور العقدي والفقهي: لماذا هذا محرم أو مذموم؟

التوحيد يتطلب أن نسب الربوبية والقدرة والمشيئة المطلقة لله وحده، أي

لفظ يجعل لغير الله منزلةً في هذه الأوصاف يقترب من الشرك لفظاً أو اعتقاداً.
الفرق في الحكم: غالب أقوال العلماء: هذا شرك أصغر أو لفظٌ مذهبه (مذموم) لأنه يُوهم الشراكة، لكنه لا يصل إلى الشرك الأكبر عادةً إلا إذا قصد القائل بعلمه أو إيمانه إقرار الألوهية للمخلوق فعلاً، النية والحقيقة داخل القلب هي الفصل بين كفر يخرج من الملة وبين زلل لفظي يقتضي إنكاراً وتوبة.

النبي ﷺ ردّ بقسوة كلامية: «أجعلتني لله نداً؟ ما شاء الله وحده»: دلالة على خطورة التعبير ولو بغير قصد.

٤- المحور السلوكي والنفسي: لماذا يقع الناس فيه؟

كثير من الناس يتكلمون بعبارات من عادة أو تقليد لغوي لا ينتبهون لمعناها.

أحياناً الهوى أو المصلحة يجعل الإنسان يستخدم ألفاظاً تظهر التقدير للبشر أو الأسباب الدنيوية، فتظهر عبارة مخالفة للفظ التوحيدي الصحيح.
 لذا يحتاج المسلم إلى وعي لغوي: الكلمات تشكّل عقيدة وقد تُغرّر بالناس بلحظات.

٥- الإجابة المفصلة على المسائل الواردة:

السؤال الأول: معرفة اليهود بالشرك الأصغر:

الروايات تذكر أن بعض اليهود نبّهوا المسلمين إلى أن عبارة «ما شاء الله

وشئت» شبيهة بعبارات يُنسب فيها الفضل لغير الله عندهم (كقولهم: «عزيز بن الله»)، هذا يدلّ أن الناس من غير المسلمين قد يستدلّون على أعراض الشرك الخفي بأنفسهم لأنهم يرون ما له مدلول شركيّ.

خلاصة: التنبيه اليهودي يعكس وعياً لغوياً وانتقاداً لما يخرج الألسنة عن توحيد الربوبية.

السألة الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى:

إنّ صاحب الهوى قد يعرف الحق لكنه يترك ألفاظه ومواقفه تخدم مصلحة أو محاباة للبشر؛ لذلك ترى من يقول عبارة تذهب بالعقيدة وإن كان يعرف النص.

النتيجة: الأساس ليس مجرد العلم بل الأخلاق والإنصاف والثبات على الحق، لأن الهوى يغيّر استعمال اللفظ حتى مع المعرفة.

السألة الثالثة: قوله ﷺ: «أجعلني لله نداً؟» وكيف يقارن بمن قال بيتين مثل «ما لي من ألوذ به سواك»

الفرق اللغوي والعقدي:

«أجعلني لله نداً؟»: توبيخ عند تشبيه شخص لرسول الله أو لمخلوق ما بمنزلة الله.

الآبيات الشعرية مثل: «ما لي من ألوذ به سواك»: فيها لفظ حصر وافتقار؛ تعني «ليس لي مخلص غيرك» أو «ليس لي ملجأ إلا أنت»، وهذا لا يجعل أحداً نداً لله بل يُعبر عن التوحيد والافتقار.

الخلاصة: النية والمعنى مهمان؛ عبارات الإقرار بالافتقار والاعتماد لا تعدّ شرکاً، أما عبارات التوازن اللفظي فهي المذمومة.

السؤال الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر لقوله ﷺ: «يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم»:

صحيح: نصّ النبي ﷺ يبيّن أن هذا نوع من المنع عن قول، أي أنه ذمّ يُمنع ويُحرّم، لكنه ليس بالضرورة كفراً صريحاً لكل قائل؛ الحكم يتفاوت حسب القصد والاعتقاد.

عملياً: يُعامل على أنه شركٌ لفظي، صغرى يستوجب إنكاراً وتعليماً وتصحيحاً، وإذا ثبت أن القائل قصد الشرك بالعينية فقد يقترب من الكفر.

السؤال الخامسة: أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحي

في السردية الواردة، طُفيلُ بن خُوَيْلِد رأى رؤياً وأخبر النبي ﷺ، والنبي ﷺ اعتبر ذلك مما يُبلغ عنه فأمر الناس بعدم استخدام العبارات المذكورة.

من هنا استدل السلف: أن بعض الرؤى قد تكون من وجوه الوحي (الرؤيا الصالحة جزء من بشائر الوحي للأنبياء أو إلى بعض الصحابة)، لكن:

الفرق مهم بين وحي الرسالة الذي يشرّع ويُعدّ أساساً، وبين خبر رؤيا أو إلهام خاص وقع لصحابي ثم نُقل إلى النبي ﷺ ليأمر أو ينهى.

العلماء قالوا: الرؤيا الصالحة قد تكون من عند الله، لكنها ليست كلها حكماً تشريعياً مستقلاً؛ التشريع العضوي هو القرآن والسنة المتواترة.

السالة السادسة: أن الرؤيا قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام:

الحكاية هنا: رؤيا طفيل قادت النبي ﷺ لأن ينهاهم عن شيء أو يوصي بتعديل لفظي، فصار سبباً لبيان عملي (تعليم الناس صيغة الحلف والقول).
التوضيح الشرعي: في عصر النبوة، أمور من هذا النوع قد تُعرض للنبي ﷺ وتكون جزءاً من السياق الذي يُملَى حكماً أو نصيحة؛ لكن بعد النبي ﷺ لا تُعتبر رؤيا أحد مصدر تشريع، الرؤيا قد تؤثر في السلوك الفردي أو تُعطي نباهة للرسول أو الصحابة في وقتها، لكنها ليست مصدراً عاماً للتشريع بعد خاتمية الوحي.

٦- الحكم العملي والآداب اللغوية العملية (إرشادات للمسلم):

- ١- لا تقل «ما شاء الله وشئت» - إذا سمعتها علق بأدب: «أقول: ما شاء الله ثم شئت»، أو قل: «ما شاء الله وحده».
- ٢- إذا أردت أن تذكر فضل إنسان فاذكر فضل الله أولاً: «بفضل الله ثم بكذا» أو «بإذن الله ثم بجهده».
- ٣- في الحلف: لا تحلف بغير الله؛ إن اضطررت فاحلف بالله أو قل «والله».
- ٤- عالج المخالفة بلطف وتعليم: كثير من الناس يفعلون ذلك من عادة لا من قصد شرك، فالتعليم الرفيق أفضل من الازدراء.
- ٥- اعلم أن النية هي المفتاح: من قصد الشراكة في الاقتدار أو الألوهية فهو في منزلة أخطر من الذي زلّ لسانه جهلاً، لكن لا تُستخف بكل زلل لفظي - الإنكار مطلوب.

٧- خاتمة موجزة:

مسألة «ما شاء الله وشئت»: تظهر أن دقة الكلام مرتبطة بدقة العقيدة.
لا يكفي أن تعرف العقيدة، بل يلزمك أن تحرس ألفاظك وتربّي لسانك
على ما يليق بتوحيد الله في التعبير.
التمييز بين القصد والزلل ضروري؛ الكلمة قد تُؤوّل شراً لكنها تُعالج
بالتوجيه والتربية لا بالهجوم.

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [سورة الجاثية: ٢٤].

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تعالى: يُؤذيني ابنُ آدمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أَقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»^(١).
وفي رواية: «لا تَسُبُّوا الدَّهْرَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الدَّهْرُ»^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الدهر.

الثانية: تسميته أذى لله.

الثالثة: التأمل في قوله: (فإنَّ الله هُوَ الدَّهْرُ).

الرابعة: أنه قد يكون سابا ولو لم يقصده بقلبه.

(١) أخرجه البخاري (٧٤٩١)، ومسلم (٢٢٤٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٤٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

شرح باب من سب الدهر فقد آذى الله

١- ملخص المسألة:

بعض الناس يسبون الدهر أو الزمن عند وقوع البلاء أو المصائب، ويقولون: «الدهر ظلمنا» أو «الدهر خاننا».

القرآن يوبّخ هذا القول: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [سورة البجائية: ٢٤]، أي إن الإنسان يجهل حقيقة الأمور، ويظن أن الزمن سبب لكل شيء بينما الله هو الذي يقدر.

قال النبي ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، أي: أن سب الدهر كإيذاء الله تعالى؛ لأنه هو المدبر لكل الأمور في هذا الكون.

٢- المحور العقيدي:

١- القدرة على تدبير الكون: الله تعالى هو المدبر للزمان والأحداث، فسب الدهر يُعدّ مساسًا بحق الله في التدبير والقدرة.

٢- توحيد الربوبية: كل ما يقع في الكون من تغير الليل والنهار، وفصول السنة، وأحداث الحياة مرتبط بإرادة الله، سب الدهر قد يوهّم أن للزمان قدرة مستقلة عن الله، وهذا يخالف التوحيد الربوبي.

٣- السب واللوم: لوم أي شيء مخلوق أو زمان على وقوع الأقدار أو المصائب يُعدّ من كفر الجاهلية في فهم الأسباب.

٣- المحور النفسي والسلوكي:

١- **التصرف عند الشدة:** الإنسان يميل إلى إلقاء اللوم على الزمان عند المصائب، وهذا ميل خاطئ للنفس.

٢- **التحمل والصبر:** المؤمن الصادق يدرك أن ما وقع هو قدر الله ويصبر ويحتسب، فلا يسب الزمن بل يشكر الله على الحكمة الكامنة وراء البلاء.

٣- **النية والوعي:** حتى إذا نطق الإنسان بالسبّ دون قصد، يكون أثره خطرًا على عقيدته إذا لم يصحح قوله ويعرف أن الله المدبر.

٤- المحور اللغوي والتفسير:

- **الدهر:** هو الزمن أو الأيام، لكنه في الحقيقة مظهر لإرادة الله.

- **السبّ:** تعبير عن الإيذاء أو اللوم أو الاستنكار.

«فإن الله هو الدهر»: تأكيد أن كل تغير في الليل والنهار، في الحياة والموت، في الحوادث والابتلاءات، هو من عند الله وحده.

٥- شرح المسائل الأربع:

السألة الأولى: النهي عن سب الدهر:

قوله ﷺ: «لا تسبوا الدهر» أمر صريح بالتحريم اللفظي.

السبب: لأن السب يؤدي إلى إيذاء الله باللسان، ويقود إلى إشراك لفظي أو ظني في القدرة بين الله والدهر.

السألة الثانية: تسميته أذى الله:

الحديث: «يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر» يعني أن سب الدهر كإيذاء الله.

التأمل: ما يسيء للقدرة الإلهية أو ينسب لها شيئاً غيره فهو مذموم ومؤذي لله بالقلب أو اللسان.

السألة الثالثة: التأمل في قوله: «فإن الله هو الدهر»:

هذا المعنى يقودنا إلى إدراك أن:

١- الزمن ليس له إرادة مستقلة.

٢- كل ما يحدث في الكون من تغير الليل والنهار هو تقدير الله وتديره.

النتيجة: يجب على المؤمن أن يُسلم بقضاء الله ويعلم أن الدهر مجرد أداة إلهية، لا سبب مستقل.

السألة الرابعة: أنه قد يكون سبباً ولو لم يقصده بقلبه:

حتى من نطق بالسبب دون قصد أو كناية أو عادة، يكون هذا خطراً لغوياً وعقيدياً.

الواجب: تصحيح الكلام والاعتراف بأن كل ما يحدث بقدر الله، والاستغفار إذا وقع من الإنسان هذا اللفظ، لأنه قد يضر بالعقيدة.

٦- الخلاصة العملية:

١- احذر سبب الزمن أو الدهر بأي صيغة، حتى بالمزاح أو الاستنكار.

٢- اللوم الحقيقي للسبب: اجعل كل لوم موجّهاً لله وحده، مع التسليم بحكمته.

٣- عند وقوع البلاء: قل «رضيت بقضاء الله» و«ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن».

٤- تربية النفس: هذا الباب يعلم المؤمن الصبر والتسليم والتوحيد الربوبي.

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ: رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكَ الْأَمْلاَكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ» ^(١).

قَالَ سُفْيَانُ: مِثْلُ «شَاهَانُ شَاءَ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ» ^(٢).

قَوْلُهُ: (أَخْنَعَ) يَعْنِي أَوْضَعَ ^(٣).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن التسمي بملك الأملاك.

الثانية: أن ما في معناه مثله، كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لإجلال الله سبحانه.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠٦)، ومسلم (٢١٤٣)، وكلام سفيان مذكور عقب الحديثين.

(٢) أخرجه مسلم (٢١).

(٣) هذا التفسير مذكور في مسلم عقب حديث رقم (٢٠).

(أَخْنَعَ) قيل: بمعنى أفجر يقال: خنع الرجل إلى المرأة، والمرأة إليه أي: دعاها إلى

الفجور.

شرح باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه

أولاً: نص الحديث

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ: رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكَ الْأَمْلاَكِ، لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ.**».

وفي رواية: «**أَغْيَظُ رَجُلٍ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَخْبَثُهُ.**».

معنى "أَخْنَعَ": أي أوضع وأذل وأقبح عند الله.

وأمثلة مشابهة ذكرت، مثل سفيان قال: شاهان شاه، أي ملك الملوك، وهو من التضخيم في الأسماء الذي يُنهى عنه الشرع.

ثانياً: محاور الشرح

١- النهي عن تسمية الإنسان بها يختص بالله:

كالأسماء التي فيها الغلو في ملك الله، أو في صفاته التي هي لله وحده، مثل: (ملك الأملاك) أو (شاهان شاه).

هذه الأسماء فيها تشبيه أو مساواة بالله، وهذا نوع من الشرك الخفي أو الغلو في أسماء الله.

٢- ومثيل ذلك من الأسماء:

ما ذكره سفيان مثل: (شاهان شاه) أو أي لقب يعظم الإنسان بما لا يليق إلا بالله.

هذا يشمل أي ألقاب تضخم سلطات البشر أو تضاهي ملك الله أو صفاته.

٣- التفطن لغرض التنبيه:

التركيز على شدة النهي والتحذير حتى ولو لم يقصد الإنسان بذلك بقلبه، لأن المنع لكل شكل من أشكال التضخيم والتغليظ في الأسماء. الهدف هو تعليم الناس حفظ الصفات لله وحده وتقديسه.

٤- حكم القلب في هذه الوسائل:

حتى لو لم يقصد الشخص المعنى الخاطئ بقلبه، يظل الاسم منكراً ومحظوراً، لكن القصد الصحيح يخفف الذنب. التفطن هنا لأجل الله: أي تحري الحذر والحرص على ألا نخلط بين صفات البشر وصفات الله.

ثالثاً: مسائل مستفادة

١- النهي القطعي عن استخدام أسماء تعظم الإنسان بما هو خاص بالله وحده.

٢- معرفة أمثلة ذلك: (ملك الأملاك) أو (شاهان شاه).

٣- التنبيه على تغليظ الأمر حتى لو لم يكن هناك قصد سيء.

٤- التفطن لأجل الله: أي أن الهدف هو حفظ الله من التشبيه والغلو.

باختصار: التسمي بالألقاب العظمى التي تختص بالله محرم شرعاً، والنهي

يشمل كل اسم مشابه، حتى لو لم يقصد المتسمي المعنى الباطل، لأن الغرض حماية وحدانية الله وصفاته.

باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ، أَنَّهُ يُكْنَى أَبُو الْحَكَمِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ» فَقَالَ: إِنَّ قَوْمِي إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَتَوْنِي، فَحَكَمْتُ بَيْنَهُمْ فَرَضِي كِلَا الْفَرِيقَيْنِ، فَقَالَ: «مَا أَحْسَنَ هَذَا، فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، قَالَ: «فَمَنْ أَكْبَرُهُمْ؟» قُلْتُ: شُرَيْحٌ، قَالَ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ»، رواه أبو داود وغيره (١).

فيه مسائل:

الأولى: احترام أسماء الله وصفاته ولو لم يقصد معناه.

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥٥)، والنسائي في «المجتبى» (٢٢٦/٨)، وصححه الألباني في

«الإرواء» (٢٦١٥/٨)، والوادعي في «الصحيح المسند» (٢٣٠/٢).

شرح باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

شرح باب الاحترام لله في الأسماء، وتغيير ما فيه ذكر الله عند التسمي.

١- نص الحديث:

عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ».

فأجابه شريح أنه يحكم بين قومه، فقال ﷺ: «فَمَا لَكَ مِنَ الْوَلَدِ؟» فقال: شُرَيْحٌ، وَمُسْلِمٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَنْتَ أَبُو شُرَيْحٍ».

٢- محاور الشرح:

١- احترام أسماء الله وصفاته:

حتى ولو لم يقصد المرء معنى الاسم عند الله، فالنهي وارد عن استخدامه للإنسان.

مثال: (أبو الحكم) كان من أسماء الله، فغير النبي ﷺ الاسم احتراماً لله.

٢- تغيير الاسم لأجل ذلك:

إذا كان الاسم فيه من أسماء الله أو صفاته، يجب تغييره لتجنب استخدام اسم من أسماء الله في البشر.

٣- اختيار أكبر الأبناء للكنية:

كان النبي ﷺ يختار أكبر الأبناء ليكون حاملاً للكنية، مع مراعاة أن لا يكون الاسم فيه ذكر لله أو القرآن أو الرسول بطريقة غير مناسبة.

٣- مسائل مستفادة:

- ١- احترام أسماء الله عند التسمي.
- ٢- تغيير الاسم إذا خالف هذا الاحترام.
- ٣- التمييز بين التسمية للولد وبين الأسماء التي تخص الله.
- ٤- اختيار الأبناء الأكبر للكنية.

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [سورة التوبة: ٦٥].

عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَقَتَادَةَ - دَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي بَعْضٍ -: أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ، أَرْغَبُ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلَا أَجَبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ - يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ الْقُرَّاءَ.

فَقَالَ لَهُ عَوْفُ بْنُ مَالِكٍ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لِأَخْبَرَنَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؛ فَذَهَبَ عَوْفٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُخْبِرَهُ فَوَجَدَ الْقُرْآنَ قَدْ سَبَقَهُ، فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ ارْتَحَلَ وَرَكِبَ نَاقَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَتَحَدَّثُ حَدِيثَ الرَّكْبِ، نَقْطَعُ بِهِ عَنَّا الطَّرِيقَ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِنَسْعَةِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّ الْحِجَارَةَ تَنْكُبُ رِجْلَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [سورة التوبة: ٦٥]، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾، مَا يَتْلِفُ إِلَيْهِ وَمَا يَزِيدُهُ عَلَيْهِ^(١).

(١) هذا الأثر ذكره المصنف مجموعاً من عدة روايات، وحسنه الوادعي في «الصحیح

المسند من أسباب النزول» (ص ١٢٢).

فيه مسائل:

الأولى: وهي العظيمة: أن من هزل بهذا فهو كافر.

الثانية: أن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائنا من كان.

الثالثة: الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله.

الرابعة: الفرق بين العفو الذي يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله.

الخامسة: أن من الأعذار ما لا ينبغي أن يقبل.

شرح باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

التحذير الشديد من الهزل أو الاستهزاء بالقرآن أو الرسول ﷺ أو أسماء الله، وأن الاعتذار بعد ذلك لا ينفع إذا كان متعمداً.

١- نص الحديث والآية:

الآية: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [سورة التوبة: ٦٥].
الحديث: عن رجل في غزوة تبوك استهزأ بالقرآن والنبى ﷺ وأصحابه فقال: «مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ، أَرْغَبَ بَطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ».

أتى عوف بن مالك وأخبر رسول الله ﷺ، فكان الرجل يدعي أنه كان نَخُوضُ وَنَلْعَبُ لكسب الوقت، لكن النبى ﷺ قرأ عليه الآية: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦٥].

٢- محاور الشرح:

١- الخطورة الكبرى للهزل بالقرآن أو ذكر الله أو الرسول:

أي: تهكم أو هزل بالكلام عن ذلك يعتبر كفرًا بعد الإيمان إذا كان متعمداً.

٢- تفسير الآية:

توضح الآية موقف الله من من يهزأ بكتابه أو رسوله أو آياته.

أي: محاولة للتبرير لا تُقبل إذا كان قد وقع في الهزل.

٣- الفرق بين النهيمة والنصيحة:

ذكر الحق والحقائق لله ولرسوله ليس نميمة بل واجب.
التزييف أو الهزل للتسلية أو للتهكم حرام وقد يكون كفرًا.

٤- الفرق بين العفو والغلظة:

العفو الذي يحبه الله مع اتباع الحق والعدل، مقابل الغلظة على أعداء الله، أو الرد بطريقة غير مشروعة.

الاعتذار لا يبرر الاستهزاء بالقرآن أو الرسول أو الله.

٥- اعتذار لا يقبل:

ما ادعاه الرجل: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ ❖ لا يُقبل شرعًا؛ لأن الكفر بالهزل بالحقائق الإلهية لا يُغتفر بالاعتذار.

٣- مسائل مستفادة:

- ١- هزل القرآن أو ما فيه ذكر الله أو الرسول كفر بعد الإيمان.
- ٢- أي هزل يجب تصحيحه بالآيات والأحاديث.
- ٣- الفرق بين المزاح المشروع وبين الهزل بالحقائق الإلهية.
- ٤- الاعتذار عن الهزل بالكفر لا يُقبل إلا إذا لم يكن متعمدًا.
- ٥- بيان أن الله يحاسب كل من يستهزئ بكتابه أو رسوله أو آياته.

خلاصة:

باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتَهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾

قَالَ مُجَاهِدٌ: «هَذَا بِعَمَلِي وَأَنَا مُحَقَّقٌ بِهِ»^(١).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «يُرِيدُ مِنْ عِنْدِي».

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [سورة القصص: ٧٨]، قَالَ قَتَادَةُ: «عَلَىٰ عِلْمٍ مِنِّي بِوُجُوهِ الْمَكَاسِبِ»^(٢).

وَقَالَ آخَرُونَ: «عَلَىٰ عِلْمٍ مِنَ اللَّهِ أَنِّي لَهُ أَهْلٌ»، وَهَذَا مَعْنَى قَوْل مُجَاهِدٍ: «أُوتِيتُهُ عَلَىٰ شَرَفٍ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصٌ، وَأَقْرَعٌ، وَأَعْمَى، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَآتَى الْأَبْرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْ هُئِلْتُ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَدَّرَنِي النَّاسُ بِهِ قَالَ: قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَدْرُهُ، وَأُعْطِيَ لَوْ نَا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ أَوْ الْبَقَرُ -شَكَ إِسْحَاقُ- فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشْرَاءَ، وَقَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَآتَى الْأَقْرَعَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعْرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدْ قَدَّرَنِي النَّاسُ بِهِ

(١) أخرجه ابن جرير (٢٠ / ٤٥٨).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٨ / ٣٢٥).

فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، وَأَعْطِي شَعْرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقْرُ أَوْ الْإِبِلُ، فَأَعْطِي بَقْرَةً حَامِلًا، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، قَالَ: فَأَتَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، فَمَسَحَهُ، فَردَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْغَنَمُ، فَأَعْطِي شَاةً وَالِدًا، فَأَتَتْجَ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مُسْكِينٌ، قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبْلُغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الْحَقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدُرُكَ النَّاسُ؟ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَردَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا ردَّ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ، قَالَ: وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مُسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ، قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْجِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي ردَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ، شَاةً أَتَبْلُغُ بِهَا فِي سَفَرِي، فَقَالَ: كُنْتُ أَعْمَى فَردَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ

الْيَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتُهُ لِلَّهِ، فَقَالَ: أَمْسِكْ مَا لَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ،
وَسُخِّطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ»، أخرجاه (١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما معنى: ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ [سورة فصلت: ٥٠].

الثالثة: ما معنى قوله: ﴿أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [سورة القصص: ٧٨].

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤).

شرح باب قول الله تعالى:

﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة فصلت: ٥٠]

نص الباب:

الآية: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي...﴾ [سورة فصلت: ٥٠].

الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ ذكر قصة ثلاثة من بني إسرائيل: الأبرص والأقرع والأعمى، كيف ابتلاههم الله بالمال والنعيم بعد الضراء، وكيف رد إليهم ما آتاهم من الله، مع التأكيد على أنهم إن ادعوا أنهم استحقوه بأنفسهم لكان جزاؤهم العقوبة.

محاوَر الشرح:

المحرر الأول: تفسير الآية

١- المعنى العام:

الله سبحانه وتعالى يبين أن النعم التي يمنحها للعباد ليست بفضلهم أو استحقاقهم، بل هي من عنده.

الآية تظهر حقيقة نعمة الله وحقه في كل شيء، وأن من ادعى أن النعمة له وحده فقد ضل.

٢- آيات الذكر والوعيد معاً:

- ذكر النعم: ﴿وَلَكِنَّ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ﴾.
- تحذير من الغرور: ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَطُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾.
- الوعيد للكافرين: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.
- المحور الثاني: معنى ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾.

- الزعم الباطل بالاستحقاق:

يريد البعض أن ينسب النعمة لنفسه وكأنها نتيجة عمله الخاص، وهذا ادعاء باطل.

العلماء قالوا: هذا نوع من الغرور الذي يؤدي إلى الجهل بفضل الله.

الدرس:

النعمة مهما عظمت فهي من الله، ويجب على العبد أن يعترف بفضل الله في كل شيء.

المحور الثالث: معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾.

المراد: أن العطاء أو النعمة لا تكون إلا بعلم الله وإرادته.

تفسير قتادة: على علم منه بوجوه المكاسب، أي بما يصلح لهم من أموال أو أمور دنياهم.

تفسير مجاهد وآخرون: هو شرف ومنحة من الله لمن أحبه.

الدرس:

أي ما يملكه العبد من مال أو علم أو نعمة ليس له من نفسه، بل هو من الله بعلمه وحكمته.

المحور الرابع: العبر من قصة الثلاثة (الأبرص والأقرب والأعمى)

١- الابتلاء بالنعم:

الله يبتلي من يشاء، إما برفع الضراء أو بتعويضه بعد الضيق. الابتلاء يظهر حقائق القلوب: من يشكر ومن يغتر.

٢- النعمة ليست ملكاً للعبد:

عندما جاء الرجل ليأخذ ما أعطي من الله، قال له الملاك: إن كنت تزعم أنك استحق هذا فقد صيرك الله إلى ما كنت.

العبرة: كل نعمة من عند الله وحده، ومن ادعى الاستحقاق فهو في طريق الغرور والعقوبة.

٣- تجربة الرضا والشكر:

الأبرص والأقرب والأعمى رضوا بما أعطاهم الله ولم يزعموا استحقاقهم، فكان رضاهم علامة قبول الله لهم.

٤- الحكمة في اختلاف المنح:

لكل عبد ما يليق به: اللون والجلد للشخص الأبرص، الشعر والمال للأقرب، البصر والمال للأعمى.

العبرة: النعمة متنوعة بحسب حكم الله وعلمه، وليس بمقدار الجد أو الطلب.

٥- النتيجة العملية:

كل نعمة نعمة من الله، فلا يحقرها العبد ولا يغتر بها.
التواضع والشكر هما الطريق إلى استمرار النعم.

المسائل المستفادة:

- ١- تفسير الآية وتبيين معنى النعمة الحقيقية.
- ٢- معنى قول الإنسان ﴿هَذَا لِي﴾ وتحذيره من ادعاء الاستحقاق.
- ٣- معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ وأهمية الإقرار بفضل الله.
- ٤- الدروس والعبر من قصة الثلاثة: الابتلاء، الرضا، الشكر، والتواضع.
- ٥- التذكير بأن كل نعمة من الله، وأن الغرور بها يؤدي إلى العذاب.

باب قول الله تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٠]

قال ابن حزم: « اتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ كُلِّ اسْمٍ مُعْبَدٍ لغيرِ اللهِ؛ كَعَبْدِ عَمْرٍو وَعَبْدِ الْكُعبَةِ، وَمَا اشْبَهَ ذَلِكَ، حَاشَا عَبْدَ الْمَطْلَبِ »^(١).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْآيَةِ قَالَ: « لَمَّا تَعَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ لِتُطِيعَانِي أَوْ لِأَجْعَلَ لَهَا قَرْنِي إِيْلَ، فَيَخْرُجُ مِنْ بَطْنِكَ فَيَشُقُّهُ، وَلَا فَعْلَنَّ وَلَا فَعْلَنَّ - يُخَوِّفُهُمَا - سَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا، فَذَكَرَ لَهُمَا فَأَذْرَكَهُمَا حُبَّ الْوَلَدِ، فَسَمِّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٠]، رواه ابن أبي حاتم ^(٢).

(١) « مراتب الإجماع » لابن حزم (١٥٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٣٤ / ٥)، وقد ذكر الشيخ ابن عثيمين أن الأثر باطل من سبعة أوجه انظرها في « القول المفيد » (٦٧ / ٢).

وله بسند صحيح عن قتادة قال: « شركاء في طاعته، ولم يكن في عبادته ». أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٣٤ / ٥)، وابن جرير (٦٢٦ / ١٠).

وَلَهُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيْنَ آتَيْنَا صَليحًا﴾ [سورة الأعراف: ١٨٩]،
قَالَ: «أَشْفَقَا أَلَا يَكُونُ إِنْسَانًا»^(١).

وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنْ الْحَسَنِ وَسَعِيدٍ^(٢)، وَغَيْرِهِمَا^(٣).

فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل اسم معبد لغير الله.

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها.

الرابعة: أن هبة الله للرجل البنت السوية من النعم.

الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة، والشرك في العبادة.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٦٣٣/٥).

(٢) الأثران ضعيفان.

(٣) انظر «تفسير ابن جرير» (١٠/٦٢٣)، وابن أبي حاتم (٥/١٦٣١).

شرح باب قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾ [سورة الأعراف: ١٩٠]

نص الباب:

الآية: ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ

[سورة الأعراف: ١٩٠].

الأحاديث والتفاسير:

- **ذكر ابن عباس** رضي الله عنهما: أن الآية تشير إلى آدم وذريته، وكيف حاول إبليس جعل البشر يشركون في النعم التي أعطاهم الله، مثل أن يطلقوا أسماءً لعبد يُعبد لغير الله.

- **ابن حزم** رحمته الله: اتفق العلماء على تحريم كل اسم معبد لغير الله، كعبد عمرو، عبد الكعبة، مع استثناء عبد المطلب لما لم يقصد به عبادة.

- **قتادة** رحمته الله: «شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته».

- **مجاهد والحسن وسعيد** رحمهم الله: تفسير قوله: ﴿لَيْنَ ءَاتَيْنَا صَالِحًا﴾ بأن الإنسان قد يخاف ألا يكون ما أعطيه من الله دائماً، فيميل إلى مشاركة النعمة مع غيره.

محاوّر الشرح:

المحور الأول: تفسير الآية

١- المعنى العام:

الآية تحذر من مشاركة الله في نعمه أو نسبها لغيره، وهو نوع من الشرك القلبي.

الشرك هنا لا يكون دائمًا في العبادة، بل في التسمية أو التقدير أو الطاعة دون قصد العبادة.

٢- الدرس:

كل نعمة من الله يجب أن تُنسب إليه وحده، ولا يجوز أن يجعلها العبد سببًا للشرك أو الغرور.

المحور الثاني: معنى ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا ءَاتَاهُمَا﴾

التفسير:

البشر عندهم ميل لتوسيع النعمة على غير الله، كأن يجعلوا للنعمة "شريكًا" بمدح أو نسبها أو منحها للآخرين دون شكر الله.

- ابن عباس: إبليس حاول أن يجعل البشر يشركون في الطاعة بالاغراء أو الترهيب، حتى في مجرد التسمية أو الحقوق الدنيا.

التوضيح:

(الشركاء) هنا في المنافع والطاعة، وليس في العبادة.

المحور الثالث: تحريم كل اسم معبد لغير الله

- **ابن حزم:** كل اسم يُعطى لعبد يشير لعبادة غير الله محرم، مثل: عبد عمرو، عبد الكعبة.

الاستثناء: عبد المطلب لما لم يقصد به عبادة، بل مجرد اسم.

الدرس:

الاسم وحده قد يكون مدعاة للشرك إذا قصد به العبادة أو الشراكة مع الله.

المحور الرابع: الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة

الشرك في الطاعة:

مثل: نسب نعمة أو فضل إلى غير الله، أو اتباع الإنسان لغير الله في ما أمر الله.

مثال: حب الولد أو المال إلى درجة تجعله "شريكاً" في النعمة.

الشرك في العبادة:

يشمل توجيه العبادة لغير الله، مثل الدعاء، الذبح، أو الحلف.

الآية توضح أن بعض الشرك قد يكون مجرد اسم أو طاعة صغيرة لكنه لا يصل إلى العبادة الكاملة.

الدرس:

الله متعالى عن الشرك، سواء كان في الطاعة أو العبادة، لكن خطورة الشرك في العبادة أكبر.

المحور الخامس: العبرة من الهبة والنعمة

الهبة من الله:

ذكر السلف أن النعمة من الله كالولد السليم أو المال أو الصحة، هي اختبار للعبد، وقد يكون الشرك مجرد الميل إلى التفاخر بها أو نسبها لغير الله.

التواضع والشكر:

يجب على الإنسان أن يشكر الله على كل نعمة، وأن يعترف بأن مصدر كل شيء الله وحده.

المسائل المستفادة:

- ١- تحريم كل اسم معبد لغير الله، مع بيان الاستثناءات.
- ٢- تفسير الآية وأصلها في قصة آدم وإبليس.
- ٣- الشرك في مجرد التسمية أو الطاعة لا يعد شرك عبادة لكنه خطر قلبي.
- ٤- النعمة من الله هبة عظيمة، ويجب شكرها وعدم نسبها للآخرين.
- ٥- الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة وبيان شدتهما.

باب قول الله تعالى :

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ : «يُشْرِكُونَ» ^(١).
وعنه : «سَمُّوا اللَّاتَ مِنَ الْإِلَهِ، وَالْعُزَّى مِنَ الْعَزِيزِ» ^(٢).
وَعَنِ الْأَعْمَشِ : «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا» ^(٣).

فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء.

الثانية: كونها حسنى.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارض من الجاهليين الملحدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: وعيد من ألحد.

(١) هذا اللفظ عن قتادة لا عن ابن عباس، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٤٤)، وابن

جرير (١٠/ ٥٩٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٢٣)، من طريق معمر وهي رواية قوية، وأما أثر ابن عباس فأخرجه ابن جرير (١٠/ ٥٩٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٢٣).

(٢) هذا اللفظ عن مجاهد لا عن ابن عباس، أخرجه ابن جرير (١٠/ ٥٩٧)، وأما أثر ابن عباس فهو مغاير لهذا، أخرجه ابن جرير (١٠/ ٥٩٧)، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٢٣).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٢٣).

شرح باب قول الله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠]

نص الباب:

الآية: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠].

الأحاديث والتفاسير:

- ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، أي: يشركون. ذكر: سمو اللات من الإله، والعزى من العزيز، أي نسبوا أسماء الله ونعوها لغيره.
- الأعمش: «يُدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا»، أي يطلقون أسماء الله على غيره.

محاوَر الشرح:

المحور الأول: إثبات أسماء الله تعالى

التفسير:

لله تعالى أسماء حقيقية وصفات ثابتة تتعلق بجلاله وكماله. النهي عن تحريفها أو نسبها لغير الله.

الدرس:

يجب على المسلم أن يعرف أسماء الله وصفاته كما وردت في الكتاب والسنة بلا تحريف أو تعطيل.

المحور الثاني: كونها حسنى

♦ التفسير:

الأسماء الحسنى تعني:

- ١- جميلة في الدلالة والمعنى.
- ٢- صالحة للدعاء والذكر.
- ٣- تليق بجلال الله وكماله.

﴿الدرس:﴾

الأسماء لا تشمل ما يُسيء إلى الله أو يقلل من قدره.

المحور الثالث: الأمر بدعائه بها

♦ التفسير:

الآية تأمرنا بـ(الدعاء بأسماء الله الحسنى)، أي: أن نوجه الدعاء إلى الله مباشرة باسمه وصفاته.

مثال: الرحمن، الرحيم، الغفور، العليم...

﴿الدرس:﴾

الدعاء بأسماء الله يرفع القرب إلى الله ويزيد الخشوع.

المحور الرابع: ترك من عارض من الجاهلين الملحددين

♦ التفسير:

﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَصْمَٰئِهِ﴾: أمر بعدم المجادلة مع الجاهلين الذين يشركون أو يسيئون إلى أسماء الله.

المراد تجنب الفتنة والجدال العقيم مع المشركين والمُحرِّفين.

الدرس:

يجب ترك النقاش العقيم مع من أشرك في أسماء الله أو أطلقها على غيره بلا هداية.

المحور الخامس: تفسير الإلحاد فيها

التفسير:

الإلحاد: تحريف أسماء الله، أو نسبتها لغيره، أو إطلاقها على غيره.
مثال: النصارى يقولون: (المسيح ابن الله)، أو العرب قبل الإسلام نسبوا اللات والعزى إلى أسماء الله.

الدرس:

الإلحاد في أسماء الله من أكبر أنواع الشرك وأكثرها ضررًا، لأنه يمس توحيد الأسماء والصفات.

المحور السادس: وعيد من ألحد

التفسير:

من يلحد في أسماء الله يكون معرضًا لغضب الله وعذابه.
وعيد شديد لأنه يشمل تشويهًا لإحدى أعظم مقاصد التوحيد: توحيد الأسماء والصفات.

الدرس:

الحفاظ على أسماء الله وصفاته واجب، والتحذير من تحريفها أمر مهم.

المسائل المستفادة:

- ١- إثبات أسماء الله وصفاته كما وردت في الكتاب والسنة.
- ٢- كون الأسماء حسنى تصلح للدعاء والذكر وتليق بجلال الله.
- ٣- الأمر بالدعاء بها لتحقيق القرب من الله.
- ٤- ترك الجدل مع الجاهلين الذين يشركون في أسماء الله.
- ٥- تفسير الإلحاد في الأسماء: نسبها لغير الله أو تحريفها.
- ٦- وعيد الله على من ألحد في أسمائه وتحذير المسلمين منه.

باب لا يقال: السلام على الله

فِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير السلام.

الثانية: أنه تحية.

الثالثة: أنها لا تصلح لله.

الرابعة: العلة في ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التي تصلح لله.

(١) أخرجه البخاري (٨٣٥)، ومسلم (٤٠٢).

شرح باب لا يقال: السلام على الله

نص الباب:

حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ، قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ».

محاوِر الشرح:

المحرر الأول: تفسير «السَّلَامُ»

التفسير:

«السَّلَامُ»: اسم من أسماء الله الحسنى، يعني السلامة والكمال والنقاء من كل نقص وشر.

وهو دعاء بالسلامة والسلام على الآخرين.

المحرر الثاني: أنه تحية

التفسير:

قول: «السلام عليكم» تحية بين الناس.

فيها دعاء للسلامة والبركة على الآخر.

المحرر الثالث: أنها لا تصلح لله

التفسير:

لا يُقال لله «السلام عليك» أو «السلام على الله»، لأن الله هو السلام بذاته

وكماله.

فقول: «السلام على الله» خطأ لأنه ينسب لله ما يُقال للبشر من دعاء بالسلامة.

المحرر الرابع: العلة في ذلك

♦ التفسير:

الله تعالى كامل السلامة والكمال، فلا يحتاج إلى تحية أو دعاء من أحد. التحية لله من عباده إساءة للمعنى وخلط بين الخلق والخلق.

المحرر الخامس: تعليمهم التحية التي تصلح لله

♦ التفسير:

النبي ﷺ علّم الصحابة أن التحية لله هي التسبيح والتهليل والدعاء، وليس مثل تحية البشر.

مثال: قول «سبحان الله»، «الحمد لله»، «لا إله إلا الله».

✍ المسائل المستفادة:

- ١- تفسير السلام: اسم من أسماء الله الحسنى، يدل على الكمال والسلامة.
- ٢- السلام تحية بين الناس ودعاء بالسلامة.
- ٣- لا تصلح التحية لله كما تصلح للبشر، ولا يقال لله «السلام عليه».
- ٤- العلة: الله تعالى كامل السلامة والكمال، فلا يحتاج لتحية.
- ٥- تعليم التحية التي تصلح لله: التسبيح والتهليل والذكر والدعاء.

باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُكْرَهَ لَهُ» ^(١).

وَلِمُسْلِمٍ: «وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ» ^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن الاستثناء في الدعاء.

الثانية: بيان العلة في ذلك.

الثالثة: قوله: (لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ).

الرابعة: إعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٣٩)، ومسلم (٩).

(٢) أخرجه مسلم (٨).

شرح باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت

نص الباب:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُكْرَهَ لَهُ».
 وورد أيضاً: «وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أُعْطَاهُ».

محاوِر الشرح:

المحرر الأول: النهي عن الاستثناء في الدعاء

التفسير:

عند الدعاء، لا يجوز قول: «إِنْ شِئْتَ» عند طلب شيء من الله، لأن هذا يوحي بعدم الثقة الكاملة بقدرة الله ورحمته.

الدعاء بالاستثناء يقلل من عزم الإنسان وإيمانه بأن الله قادر على إعطاء المطلوب.

المحرر الثاني: بيان العلة في ذلك

التفسير:

الله لا يُكره على شيء ولا يحتاج إلى مشروعية، وكل شيء بيده.

قول: «إِنْ شِئْتَ» يشبه التردد في الطلب أو الاستثناء، وهذا غير جائز عند مخاطبة الله.

المحور الثالث: قوله: «لِيُعْزَمَ الْمَسْأَلَةُ»

التفسير:

المراد: أن المسلم يجب أن يتيقن ويعزم في طلب حاجته من الله دون تردد أو تقليل من عظمة الدعاء.

الإصرار والعزم في الدعاء دليل على الثقة واليقين بالله.

المحور الرابع: إعظام الرغبة

التفسير:

عند طلب النعم من الله، يجب إظهار عظيم الرغبة والإلحاح في الطلب. هذا يعكس خشوع العبد واعتماده على الله في جميع الأمور.

المحور الخامس: التعليل لهذا الأمر

التفسير:

الله كريم وعظيم، لا يتعاضمه شيء أعطاه. إذا دعا الإنسان بإلحاح وعزم، فإن هذا لا يقلل من عظمة الله بل يعكس إيمان العبد بقدرته وعدله.

المسائل المستفادة:

- ١- النهي عن الاستثناء في الدعاء بكلمة «إِنْ شِئْتَ».
- ٢- التأكيد على علة النهي: لأن الله لا يُكره على شيء وكل شيء بيده.
- ٣- وجوب العزم في الدعاء وعدم التردد.
- ٤- إعظام الرغبة والإلحاح في طلب النعم من الله.
- ٥- التعليل: الله لا يتعاضمه شيء أعطاه، والإلحاح في الدعاء يزيد من يقين العبد بالله.

باب لا يقول: عبدي وأمتي

فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمُ رَبَّكَ، وَصَيَّ رَبَّكَ، وَلَيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَمَّتِي، وَلَيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَغُلَامِي»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن قول: (عَبْدِي وَأَمَّتِي).

الثانية: لا يقول العبد: (رَبِّي)، ولا يقال له: (أَطْعِمُ رَبَّكَ).

الثالثة: تعليم الأول قول: (فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَغُلَامِي).

الرابعة: تعليم الثاني قول: (سَيِّدِي وَمَوْلَايَ).

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (١٥).

شرح باب لا يقول: عبدي وأمتي

✍ نص الباب:

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يَقُولُ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمُ رَبَّكَ، وَصِيَّ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَمَّتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَغَلَامِي».

✍ محاور الشرح:

المحرر الأول: النهي عن قول «عَبْدِي وَأَمَّتِي»

◈ التفسير:

النهي هنا يتعلق باللفظ الذي يجعل الإنسان أو غيره يتخذ تعبيراً فيه تقليل أو إساءة للذات الإلهية أو استعمال ألفاظ العبودية بحق المخلوق بدل الله. قول: «عَبْدِي» أو «وَأَمَّتِي» قد يوحي باعتبار الخلق مالِكاً أو سيِّداً، وهو غير جائز.

المحرر الثاني: لا يقول العبد: «رَبِّي»، ولا يقال له: «أَطْعِمُ رَبَّكَ»

◈ التفسير:

هذه ألفاظ خاطئة لأنها تجاوزت في التعبير عن العلاقة بين العبد وربّه. ينبغي أن يكون الاحترام والتقدير في اللفظ دون إخلال بمعنى التوحيد.

المحرر الثالث: تعليم الأول قول: «فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَغَلَامِي»

◈ التفسير:

عندما يتحدث العبد عن نفسه أو أولاده، يجب أن يصفهم باللفظ المناسب

الذي يحقق الأدب والاحترام، مثل: «فَتَايَ» و«فَتَاتِي» و«غَلَامِي»، بدل أن يقول: «أَمَّتِي» أو «عَبْدِي».

المحور الرابع: تعليم الثاني قول: «سَيِّدِي وَمَوْلَايَ» ♦ التفسير:

إذا كان أحدهم يتحدث عن ربه أو معلمه أو من له حق الولاية، يجب أن يستعمل ألفاظ الاحترام والتقدير مثل: «سَيِّدِي» و«مَوْلَايَ».

هذا تعليم عملي للالتزام بالتقدير اللغوي الصحيح والابتعاد عن التعبيرات التي تشبه الشرك أو التقليل من عظمة الله.

المحور الخامس: التنبيه للمراد ♦ التفسير:

المراد من هذا الحديث: تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ. فكل لفظ يعبر عن العبودية أو السلطان يجب أن يكون في موضعه الصحيح: الله وحده هو المعبود والرب، والخلق ليس لهم ما يختص بالله. الهدف: تنقية لغة المسلم من ألفاظ قد تحمل معنى شركي أو غير لائق بالله.

المسائل المستفادة:

١- النهي عن قول: «عَبْدِي وَأَمَّتِي» لما فيه من خطأ في التعبير عن العلاقة بين العبد وربّه.

٢- عدم استخدام العبد لكلمة «رَبِّي» في غير موضعها، وعدم قول: «أَطْعِم رَبَّكَ» لأي مخلوق.

٣- تعليم العبد وصف ذريته بكلمات مثل: «فَتَايَ وَفَتَاتِي، وَغُلَامِي».

٤- تعليم احترام الآخرين في ألفاظهم مثل: «سَيِّدِي وَمَوْلَايَ».

٥- التنبيه على تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ، وعدم المساس بعظمة الله بالكلمات.

باب لا يرد من سأل الله

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»^(١)، رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

فيه مسائل:

الأولى: إعادة من استعاذ بالله.

الثانية: إعطاء من سأل بالله.

الثالثة: إجابة الدعوة.

الرابعة: المكافأة على الصنعة.

الخامسة: أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه.

السادسة: قوله: (حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ).

(١) أخرجه أحمد (٩٩/٢)، وأبو داود (١٦٧٢)، والنسائي في «المجتبى» (٨٢/٥)، وصححه

الألباني في «الصحيحة» (٢٥٤)، والوادعي في «الصحيح المسند» (٥٨٧/١).

شرح باب لا يرد من سأل بالله

نص الباب:

حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَفَّيْتُمُوهُ».

محاوِر الشرح:

المحرر الأول: إعادة من استعاذ بالله

التفسير:

إذا جاء شخص يطلب العون أو الحماية بـ (أعوذ بالله)، يجب أن نستجيب له بما نستطيع، أو بالدعاء له.

هذا إظهار للرحمة والتعاون على الخير، وتحقيق لحق الله في الاستعاذة.

المحرر الثاني: إعطاء من سأل بالله

التفسير:

إذا طلب أحد شيئاً مبروراً مستعيناً بالله، ينبغي إعطاؤه ما طلب حسب القدرة.

هذا يدل على تقدير الله ومنهجات الدعاء، ويؤكد على أن الله وسيلة لتلبية الحوائج.

المحور الثالث: إجابة الدعوة

♦ التفسير:

الدعوة التي يطلب بها شخص خيراً، سواء كان لله أو للناس، يجب أن نلبّيها إذا استطعنا.

هذا يشمل الدعاء العام والمناصحة أو طلب المعونة.

المحور الرابع: المكافأة على الصنيعة

♦ التفسير:

من أحسن إليكم معروفاً، يجب مكافأته على قدر ما فعل.
المكافأة دليل على تقدير المعروف وتحقيق الشكر له.

المحور الخامس: الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه

♦ التفسير:

إذا لم تجدوا ما يكافئ الشخص به، الدعاء له هو الوسيلة الشرعية للمكافأة.
هذا يظهر أن الثواب لا يقتصر على المال أو العمل المادي، بل يشمل الدعاء والنية الصالحة.

المحور السادس: قوله ﷺ: «حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ»

♦ التفسير:

المراد أن يشعر الإنسان بالاطمئنان والرضا بعد أن أتم واجب المكافأة.
سواء كان ذلك بالمكافأة المادية أو بالدعاء، يكون قد أكمل حقه وحقق الشكر والجزاء.

المسائل المستفادة:

- ١- إعاذة من استعاذ بالله واجبة ويكون بالدعاء أو المعونة حسب القدرة.
- ٢- إعطاء من سأل بالله من الحقوق المستطاعة.
- ٣- إجابة الدعوة سنة مؤكدة.
- ٤- مكافأة من أحسن إليك معروفًا واجبة حسب القدرة.
- ٥- الدعاء وسيلة لمكافأة من لا تقدر عليه.
- ٦- الإحساس بالتمام والرضا عند إتمام المكافأة واجب.

باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ، إِلَّا الْجَنَّةُ»، رواه أبو داود^(١).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

الثانية: إثبات صفة الوجه.

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧١)، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (ص ١٣١-١٣٢).

شرح باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة

✍ نص الباب:

حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ، إِلَّا الْجَنَّةُ».

✍ محاور الشرح:

المحرر الأول: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب

♦ التفسير:

المقصود بـ «بِوَجْهِ اللَّهِ»، أي: طلب شيء موافقاً لرضا الله، يكون الهدف منه غاية سامية وروحية، لا دنيوية فحسب.

لا يجوز أن يسأل الإنسان بوجه الله من أجل شهوة أو مصلحة دنيوية فقط، بل يجب أن يكون الطلب متصلاً بطاعة الله وطلب مرضاته.

هذا يظهر تعظيم الربوبية والغاية من الدعاء، فكل طلب ينبغي أن يكون في إطار رضا الله.

المحرر الثاني: إثبات صفة الوجه

♦ التفسير:

قوله: «بِوَجْهِ اللَّهِ» يدل على إثبات صفة الوجه لله عَزَّ وَجَلَّ.

المقصود بذلك: وجه الله حقيقة له من صفاته الخاصة، لا يُشبه وجوه المخلوقين، ولا يُفهم على صورة جسدية.

هذا التذكير يحفظ توحيد الله ويميز بين صفات الله وصفات المخلوقين.

المسائل المستفادة:

- ١- النهي عن أن يسأل الإنسان بوجه الله إلا لغرض سامٍ وغاية مرضية عند الله.
- ٢- إثبات صفة الوجه لله تعالى، مع التنزيه عن التشبيه بالمخلوقين.

باب ما جاء في اللو

وقول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٦٨].
 فِي الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَحْرَضَ عَلِيٌّ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعْنَى بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزَنَّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية: النهي الصريح عن قول: لو، إذا أصابك شيء.

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان.

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله.

السادسة: النهي عن ضد ذلك وهو العجز.

(١) قطعة من حديث رواه مسلم (٢٦٦٤)، وقد اختصره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ.

شرح باب ما جاء في اللو

✍ نص الباب:

📖 الآيات والأحاديث:

١- قول الله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَهُنَا﴾ [سورة آل

عمران: ١٥٤].

٢- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٦٨].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أَخْرَضَ عَلِيٌّ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعَيْنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزَنَّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ».

✍ محاور الشرح:

المحور الأول: تفسير الآيتين في آل عمران

الآيتان تشيران إلى الندم بعد وقوع الحدث، حيث يقول الإنسان: «لو فعلت كذا لكان أفضل».

في سياق الآيات، كان بعض المنافقين أو العاجزين يحاولون تبرير تقصيرهم أو الظهور بمظهر الأسف بعد وقوع القتل أو الهزيمة.

الله تعالى يُظهر أن هذا القول لا ينفع ولا يغير الواقع، وأن الندم بعد وقوع الحدث لا يُقبل كعذر.

المحور الثاني: النهي الصريح عن قول (لو) عند وقوع الضرر

الحديث النبوي يحذر من استخدام (لو) عند وقوع المصائب، مثل: (لو فعلت كذا لما حدث هذا).

هذه العبارة تعكس التحسر على ما فات، وهو أمر غير مشروع روحياً.

المحور الثالث: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان

الشيطان يستغل قول: (لو) لإدخال الهم والندم في القلب، ويشغل الإنسان عن الرضا بقدر الله.

هذا النوع من التفكير يفتح مجالاً لليأس والعجز النفسي، ويُبعد الإنسان عن اتخاذ الخطوات العملية الصحيحة في المستقبل.

المحور الرابع: الإرشاد إلى الكلام الحسن

بدلاً من (لو)، يُرشد الإسلام إلى قول الحقائق الواقعية: «قدر الله وما شاء فعل».

هذا يعزز الرضا والتسليم لقضاء الله ويبعد القلب عن الحسرة العقيمة.

المحور الخامس: الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله

الحديث يحث الإنسان على السعي والعمل: «أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ».

هذا يعني اتخاذ الأسباب والعمل على تحقيق المصالح الدنيوية والدينية.

مع الاستعانة بالله، أي طلب التوفيق والنجاح من الله تعالى، مع عدم الاعتماد على الحظ وحده.

المحور السادس: النهي عن ضد ذلك، وهو العجز

يحذر الحديث من الاعتماد على العجز أو الاستسلام بعد وقوع المصائب. العجز يؤدي إلى الكسل واليأس النفسي، بينما التسليم للقدر مع العمل المستمر يُعد خلقاً محموداً.

✍ الخلاصة العملية للباب:

- ١- لا تحسر على ما فات بقول (لو).
- ٢- اجعل كلامك يعبر عن الرضا والتسليم: «قدر الله وما شاء فعل».
- ٣- استعن بالله في كل أمورك، واعمل على ما ينفعك.
- ٤- ابتعد عن العجز واليأس، فهو مدخل لوسوسة الشيطان.
- ٥- التركيز على الواقع والعمل هو الطريق للتقدم والنجاح.

باب النهي عن سب الرياح

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أَمَرْتُ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أَمَرْتُ بِهِ»، صححه الترمذي (١).

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن سب الرياح.

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة.

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر.

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥٢)، وغيره، وصححه الألباني مرفوعاً في «صحيح الجامع» (٧١٩٢)،

والوادعي في «الصحيح المسند» (٣١/١)، وقال: روي مرفوعاً وموقوفاً فيحمل على

الوجهين.

شرح باب النهي عن سب الريح

نص الباب:

عن أبي رَجُلٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أَمَرْتُ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أَمَرْتُ بِهِ».

محاوِر الشرح:

المحرر الأول: النهي عن سب الريح

الإسلام يحث على ترك السب أو اللعن للظواهر الطبيعية، حتى ولو كانت مزعجة أو ضارة.

السبب: هذه الأشياء مخلوقات الله، ولا ينبغي أن يُحاسب الإنسان أو يسيء إليها بالكلام الجارح.

المحرر الثاني: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره

إذا واجه الإنسان ما يكرهه، يُستحب أن يدعو الله ويطلب الخير بدل الشكوى أو السب.

الدعاء بهذا الأسلوب يعكس الاعتماد على الله والتسليم لحكمته.

المحرر الثالث: الإرشاد إلى أنها مأمورة

الريح قد تُستخدم لتحقيق أمر الله سواء كان خيراً أو شراً. على الإنسان أن يعلم أن الريح تسير وفق مشيئة الله، وأن السوء الذي يحصل منها ليس بفعلها، بل بتقدير الله.

المحور الرابع: أنها قد تؤمر بخير، وقد تؤمر بشر

الرياح تُستعمل أحياناً لإرسال المطر أو إزالة الغبار والأذى → خير.

وقد تُستعمل لإتلاف الزرع أو الهدم → شر.

المسلم يدعو الله ليحفظه من الشر ويستفيد من الخير دون أن يسب أو يلعن

ما هو من خلق الله.

الخلاصة العملية للباب:

- ١- لا تسب الرياح أو غيرها من الظواهر الطبيعية.
- ٢- إذا رأيت ما يكرهه قلبك، فادعُ الله بالخير واطلب الحماية من الشر.
- ٣- اعلم أن الرياح أداة بأمر الله، قد تؤمر بالخير وقد تؤمر بالشر.
- ٤- الالتزام بهذا الدعاء يربي التسليم لله ويُبعد السخط واللوم على المخلوقات.

باب قول الله تعالى:

﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٥]

وقوله تعالى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة الفتح: ٦].

قال ابن القيم في الآية الأولى: «فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَفُسِّرَ بِظَنِّهِمْ أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِقَدْرِ اللَّهِ وَحُكْمَتِهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ، وَأَنْ يُظْهِرَهُ اللَّهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَهَذَا هُوَ ظَنُّ السَّوْءِ الَّذِي ظَنَّهُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُشْرِكُونَ فِي (سُورَةِ الْفَتْحِ)، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنُّ السَّوْءِ؛ لِأَنَّهُ ظَنُّ غَيْرٍ مَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَمَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ وَوَعْدِهِ الصَّادِقِ، فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُدِيلُ الْبَاطِلَ عَلَى الْحَقِّ إِدَالَةً مُسْتَقَرَّةً يَضْمَحِلُّ مَعَهَا الْحَقُّ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ مَا جَرَى بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، أَوْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَرُهُ بِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا الْحَمْدَ، بَلْ زَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ لِمَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ فَـ ﴿ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [سورة ص: ٢٧].

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بغيرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَمُوجِبَ حِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ.

فَلْيَعْتَنِ اللَّيْبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا، وَلْيَتُبْ إِلَى اللَّهِ، وَيَسْتَغْفِرُهُ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوِّءِ، وَلَوْ فَتَشَّتْ مَنْ فَتَشَّتْهُ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعْتَبًا عَلَى الْقَدْرِ وَمَلَامَةً لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْبِرٌ، وَفَتَّشَ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ؟»
فَإِنْ تَنَجَّ مِنْهَا تَنَجَّ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالَكَ نَاجِيًا
انتهى كلامه رحمه الله تعالى^(١).

✍ فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر.

الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.

(١) «زاد المعاد» (٣/٢٠٥)، والبيت المذكور من كلام الفرزدق، وقد ساقه المؤلف ر هذا

الكلام بتصرف كثير وتقديم وتأخير.

شرح باب قول الله تعالى:

﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤]

نص الباب:

قوله تعالى: ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤] الآية.

وقوله: ﴿الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ﴾ [سورة الفتح: ٦].

قال ابن القيم في تفسير الآية الأولى: «فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل، وفسر بأن ما أصابه لم يكن بقدر الله وحكمته. ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو ظن السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح. وإنما كان هذا الظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعد الصديق».

المحاور:

المحور الأول: تفسير آية آل عمران

الظن السيء بالله يخرج عن الإيمان ويقرب من الكفر، ويظهر في الظن بأن أمر الله سيضمحل أو أن القضاء والقدر ليس بحكمة. المنافقون والمشركون ظنوا أن الله لن ينصر رسوله وأن أمر الدين لن يظهر.

المحور الثاني: تفسير آية الفتح

هذه الآية تأتي لتبين حقيقة الظن السيء ومواجهته بالحقيقة:
القتل مكتوب لمن قُدر له،

الله يمحص القلوب ويختبر ما فيها من السرائر،
الأمر كله لله، وهو العليم بذات الصدور.

المحور الثالث: الإخبار بأن هذه الأنواع من الظن لا تحصر

الظن السيء يظهر بأشكال متعددة: كالكفر بالقدر، وإنكار الحكم الإلهي،
والاعتراض على ما يصيب الناس.

معظم الناس معرضون لذلك في شؤونهم الشخصية وفيما يحدث للآخرين.

المحور الرابع: النجاة منه تكون بمعرفة أسماء الله وصفاته ومعرفة النفس

لا يسلم من الظن السيء إلا من عرف الله وعرف حكمته وأسمائه وصفاته.
التعرف على النفس والقدرة على محاسبتها يساعد على التخلص من الظن
السيء.

التوبة والاستغفار من هذا الظن أمر لازم لكل مؤمن ليحفظ قلبه من الظن
السيء بالله.

الرسائل العملية للباب:

- ١- الحذر من ظن السوء بالله في كل شؤون الحياة.
- ٢- الثقة بأن كل ما يقدره الله هو بحكمة ومصلحة.

٣- مراقبة النفس والتدرب على محاسبتها والاعتراف بالظن السيء إن وجد.

٤- الاستغفار والتوبة وسلوك الطريق القويم لتحسين القلب من الظن السيء.

٥- معرفة أسماء الله وصفاته تمنح المؤمن يقيناً ويبعده عن الظن السيء.

باب ما جاء في منكري القدر

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: «وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، ثُمَّ اسْتَدَلَ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ لِإِبْنِهِ: «يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعَمَ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي»^(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم (٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، وأحمد (٣١٧/٥) مختصراً، وصححه الألباني في تحقيقه لـ

«شرح الطحاوية» (ص ٢٦٤)، والوادعي في «الجامع الصحيح في القدر» (١٠٢).

(٣) أخرجه أحمد (٣١٧/٥)، وهي صحيحة بشواهدها.

وَفِي رِوَايَةِ لِابْنِ وَهَبٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرُّهُ أَخْرَقَهُ اللَّهُ بِالنَّارِ»^(١).

وَفِي الْمُسْنَدِ وَالسُّنَنِ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبِي بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدَّثَنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، فَقَالَ: «لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنَ أَهْلِ النَّارِ»، قَالَ: فَاتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان به.

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به.

الرابعة: الإخبار بأن أحدا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.

(١) أخرجه ابن وهب في «القدر» (٢٦).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٢/٥)، وأبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وصححه الألباني في «تخريج السنة لابن أبي عاصم» (ص ١٠٩)، وحسنه الوادعي في «الصحيح المسند» (١/٢٩٧)،

وهو موقوف من حديث أبي بن كعب وابن مسعود وحذيفة بن اليمان، ومرفوع من حديث زيد بن ثابت.

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله.

السادسة: أنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى قيام الساعة.

السابعة: براءته ﷺ ممن لم يؤمن به.

الثامنة: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء.

التاسعة: أن العلماء أجابوه بما يزيل الشبهة، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول

الله ﷺ فقط.

شرح باب ما جاء في منكري القدر

✍ نص الباب:

يتناول هذا الباب منكر القدر والإيمان بالقضاء والقدر، مع الاستشهاد بأحاديث منسوبة للصحابة والتابعين:

قال ابن عمر رضي الله عنهما: «وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عُمَرَ بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، ثُمَّ اسْتَدَلَ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ».

قال عبادة بن الصامت لابنه: «يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ...».

وورد في الأحاديث عن أول ما خلق الله: القلم، فكتب كل شيء إلى يوم القيامة.

✍ المحاور:

المحور الأول: كيفية الإيمان بالقدر

■ الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، يشمل:

- ١- تصديق أن الله خلق كل شيء بمشيئته وحكمته.
- ٢- الإيمان بأن كل ما أصاب الإنسان مكتوب له وأن ما لم يصبه لم يكن له.
- ٣- تصديق الخير والشر وكل الأحداث بأنها جزء من علم الله وقدره.

المحور الثاني: فرض الإيمان بالقدر

الإيمان بالقدر واجب على كل مسلم، فَمَنْ لم يؤمن به لم يُقبل عمله، وَمَنْ مات على غيره ليس من أهل الإيمان الصحيح.

المحور الثالث: إحباط العمل لمن لم يؤمن بالقدر

كما ذكر ابن عمر وعبد الله بن كعب، لو أنفق المرء أضعاف الأموال في سبيل الله، فلن يُقبل منه شيء ما لم يؤمن بالقدر.

وهذا يشير إلى أهمية العقيدة الصحيحة قبل أي عمل صالح.

المحور الرابع: ضرورة الإيمان للتمتع بطعم الإيمان

كما قال عبادة بن الصامت: لا يجد المؤمن طعم الإيمان إلا إذا آمن بالقدر. أي أن تصديق القضاء والقدر يعطي القلب راحة وثقة وطمأنينة.

المحور الخامس: أول ما خلق الله القلم

أول ما خلق الله: القلم، فأمر بالكتابة، وكتب الله المقادير كلها إلى يوم القيامة. هذا يدل على ثبات القدر ومشئته المطلقة.

المحور السادس: جريان المقادير إلى يوم القيامة

جميع ما يحدث من خلق الله مكتوب في اللوح المحفوظ منذ بداية الخليقة حتى قيام الساعة، وهو ما يسمى علم الله الأزلي بالقدر.

المحور السابع: براءة النبي ﷺ ممن لم يؤمن بالقدر

حديث ابن وهب: «من لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار»: يدل على خطورة إنكار القدر وعقوبة من لم يؤمن به.

المحور الثامن: عادة السلف في إزالة الشبهة بسؤال العلماء

الصحابة والتابعون كانوا يسألون العلماء عن القدر لإزالة الشبهة، مثل ما رواه ابن الديلمي.

المحور التاسع: نسب الكلام إلى النبي ﷺ

جميع الشروح والتوضيحات كانت مأخوذة عن النبي ﷺ لضمان صحة العقيدة والتوجيه الصحيح.

خلاصة الرسائل العملية للباب:

- ١- الإيمان بالقدر جزء لا يتجزأ من الإيمان بالله واليوم الآخر.
- ٢- التصديق بالقضاء والقدر شرط لقبول الأعمال الصالحة.
- ٣- من أنكر القدر أو لم يؤمن به، أعماله تُحبط ويفتقد طعم الإيمان الحقيقي.
- ٤- التمسك بالقدر يمنح المؤمن طمأنينة وقوة في مواجهة الأحداث.
- ٥- الرجوع للعلماء لفهم الأمور الدقيقة سنة حسنة للسلف الصالح.

باب ما جاء في المصورين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً»،
أَخْرَجَاهُ ^(١).

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ خَلْقَ اللَّهِ» ^(٢).

وَلَهُمَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ» ^(٣).
وَلَهُمَا عَنْهُ مَرْفُوعًا: «مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُفِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ» ^(٤).

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ قَالَ: قَالَ لِي عَلِيٌّ: «أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ» ^(٥).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٥٥٩)، وَمُسْلِمٌ (٢١١١).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٩٥٤)، وَمُسْلِمٌ (٩٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٢٢٥)، وَمُسْلِمٌ (٩٩).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٢٢٥)، وَمُسْلِمٌ (١٠٠).

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٩٦٩).

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ الشديد في المصورين.

الثانية: التنبيه على العلة، وهو ترك الأدب مع الله لقوله: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي).

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجزهم، لقوله: (فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ شَعِيرَةً).

الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذابا.

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفسا يعذب بها المصور في جهنم.

السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح.

السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.

شرح باب ما جاء في المصورين

نص الباب:

يتناول هذا الباب تحريم التصوير والمصورين وما جاء في عذابهم، مستندًا إلى عدة أحاديث صحيحة:

① عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً».

② عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ خَلْقَ اللَّهِ».

③ عن ابن عباس: «كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

«مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُفِّ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ».

٤- عن أبي الهياج عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْ لَا تَدْعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ».

المحاور:

المحرر الأول: التغليظ الشديد في حق المصورين

كل الأحاديث تؤكد على شدة العقاب للمصورين سواء في الدنيا أو الآخرة. من صور أي شيء يشابه خلق الله فهو مستحق للعذاب الشديد.

المحور الثاني: العلة في التحريم

السبب: ترك الأدب مع الله سبحانه وتعالى.

مصور يسعى لمضاهاة خلق الله، وهذا يدل على تحدٍ لقدرته وعظمته.

المحور الثالث: تنبيه على عجز البشر أمام خلق الله

قول الله تعالى: «فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً». يشير

إلى استحالة تقليد الله أو مضاهاته مهما عظمت المهارة.

المحور الرابع: التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً

ورد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ خَلْقَ اللَّهِ»،

أي: أن المصورين يحتلون مرتبة خاصة في شدة العقاب بسبب تحديهم لخلق الله.

المحور الخامس: عذاب المصور بالصورة التي صنعها

كل صورة صوّرها المصور، تخلق لها نفس في النار يعذب بها المصور.

هذا يظهر خطورة محاكاة خلق الله وعظم العقوبة.

المحور السادس: كلفة النفخ في الصور

المصور يكلف يوم القيامة أن ينفخ الروح في الصور التي صنعها،

ولكنه عاجز عن ذلك، مما يزيد من عذابه.

المحور السابع: الأمر بطمس الصور

عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ».

يشير إلى وجوب إزالة الصور المحرمة والقبور المشرفة لمنع الوقوع في

الشرك أو المعصية.

المسائل العملية المستفادة:

- ١- تحريم التصوير بأي نوع يضاهيه خلق الله.
- ٢- المصور معرض لعذاب شديد يوم القيامة.
- ٣- العبرة في أن البشر عاجزون عن خلق أي شيء مهما حاولوا.
- ٤- وجوب إزالة الصور المشابهة لخلق الله عند الإمكان.
- ٥- التحذير من رفع شأن الصور أو العبادة لها.
- ٦- التحذير من تزيين القبور بما يرفعها عن حالها الطبيعي.

باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٨٩].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلْسَّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ»، أخرجاه ^(١).

عَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أَشْيَمُطُ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ بِضَاعَةً، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ»، رواه الطبراني بسند صحيح ^(٢).

وفي الصحيح عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ»، -قَالَ عِمْرَانُ: فَلَا أَذْرِي أَذْكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا؟- ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا، يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْدِرُونَ وَلَا يُؤْفُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ» ^(٣).

وَفِيهِ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ» ^(٤).

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦).

(٢) أخرجه الطبراني (٦/ ٦١١١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٧٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢١٢).

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: «كَانُوا يَضْرِبُونَنا عَلَى الشَّهَادَةِ وَالْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ»^(١).

فيه مسائل:

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعي.

الخامسة: ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون.

السادسة: ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة، أو الأربعة، وذكر ما يحدث بعدهم.

السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون.

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

(١) أخرجه بهذا اللفظ البخاري عقب رقم (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

شرح باب ما جاء في كثرة الحلف

✍ نص الباب:

يتناول هذا الباب الكثرة في الحلف وأثرها على المعاملات وحفظ الأيمان، مستندًا إلى عدة نصوص من القرآن والسنة:

① الآية الكريمة: ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٨٩].

② أحاديث عن النبي ﷺ:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْحَلْفُ مَنْفَقَةٌ لِلْسَّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ».

عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: أُشْمِطُ زَانَ، وَعَائِلُ مُسْتَكْبِرٍ، وَرَجُلٌ جَعَلَ اللَّهُ بِضَاعَةً، لَا يَشْتَرِي إِلَّا بِيَمِينِهِ، وَلَا يَبِيعُ إِلَّا بِيَمِينِهِ».

عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».... ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا، يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْدَرُونَ وَلَا يُؤْفُونَ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ السَّمَنُ».

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينُهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ».

المحور الأول: حفظ الأيمان والالتزام بها

الآية الكريمة تأمر المسلمين بحفظ الأيمان وعدم التهاون فيها.

الالتزام باليمين من صفات الأمانة والصدق في المعاملات.

المحور الثاني: أثر كثرة الحلف

الحلف منقبة للسلعة وممحنة للبركة، أي: تضعيـع البركة في الكسب.

تسبب نفقة زائدة على الإنسان بدون فائدة.

يدل على أن الحلف يجب أن يكون بحكمة، وليس عادة مفرطة.

المحور الثالث: وعيد من يجعل البيع والشراء باليمين فقط

الرجل الذي لا يشتري إلا بيمينه ويبيع إلا بيمينه:

له وعيد شديد وعذاب أليم، لأن ذلك يشير إلى زيادة التوثيق غير الضروري

وانعدام الثقة.

المحور الرابع: ذم من يشهد ولا يستشهد

النبي ﷺ ذكر أن من بعد القرون الصالحة يظهر قوم يشهدون ولا

يستشهدون، أي:

يطلقون الأيمان والشهادات دون التزام حقيقي.

يظهر ضعف الأمانة والخيانة في المعاملات.

المحور الخامس: الإشادة بالقرون الصالحة

النبي ﷺ أثنى على القرون الثلاثة أو الأربعة الأولى:

بسبب صدقهم، وأمانتهم، وحفظهم للعهد.

التحذير من الانحدار في الأجيال اللاحقة حيث يظهر الغش وعدم الالتزام.

المحور السادس: تعليم الصغار على الأمانة

كان السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد ليعلموهم حفظ الأيمان والصدق منذ الصغر.

أهمية غرس قيم الأمانة في نفوس الصغار منذ البداية.

المسائل العملية المستفادة:

- ١- حفظ الأيمان واليمين أمر واجب على كل مسلم.
- ٢- الحلف بكثرة مضرة ويجب الاعتدال فيه.
- ٣- البيع والشراء لا يكون إلا بالصدق والوفاء دون تكلف باليمين.
- ٤- الذنب يعظم إذا قويت الأسباب مع قلة الالتزام.
- ٥- ذم الذين يحلفون ولا يستحلفون، أي من يظهر المظاهر دون جوهر الإيمان.

٦- الثناء على الأجيال الصالحة يعكس أهمية التربية الصالحة.

٧- أهمية تعليم الصغار حفظ الأيمان والتزام الشهادة الصحيحة.

٨- التنبيه على التحذير من الغش والخيانة في المعاملات.

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [سورة النحل: ٩١].

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْ صَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، فَقَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - فَأَيُّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ، فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ، يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَأَلَهُمُ الْحِزْيَةُ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ، وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، فَلَا تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللَّهِ، وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَلَكِنْ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى

حُكْمِ اللَّهِ، فَلَا تُنْزِلُهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلُهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لَا، رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١).

فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه، وذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً.

الثالثة: قوله: (اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ).

الرابعة: قوله: (قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ).

الخامسة: قوله: (اسْتَعِزُّ بِاللَّهِ وَقَاتِلْهُمْ).

السادسة: الفرق بين حكم الله وحكم العلماء.

السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا.

(١) أخرجه مسلم (١٧٣١)، وقد تصرف المؤلف فيه تصرفاً يسيراً.

شرح باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

نص الباب:

يتناول هذا الباب ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين عند الحروب والعهد، مستنداً إلى القرآن والسنة:

① الآية الكريمة: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ [سورة النحل: ٩١].

② حديث بريدة رضي الله عنه: كَانَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْ صَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، فَقَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمُثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ...».

المحاور:

المحور الأول: الفرق بين الذمة

ذمة الله وذمة نبيه:

هي العهود والحقوق التي تعهدها الله أو أمر بها رسوله، لا يجوز التهاون فيها.

تحقق حماية الدين والمجتمع الإسلامي.

ذمة المسلمين:

هي حقوق الأفراد أو الجماعات عند المسلمين، يمكن التفاوض فيها أو التعامل بحكمة عند الضرورة، إذا كان تحقيق ذمة الله وذمة نبيه أصعب.

المحور الثاني: الإرشاد إلى أقل الضررين

في حالات الحصار أو الخطر، يُرشد القائد إلى اختيار ما هو أقل ضررًا على المسلمين.

مثال: حماية ذمة المسلمين أفضل من خرق ذمة الله وذمة نبيه.

المحور الثالث: الجهاد تحت اسم الله

- «اغزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»:

دعوة للجهاد بصدق، ونية خالصة لله.

- «قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ»:

التحديد بمن يُقاتل وفق نصوص الشرع، وليس من أجل مصالح شخصية أو بغير حق.

الامتناع عن الغل والغدر والقتل العشوائي:

المحافظة على القيم الإنسانية حتى في الحرب.

المحور الرابع: الدعوة قبل القتال

دعوة العدو إلى ثلاث خصال:

١- التفاوض للسلام أو وقف العدوان.

٢- الدعوة للإسلام.

٣- التحول إلى دار المهاجرين (الهجرة).

القبول عند الإجابة واجب، فالتعامل بالحكمة والرحمة قبل القتال.

المحور الخامس: الفرق بين حكم الله وحكم البشر

القيادة عند الحاجة قد تتخذ حكمًا مؤقتًا:

القائد لا يعلم يقينًا هل يوافق حكم الله أم لا، لكن يُرشد إلى اتخاذ أقل

الضررين.

الفرق بين حكم الله المطلق وحكم القائد في الظروف الواقعية.

المحور السادس: التوبة وحفظ العهد

الالتزام بعهود الله وذمة نبيه واجب على الجميع.

خيانة هذه الذمم أكبر من خيانة حقوق بشرية عادية.

المسائل العملية المستفادة:

- ١- التمييز بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين.
- ٢- اختيار أقل الضررين عند مواجهة التحديات أو الحروب.
- ٣- التأكيد على الجهاد بسم الله في سبيل الله والالتزام بأداب الحرب.
- ٤- دعوة العدو للسلام والإسلام قبل استخدام القوة.
- ٥- التفريق بين حكم الله المطلق وحكم البشر عند الحاجة.
- ٦- عدم خرق ذمة الله وذمة نبيه تحت أي ظرف.
- ٧- الحرص على الأمانة والوفاء بالعهود في كل الأحوال.
- ٨- تطبيق روح الشريعة في الميدان العملي بمرونة وحكمة.

باب ما جاء في الإقسام على الله

عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ عَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ»، رواه مسلم (١).

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ الْقَائِلَ رَجُلٌ عَابِدٌ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ» (٢).

فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألي على الله.

الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شرك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله: (إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ) الخ.

الخامسة: أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢١).

(٢) أخرجه أحمد (٣٢٣/٢)، وأبو داود (٤٩٠١)، وحسنه الألباني في «التعليقات الحسان»

(٨/٢٢١)، والوادعي في «الصحيح المسند» (٣٣٣/٢).

شرح باب ما جاء في الإقسام على الله

نص الباب:

هذا الباب يتناول الإقسام على الله ومنع التآلي على قدرته وغفرانه، مستنداً إلى السنة:

① حديث جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ».

② حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ»، والحديث يصف أثر التآلي على الله بالكلام الباطل.

المحاور:

المحور الأول: التحذير من التآلي على الله

التآلي على الله:

أن يتجرأ الإنسان على تحديد ما يغفر الله أو لا يغفر. أمر محرّم، لأنه يدخل في تقدير علم الله وقدرته.

العبرة:

لا يجوز لأحد أن يقول: (الله لا يغفر فلان)، أو (الله لا يعاقب فلان). كل تقدير لله متروك له وحده، ويُحبط عمل من يتجاوز ذلك.

المحور الثاني: تأثير الكلام

حديث أبي هريرة: «تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْ بَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتُهُ».

الكلام بالباطل في حق الله قد يؤدي إلى فساد الدنيا والآخرة.

العبرة هنا: اللسان أداة عظيمة، والكلمة الخاطئة قد تهلك الإنسان.

المحور الثالث: الغفران والرحمة الإلهية

الله قد يغفر لمن يشاء:

حتى لو ظن الناس أو حددوا شيء ما، الله أرحم بالغفران وأوسع منه.

الغفران الإلهي ليس مرتبطاً بتقدير البشر، بل بما يشاء الله.

المحور الرابع: أمثلة قرب النار والجنة

يشير الحديث إلى أن الكلمة الخاطئة قد تكون أقرب للنار من شراك نعله،

أي: الخطر دائم على الإنسان إذا أساء استخدام لسانه.

بالمقابل، الكلمة الصحيحة قد تقربه من الجنة.

المحور الخامس: إبطال أعمال الآخرين بالكلام الباطل

الرجل الذي تألى على الله وأفتى بالغفران أو العقاب:

يُحْبِطُ عَمَلَهُ.

يعكس أن الله وحده صاحب الحق في الحكم على خلقه.

المسائل العملية المستفادة:

١- التحذير من التألي على الله في الغفران والعقاب.

٢- حذر من الكلام الباطل الذي يخص الله وأوامره.

- ٣- توضيح أن الغفران بيد الله وحده، وليس للبشر أي حق في تقريره.
- ٤- الكلمة السيئة قد تهلك الدنيا والآخرة، والكلمة الطيبة تقرب من الجنة.
- ٥- إبطال أعمال من يتجاوز على حكم الله أو يفتي بما ليس له حق فيه.
- ٦- أهمية مراقبة اللسان وتجنب التكلم بغير علم أو استحقاق.
- ٧- الاعتراف بقدرة الله ومشيبته في كل الأمور، والاعتراف بالرحمة الإلهية.

باب لا يستشفع بالله على خلقه

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، نِهَكْتَ الْأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكْتَ الْأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ اللَّهَ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، وَنَسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! سُبْحَانَ اللَّهِ!» فَمَازَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِ أَصْحَابِهِ؛ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ»، وذكر الحديث، رواه أبو داود ^(١).

فيه مسائل:

الأولى: إنكاره على من قال: (نَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ).

الثانية: تغييره تغيراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: (وَنَسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ).

الرابعة: التنبيه على تفسير (سُبْحَانَ اللَّهِ!).

الخامسة: أن المسلمين يسألونه الاستسقاء.

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦/ ٢٦٣٩).

شرح باب لا يستشفع بالله على خلقه

نص الباب:

يتناول هذا الباب تحريم الاستشفاع بالله على خلقه، ويستند إلى حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُهَكَّتِ الْأَنْفُسُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَمْوَالُ، فَاسْتَسْقِ اللَّهَ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، وَنَسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! سُبْحَانَ اللَّهِ!» فَمَازَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ؛ ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ شَأْنَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ».

المحاور:

المحور الأول: إنكار النبي ﷺ على الاستشفاع بالخلق

الكلمة المنكرة: (نَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ).

السبب: الاستشفاع يجب أن يكون بالله وحده، وليس على خلقه.

العبرة: الله لا يُسْتَشْفَعُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، والوساطة يجب أن تكون مشروطة بالشرع.

المحور الثاني: أثر هذا الإنكار على الصحابة

تغير وجوه الصحابة: يُظْهِرُ شِدَّةَ اسْتِنْكَارِ النَّبِيِّ ﷺ لِكَلَامِ الْأَعْرَابِيِّ، مِمَّا دَلَّهِمْ عَلَى خَطَرَةِ الاسْتِشْفَاعِ بِالْخَلْقِ.

العبرة: تأثير الأقوال على الحضور دليل على حقانية المنع والتوجيه.

المحور الثالث: الاستثناء في الحديث

النبي لم ينكر على قوله: (نَسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ).

الفرق: هنا الاستشفاع بالنبي نفسه في الدعاء لله جائز إذا كان وسيلة للطلب من الله، وليس على الله نفسه.

العبرة: الاستشفاع بالنبي أو الصالحين للوساطة مع الله جائز ضمن الشرع، ولكن لا يُستشفع بالله على أحد.

المحور الرابع: تفسير (سبحان الله) في هذا الموضع

النبي ﷺ كرر التسبيح: «سُبْحَانَ اللَّهِ! سُبْحَانَ اللَّهِ!».

المعنى: تعظيم شأن الله وتنزيهه عن ما لا يليق به، مثل أن يُستشفع عليه على خلقه.

العبرة: التسبيح وسيلة للتنبيه على عظمة الله وقدرته.

المحور الخامس: استشفاع المسلمين عند الحاجة

مثال الاستسقاء: الأعرابي أراد الاستسقاء من الله بسبب الجوع والضرراء.

النبي ﷺ دلهم على الطريقة الصحيحة: التوسل إلى الله مباشرة أو بالوسائل المشروعة، دون تحميل الله خلقه أو تفويض الأمور إليه عبر أحد.

العبرة: الوسائل مشروعة، ولكن يجب أن تكون ضمن حدود الشريعة وعظمة الله.

المسائل المستفادة:

- ١- تحريم الاستشفاع بالله على خلقه.
- ٢- بيان أثر الكلام المنكر على الحاضرين لتعليمهم.
- ٣- جواز الاستشفاع بالنبي أو الصالحين لدى الله، لكن مع شرط الشرع.
- ٤- تفسير التسبيح كتعظيم لله وتنزيهه عن ما لا يليق به.
- ٥- توجيه المسلمين إلى التوسل والاستعانة بالله مباشرة عند الحاجة، مثل الاستسقاء.

باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد

وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: «انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «السيد الله تبارك وتعالى»، قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجربنكم الشيطان»، رواه أبو داود بسند جيد^(١).

عن أنس رضي الله عنه أن ناساً قالوا: «يا رسول الله: يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد، عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي الذي أنزلني الله عز وجل»، رواه النسائي بسند جيد^(٢).

فيه مسائل:

الأولى: تحذير الناس من الغلو.

الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له: (أنت سيدنا).

الثالثة: قوله: (ولا يستجربنكم الشيطان) مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: (ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي).

(١) أخرجه أحمد (٢٤/٤)، وأبو داود (٤٨٠٦)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧٤)، وصححه

الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٨١/٣)، والوادعي في «الصحيح المسند» (٥٠٠/١).

(٢) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٤٨)، وأحمد (١٥٣/٣)، وصححه الألباني في

«التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (٧١/٩)، والوادعي في «الصحيح المسند» (١٠٣/١).

شرح باب ما جاء في حماية النبي ﷺ

حمى التوحيد وسده طرق الشرك

نص الباب:

يتناول هذا الباب حماية النبي ﷺ للتوحيد وسده طرق الغلو والشرك، ويستند إلى حديثين:

- ① حديث عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْنَا: أَنْتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: «السَّيِّدُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»، قُلْنَا: وَأَفْضَلُنَا فَضْلًا وَأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فَقَالَ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجِرِبَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ».
- ② حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ: يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، فَقَالَ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَهْوِئَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ، عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، مَا أَحَبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّذِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ».

المحاور:

المحور الأول: تحذير الناس من الغلو في النبي ﷺ

الغاية: منع الناس من رفع النبي ﷺ فوق ما أنزله الله.
 الأثر: سداً لطرق الشرك وأي مقدمة لغلو قد يؤدي إلى عبادته.
 العبرة: الوسطية في تكريم النبي ﷺ دون غلو أو تهويل.

المحور الثاني: توجيه الكلام عند التكرير

عندما قيل له: (أنت سيدنا).

النبي ﷺ صحح القول: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ».

المعنى: لا يزيد المديح أو الألقاب عن ما شرعه الله.

العبرة: الالتزام بالحق دون الانجرار وراء المدح المبالغ فيه.

المحور الثالث: التحذير من وساوس الشيطان

قوله: «لَا يَسْتَجِرِّيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ».

رغم أن الوفد لم يقول إلا الحق.

المعنى: الشيطان قد يغري الإنسان بالغلو حتى في الصواب، لذلك وجب

الحذر.

العبرة: الوعي بأن الوسوسة قد تأتي في كل الأمور، حتى الصالحة.

المحور الرابع: تأكيد منزلة النبي ﷺ الحقيقية

قوله ﷺ: «مَا أَحَبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّذِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ».

الغاية: تحديد الحد الشرعي لتكريم النبي ﷺ.

العبرة: محاسبة النفس على المبالغة والتمسك بالحدود الشرعية.

المسائل المستفادة:

- ١- تحذير الناس من الغلو والتشبه بعبادة النبي ﷺ.
- ٢- توجيه من قيل له: أنت سيدنا أو خيرنا إلى القول المشروع.

- ٣- الحرص على عدم الانحراف وراء وسوسة الشيطان حتى في المديح.
- ٤- توضيح النبي ﷺ أنه عبد الله ورسوله، وحديثه يحمي التوحيد من الانحراف.
- ٥- تأكيد منزلة النبي ﷺ كما أنزلها الله، دون مبالغة أو تهويل.

باب ما جاء في قول الله تعالى :

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾

[سورة الزمر: ٦٧].

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ! إِنَّا نَجِدُ: أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة الزمر: ٦٧]»^(١).

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَهْزُؤُنَّ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا اللَّهُ»^(٢).

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ^(٣): «يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ»، أخرجه^(١).

(١) أخرجه البخاري (٤٨١١)، ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١١).

وَلِمُسْلِمٍ عَنْ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعًا: «يَطْوِي اللَّهُ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيَّنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيَّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ السَّبْعَ، ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيَّنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيَّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»^(٢).

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «مَا السَّمَاوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدٍ أَحَدِكُمْ»^(٣).

(١) اعلم وفقك الله أن الحديث مذكور في «الصحيحين وغيرهما» بذكر خمس أصابع، وقد ذكر هنا بست أصابع وبهذا أخرجه أحمد (١/٤٥٧)، والحاصل أن الثابت في الحديث ذكر خمس أصابع، وما عداه فشاذ أو منكر.

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٨٨). **فائدة:** حول لفظة شمال، قال ابن عثيمين رحمته الله في «القول المفيد» (٢/٥٣٤): «إذا كانت لفظة «شمال» محفوظة، فهي عندي لا تنافي «كلتا يديه يمين»، لأن المعنى أن اليد الأخرى ليست كيد الشمال بالنسبة للمخلوق ناقصة عن اليميني، فقال: «كلتا يديه يمين»، أي: ليس فيها نقص.....

وعلى كل، فإن يديه سبحانه اثنتان بلا شك، وكل واحدة غير الأخرى، وإذا وصفنا اليد الأخرى بالشمال، فليس المراد أنها أقل قوة من اليد اليميني، بل كلتا يديه يمين.

والواجب علينا أن نقول: إن ثبتت عن رسول الله ﷺ، فنحن نؤمن بها، ولا منافاة بينها وبين قوله: «كلتا يديه يمين» كما سبق، وإن لم تثبت، فلن نقول بها. اهـ.

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٠/٢٤٦).

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يُونُسُ، أَنبَأَنَا ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ زَيْدٍ: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ».

وَقَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: رَوَاهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حديد أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَانِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»^(١).

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ»، أَخْرَجَهُ ابْنُ مَهْدِيٍّ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ عَنْ زُرِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ^(٢).

ورواه بنحوه عن المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله.

قَالَهُ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: وَلَهُ طُرُقٌ^(٣).

وَعَنْ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَلْ تَذَرُونَ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟»، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكَثَفُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ (٥٣٩/٤)، وَضَعَفَهُ الْوَادِعِيُّ فِي تَحْقِيقِهِ لـ «تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ» (٥٧١/١).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ خَزِيمَةَ فِي «التَّوْحِيدِ» (١٣٩) وَغَيْرُهُ، وَجُودَ إِسْنَادُهُ الشَّيْخَ الْأَبَانِي فِي «مَخْتَصَرِ الْعُلُو» (١٠٤).

(٣) انظر «العلو للعلي الغفاري» (٤١٧/١).

وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ»، أخرجه أبو داود وغيره^(١).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة الزمر: ٦٧].

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين في زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها.

الثالثة: أن الحبر لما ذكر للنبي ﷺ، صدقه، ونزل القرآن بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوع الضحك من رسول الله ﷺ، لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السماوات في اليد اليمنى، والأرضين في الأخرى.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: (كَخَرَدَلَةٍ فِي يَدٍ أَحَدِكُمْ).

التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماوات.

العاشرة: عظم العرش بالنسبة إلى الكرسي.

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٦)، وأبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وضعفه

الألباني في «الضعيفة» (٣/ ١٢٤٧)، والوادعي في «رسائله الجمع بين الصلاتين في السفر»

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشر: كم بين كل سماء إلى سماء.

الثالثة عشر: كم بين السماء السابعة والكرسي.

الرابعة عشر: كم بين الكرسي والماء.

الخامسة عشر: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش.

السابعة عشر: كم بين السماء والأرض.

الثامنة عشر: كثف كل سماء خمسمائة عام.

التاسعة عشر: أن البحر الذي فوق السماوات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة

سنة.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شرح باب ما جاء في قول الله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ سورة

الزمر: ٦٧ الآية.

نص الباب:

يتناول هذا الباب تفسير الآية الكريمة: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الزمر: ٦٧].

ويستند إلى عدة أحاديث عن الصحابة تبين عظمة الله تعالى في خلقه وقدرته المطلقة على السماوات والأرض والعرش والكرسي، ومنها:

- حديث ابن مسعود عن الحبر الذي وصف له السماوات والأرض على إصبع، وصدق النبي ﷺ قوله.

- حديث ابن عمر عن طي السماوات يوم القيامة.

- أحاديث توضح المسافات بين السماوات، الكرسي، والعرش، وموقع الله تعالى فوق العرش.

المحاور:

المحور الأول: تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ

الْقِيَمَةُ

❖ المعنى: أن قدرة الله على كل شيء مطلقة، حتى الأرض بأسرها في قبضته يوم القيامة.

❖ العبرة: إظهار عظمة الخالق وقدرته المطلقة على الكون بأسره.

المحور الثاني: تصديق علم الحبر اليهودي

حين ذكر الحبر أن السماوات والأرض في كفه، ضحك النبي ﷺ تصديقاً لما قاله، وأكد القرآن ذلك.

❖ العبرة: الاعتراف بعلم الله المطلق، وصدق ما يذكر من علوم كونية صحيحة عند أهل الكتاب.

المحور الثالث: ذكر اليدين في القدر

تصريف السماوات في اليد اليمنى، والأرض في الأخرى، والتسميتها باليمين واليسار.

❖ العبرة: تأكيد قدرة الله باستخدام ألفاظ يفهمها البشر دون التشبيه بخلقه.

المحور الرابع: ذكر الجبارين والمتكبرين

عند قبض الله السماوات والأرض، يُسأل عن الجبارين والمتكبرين.

❖ العبرة: تحذير من الغلو والكبر وبيان أن الخضوع لله وحده واجب.

المحور الخامس: عظمة الكرسي والعرش

- الكرسي: كحلقة حديد بين ظهر الأرض.

- العرش: فوق الماء، والله فوق العرش.

﴿ العبرة: تنبيه على عظمة خلق الله وقدرته التي لا تُدرك بمقاييس البشر. ﴾

المحور السادس: المسافات بين السماوات والكرسي والعرش

بين السماء والأرض، وبين كل سماء وأخرى، وبين السماء السابعة والكرسي، وبين الكرسي والماء: جميعها مسيرات زمنية عظيمة.

﴿ العبرة: توضيح ضخامة خلق الله وعظمة الكون، وحفظ العلم عند الصحابة. ﴾

المحور السابع: توضيح المرتبة العليا لله تعالى

الله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمال خلقه.

﴿ العبرة: تأكيد علو الله سبحانه وتعالى وكمال علمه وقدرته. ﴾

المسائل المستفادة:

- ١- تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾.
- ٢- بقاء هذه العلوم عند أهل الكتاب في زمن النبي ﷺ دون إنكار أو تحريف.
- ٣- تصديق النبي ﷺ علم الحبر اليهودي الذي جاء بما يوافق قدرة الله.
- ٤- الضحك التصديقي للنبي ﷺ عند سماع ذكر العلم العظيم.
- ٥- تصريح ذكر اليمين والسماوات في اليد اليمنى والأرضين في اليد الأخرى.
- ٦- التصريح بتسميتها الشمال واليمين.

- ٧- ذكر الجبارين والمتكبرين عند قبض الله للكون.
- ٨- قياس حجم السماوات وكخردلة في كف أحدكم.
- ٩- عظمة الكرسي مقارنة بالسماوات.
- ١٠- عظمة العرش مقارنة بالكرسي.
- ١١- العرش ليس الكرسي ولا الماء.
- ١٢- المسافة بين كل سماء وأخرى.
- ١٣- المسافة بين السماء السابعة والكرسي.
- ١٤- المسافة بين الكرسي والماء.
- ١٥- العرش فوق الماء.
- ١٦- الله فوق العرش، عالم بكل شيء.
- ١٧- المسافة بين الأرض وأدنى السماء.
- ١٨- كثافة كل سماء مائة سنة.
- ١٩- عظمة البحر الذي فوق السماوات، وأعلاه وأسفله.

انتهى الكتاب

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تُنال الخيرات والبركات،
أحمده سبحانه حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ويرضى، وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً نرجو بها النجاة يوم نلقاه، وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أَمَّا بَعْدُ:

فقد أتممنا بعون الله وتوفيقه شرح هذا السفر المبارك: (كتاب التوحيد الذي
هو حق الله على العبيد)، وقفنا فيه على أبواب عظيمة، ومسائل جسيمة، وآيات
كريمة، وأحاديث شريفة، كلها تدعو إلى توحيد الله، وتحذر من الشرك وطرقه،
وتبين للعباد الطريق المستقيم، الذي من سلكه نجا، ومن أعرض عنه هلك
وغوى.

أيها الأحبة ...

إن التوحيد ليس كلمات تلوّكها الألسن، ولا معلومات تحفظ في الصدور،
بل هو حياة للقلوب، وزاد للأرواح، ونور في الدنيا، ونجاة في الآخرة.
فمن عاش على التوحيد عاش عزيزاً كريماً، ومن مات عليه مات سعيداً
حميداً، ومن بُعث به بُعث في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين،
وحسن أولئك رفيقاً.

ألا فليحذر المسلم من الشرك كله؛ جليته وخفيه، كبيره وصغيره، فإن الشرك ظلم عظيم، ومحبط للأعمال، ومُسْخَطُ للرحمن، ومُوجِبُ للنار والهوان.

اللهم إنا نسألك بأسمائك الحسنَى وصفاتك العُلَى أن ترزقنا التوحيد الخالص قولاً وعملاً واعتقاداً، وأن تعصمنا من الشرك ما ظهر منه وما بطن.

اللهم اجعل هذا الكتاب وما فيه من العلم حجة لنا لا علينا، ونوراً لنا في قبورنا، ورفعة لنا في درجاتنا، وزاداً لنا يوم نلقاك.

اللهم بارك في القراء والطلاب، وانفعهم بما قرؤوا وسمعوا، واجعلهم دعاة إلى التوحيد، حماة للسنة، محاربين للشرك والبدعة.

اللهم اجز عنا مشايخنا وعلماءنا خير الجزاء، فقد بينوا للناس الحق، ودعوا إلى التوحيد، وصبروا على ما لقوا في سبيله، فاجعل ما قدموه في موازين حسناتهم، واغفر لهم، وارفع درجاتهم في جنات النعيم.

اللهم ارحم الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، وجميع علماء الإسلام الذين نصرروا التوحيد، واجعل أثرهم باقياً، وعلمهم نافعاً، وأجورهم مضاعفة.

اللهم اجعلنا من أهل كلمة الإخلاص، الذين قلت فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [سورة فصلت: ٣٠].

اللهم أحينا على التوحيد، وأمتنا على التوحيد، واحشرنا في زمرة الموحدين، تحت لواء سيد المرسلين ﷺ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى

الله بقلب سليم.

يا عبد الله ...

اجعل التوحيد زادك في الدنيا، ووصيتك عند الموت، وشعارك عند البعث،
ونورك يوم القيامة، وحصنك من الشرك والضلال، واجعل لسانك ولسان
أحبائك، وقلبك وقلب من حولك، دائماً على كلمة الإخلاص: (لا إله إلا الله
محمد رسول الله).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد،
وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم بالتمام في

دار الحديث في مدينة دار السلام

اليمن - تعز - المخا - يختل

كتبه: (أبو عبد الرحمن)

جميل بن صالح الهاشمي

الفهرس

- المقدمة للمختصر المفيد على كتاب التوحيد..... ٤
- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ..... ٧
- ١- كتاب التوحيد..... ٧
- شرح الباب..... ١٠
- باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب..... ٢٢
- شرح باب: فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب..... ٢٥
- باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب..... ٣٤
- شرح باب: من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب..... ٣٧
- باب الخوف من الشرك..... ٤٦
- شرح باب الخوف من الشرك..... ٤٨
- باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله..... ٥٣
- شرح باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله..... ٥٦
- باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله..... ٦١
- شرح باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله..... ٦٣

- باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه ٦٧
- شرح باب من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوه ما لرفع البلاء أو دفعه ٦٩
- باب ما جاء في الرقي والتمايم ٧٣
- شرح باب ما جاء في الرقي والتمايم ٧٦
- باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما ٨٠
- شرح باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحوها ٨٣
- باب ما جاء في الذبح لغير الله ٨٧
- شرح باب ما جاء في الذبح لغير الله ٨٩
- باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله ٩٣
- شرح باب لا يذبح الله بمكان يذبح فيه لغير الله ٩٥
- باب من الشرك النذر لغير الله ٩٩
- شرح باب من الشرك: النذر لغير الله ١٠٠
- باب من الشرك الاستعاذة بغير الله ١٠٢
- شرح باب من الشرك: الاستعاذة بغير الله ١٠٣
- باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره ١٠٥

شرح باب من الشرك: أن يستغيث بغير بالله أو يدعوا غيره ١٠٧

باب قول الله تعالى: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ

نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ١١٠

شرح باب قول الله تعالى: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ

لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ١١٣

باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن

قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ١١٧

شرح باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا

الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ١٢٠

باب الشفاعة. ١٢٤

شرح باب الشفاعة ١٢٦

باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [سورة القصص: ٥٦] الآية.

..... ١٣٠

شرح باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة القصص: ٥٦] ١٣٢

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ١٤٠

شرح باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ١٤٤

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ١٤٨

شرح باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟ ١٥١

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله ١٥٧

شرح باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله ١٥٩

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك ١٦٣

شرح باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك ١٦٥

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان ١٦٩

شرح باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان ١٧٣

باب ما جاء في السحر ١٧٨

شرح باب ما جاء في السحر ١٨١

باب بيان شيء من أنواع السحر ١٨٥

شرح باب بيان شيء من أنواع السحر ١٨٧

باب ما جاء في الكهان ونحوهم ١٩١

شرح باب ما جاء في الكهان ونحوهم ١٩٤

باب ما جاء في النشرة ١٩٨

شرح باب ما جاء في النشرة ٢٠٠

باب ما جاء في التطير ٢٠٣

شرح باب ما جاء في التطير ٢٠٦

باب ما جاء في التنجيم ٢١٠

شرح باب ما جاء في التنجيم ٢١٢

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء ٢١٥

شرح باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء ٢١٧

باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ

اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥] الآية ٢٢١

شرح باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ

كُحِبِّ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ١٦٥] الآية..... ٢٢٤

باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا

مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٥]..... ٢٢٨

شرح باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا

إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٥]..... ٢٣٠

باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٣)..... ٢٣٤

شرح باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٣) [آل

عمران: ١٥٩]..... ٢٣٥

باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الْخَاسِرُونَ﴾ (٩١) [الأعراف: ٩٩]..... ٢٣٨

شرح باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الْخَاسِرُونَ﴾ (٩١) [الأعراف: ٩٩]..... ٢٣٩

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله..... ٢٤٢

شرح باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله..... ٢٤٤

باب ما جاء في الرياء ٢٤٧

شرح باب ما جاء في الرياء ٢٤٩

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا ٢٥٢

شرح باب من الشرك: إرادة الإنسان بعمله الدنيا ٢٥٤

باب من أطاع العلماء والأمرء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد

اتخذهم أرباباً من دون الله ٢٥٧

شرح باب أطاع العلماء والأمرء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله

فقد اتخذهم أرباباً من دون الله ٢٥٩

باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا

أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِء وَيُرِيدُ

الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى

الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ

مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَنًا وَتَوْفِيقًا

﴿٦٢﴾ ٢٦٢

شرح باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ

إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِء

وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ

وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنْفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ ٢٦٥

باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات ٢٦٩

شرح باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات ٢٧١

باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمْ

الْكَافِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٨٣] ٢٧٤

شرح باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمْ

الْكَافِرُونَ﴾ [سورة النحل: ٨٣] ٢٧٦

باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة

البقرة: ٢٢] ٢٧٩

شرح باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة

البقرة: ٢٢] ٢٨١

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله ٢٨٧

شرح باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله ٢٨٨

باب قول: ما شاء الله وشئت ٢٩٣

شرح باب قول: ما شاء الله وشئت ٢٩٥

باب من سب الدهر فقد آذى الله ٣٠١

شرح باب من سب الدهر فقد آذى الله ٣٠٢

باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه ٣٠٥

شرح باب التسمي بقاضي القضاة ونحوه ٣٠٦

باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لأجل ذلك ٣٠٨

شرح باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك ٣٠٩

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ٣١١

شرح باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول ٣١٣

باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ

لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ ٣١٥

شرح باب قول الله تعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ

هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَيْنَ رُجْعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ

كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة فصلت: ٥٠] ٣١٨

باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ [سورة

الأعراف: ١٩٠] ٣٢٢

شرح باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾

[سورة الأعراف: ١٩٠] ٣٢٤

باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠] ٣٢٨

شرح باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ

يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠] ٣٢٩

باب لا يقال: السلام على الله ٣٣٣

شرح باب لا يقال: السلام على الله ٣٣٤

باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت ٣٣٦

شرح باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت ٣٣٧

باب لا يقول: عبدي وأمتي ٣٣٩

شرح باب لا يقول: عبدي وأمتي ٣٤٠

باب لا يرد من سأل الله ٣٤٣

شرح باب لا يرد من سأل بالله ٣٤٤

باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة ٣٤٧

شرح باب لا يسأل بوجه الله إلا الجنة ٣٤٨

باب ما جاء في اللو ٣٥٠

شرح باب ما جاء في اللو ٣٥١

باب النهي عن سب الريح ٣٥٤

شرح باب النهي عن سب الريح ٣٥٥

باب قول الله تعالى: ﴿يَطُئُونَ بِأَلْقَمِهِمُ الْحَقَّ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [سورة آل

عمران: ١٥٤] ٣٥٧

شرح باب قول الله تعالى: ﴿يَطُئُونَ بِأَلْقَمِهِمُ الْحَقَّ ظَنُّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [سورة آل

عمران: ١٥٤] ٣٥٩

باب ما جاء في منكري القدر ٣٦٢

شرح باب ما جاء في منكري القدر ٣٦٥

باب ما جاء في المصورين ٣٦٨

شرح باب ما جاء في المصورين ٣٧٠

باب ما جاء في كثرة الحلف ٣٧٣

شرح باب ما جاء في كثرة الحلف ٣٧٥

- باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه..... ٣٧٨
- شرح باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ٣٨٠
- باب ما جاء في الإقسام على الله..... ٣٨٣
- شرح باب ما جاء في الإقسام على الله..... ٣٨٤
- باب لا يستشفع بالله على خلقه..... ٣٨٧
- شرح باب لا يستشفع بالله على خلقه..... ٣٨٨
- باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك ٣٩١
- شرح باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى
- التوحيد وسده طرق الشرك..... ٣٩٢
- باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ
- جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة الزمر: ٦٧]..... ٣٩٥
- شرح باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ
- جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [سورة الزمر: ٦٧] الآية..... ٤٠٩
- الخاتمة..... ٤١٣
- الفهرس..... ٤١٦